شفيق أحمد على

امرأة التى أحبها عبد الناصر

أسرار وخطابات
بنت « الباشا »
التى لم يتزوجها !

المرأة التى أحبها عبد الناصر

أسرار وخطابات
بنـــت الباشـــا
التى لم يتزوجها

شفيق أحمد على

الطبعـــة الأولـــى
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

●

● الغلاف بريشة الفنان : سيد عبد الفتاح

ثلاث بوابات للدخول

● ● الأولى : « أحجب المعلومات الصحيحة عن أى أنسان أو قدمها إليه مشوهة ، أو ناقصة ، أو محشوة بالزيف ، تدمر كل جهاز تفكيره .. وتنزل به إلى ما دون مستوى الإنسان » .

« آرثر سالزبورجر »
مؤسس جريدة نيويورك تيمس

● ● الثانية : « إنهم على استعداد لسلخ جلود بطون أمهاتهم .. لكى يشدوها طبلة يدقون عليها أناشيد أى سلطان » .

« لويد جورج »
رئيس وزراء بريطانيا الأسبق

● ● الثالثة : « لو أن أحدًا سألنى .. ما هى أعز أمانيك ؟ لقلت على الفور : أن أسمع مصريًا يقول كلمة إنصاف فى حق مصرى آخر » .

« جمال عبد الناصر »
على صفحة (٢٢) من « فلسفة الثورة »

١ - ثمن الثورته

لم نقرأ فى أى صحيفة عن رجل طلق زوجته ، أو حطم رأسها « بالشاكوش » .. لأنها تحتفظ بصورة « جمال عبد الناصر » .!!

قرأنا فقط : حكاية الرجل الذى شرب من دم زوجته لأنه ضبط معها صورة « عمر الشريف » .!

ولم نقرأ فى أى صحيفة ، إسم زوجة عبد الناصر - حتى بعد وفاته - مجردًا من أى صفة .

قرأناه دائماً : مرصعًا بصفة السيدة « الجليلة » .

وقرأناه أيضاً : مقترنًا بما يقطع بأنها هى المرأة « الوحيدة » التى أحبها وتمناها عبد الناصر .. طوال حياته .

أما أنها سيدة جليلة .. فهذا - بالقطع - أكيد .

وأما أنها هى « المرأة الوحيدة » التى عرفها ، وأحبها عبد الناصر طوال حياته .. فهذا - بالضبط - غير صحيح .

ومن لا يصدق : يفتح جريدة الأهرام - الصادرة فى ١٧ مايو سنة ١٩٧٠ - على صفحة الوفيات .. إن كان يهمه أن يعرف اسم أول إمرأة خفق لها قلب

عبد الناصر .. وإن كان قلبى يثق فى أنكم ستوافقوننى على عدم ذكر إسمها « الحقيقى » فى هذه السطور .. خصوصًا أنها الآن ، قد رحلت عن دنيانا .

متى رحلت ..؟!

« شيعت الجنازة .. فى تمام الحادية عشرة من صباح اليوم الموافق ١٧ من مايو سنة ١٩٧٠ » .

شيعت ، ولم تذكر صفحة وفيات الأهرام ، ما ذكره لى المستشار حسن النشار مؤكداً بأن « قائد العروبة » وضع يومها على عينيه نظارة سوداء ، وأسدل ستائر سيارته من كل جانب .. وسار بها وحده – بضعة أمتار – خلف « الجنازة »[١] دون حراسة ، ودون أن يشعر به أحد .. فيفسد عليه جلال اللحظة . « !! »

لحظة وفائه للأمس .. وإخلاصه للحاضر .. ووداعه الأخير ، للمرأة التى خفق لها قلبه زمان .. ولم يحدث « نصيب » .!

وبعد رحيلها بأقل من خمسة أشهر ..

بعدها بأربعة أشهر وأحد عشر يومًا بالضبط .. لحق بها فى الآخرة .. لعل وعسى « !!! »

□□

فى (٢٨) سبتمبر ، مات منا عبد الناصر .. فجأة .

وفى (٢٨) مايو .. كتب عبد الناصر أيضًا بخط يده – سنة ١٩٣٩ – بأنه أحب « سين هانم »[٢] ويتمنى لو تزوجها ، وأنه ينتظرها أمام سينما فيكتوريا « ليمتع نظره » برؤيتها كل أيام الأسبوع .. فيما عدا يومى السبت والثلاثاء .!!

---

(١) الوجه الثانى.من الشريط الثالث المسجل عليه وعلى غيره ٨ ساعات من الحوار الذى أجريته مع المستشار حسن النشار زميل الدراسة الذى صارحه عبد الناصر ، وكتب له فى الخطابات عن قصة حبه لهذه الفتاة .. ثم رآه المستشار النشار بنفسه ، وهو يسير بسيارته خلف جنازتها .. هكذا يقول .!!

(٢) وعدت المستشار حسن أن أشير إلى الفتاة التى أحبها صديقه عبد الناصر بالحرف الأول من اسمها .. ذلك فقط لأنها رحلت عن دنيانا .. واظنكم معى فى أن القضية الأساسية ليست هى الاسم .

ومن يومها : والتفاصيل خافية .

لم يحققها أحد .. ولم تقترب منها حروف مطبعة .

وفي المرة « اليتيمة » التي اقتربوا منها .. إبتذلوها ، وفلسفوها ، وكسروا عنقها .. للتدليل على وجهة نظر سياسية مسبقة .

وكأن عبد الناصر ، لم يكن يأكل ويشرب ، ويحب ، ويقضي حاجته .. مثل البشر .!!

في المرة « اليتيمة » التي كتبوا فيها عن « الفتاة التي أحبها عبد الناصر ولم يتزوجها » .. كتبوها بقلم الأستاذ صلاح منتصر .

والسبب .. يدعو للعجب .!!

□□

في صباح ٣١ يوليه سنة ١٩٨٣ ..

استيقظ الكاتب « الكبير » صلاح منتصر من نومه مبكرا .. ثم ملأ كفيه بالتراب كالعادة .. وراح – على الريق – يبحث عن شيء ناصع جديد لم يشوهه – هو أو غيره – في شخص عبد الناصر .. وتجربته .

وبمعاناة من أصبح لا يجد شيئاً جديدًا لم يشوه .. اكتشف ذلك الصباح أن « عبد الناصر في الوقت الذي بدا فيه مؤيدًا للديمقراطية ، ولإستمرار الأحزاب ، وتسليم الحكم للحزب الفائز بالأغلبية ، وهو بالتأكيد موقف ديمقراطي .. فإن عبد الناصر نفسه عندما صوت مجلس قيادة الثورة ضد رأيه ، مجمعا على اختيار الدكتاتورية أسلوبًا للحكم .. فإنه قد اتخذ موقفًا غير ديمقراطي تمامًا .. واعتزل في بيته ، حتى إضطر زملاؤه إلى تغيير رأيهم والانحياز إلى الديمقراطية »[1]

هذا هو بالضبط ما كتبه الأستاذ منتصر يومها .

استكثر أن يقرر – مرة ! – حقيقة أن جمال عبد الناصر أعطى صوته للديمقراطية .. فوصفه ، في السطر التالي بأنه « اتخذ موقفًا غير ديمقراطي تمامًا » .!

---

(١) صفحة (٧) من جريدة الأهرام الصادرة في ٣١ يوليه ١٩٨٣ .

●● لماذا .. ؟!

لأن عبد الناصر مارس حقه « الطبيعى » ورفض ألا يشارك فى شىء لا يؤمن به ، فترك زملاءه ، يواصلون مسيرتهم وفق ما يرون .. « واعتزل فى بيته » وكأنه لم ينسحب إلى منزله فى هدوء .. وإنما رفع مسدسه فى وجوههم جميعًا ، واجبرهم بالقوة على التصويت إلى جانب « الديمقراطية » .

هل رأيتم الإنصاف الذى يتمتع به كتابنا الكبار « ؟!! »

هل رأيتم مدى الأمانة التى تساقط من حروفهم « ؟!! »

حتى إنحياز عبد الناصر للديمقراطية .. حسبوه عليه .

ولم لا ..؟! ما دام الهجوم على عبد الناصر لا يزال « له ثمن كبير .. وجوائز مغرية »[1] .

□□

تخيلوا معى لو أن جمال عبد الناصر كان وقتها ، وقد اتفق مع رأى بقية زملائه .. وأعطى صوته « للدكتاتورية » ؟!

من المؤكد أن الأستاذ صلاح منتصر كان أول من سيقفز من مقعده ، ويصرخ فى وجوهنا قائلاً :

– ألا ترون .. إنه دكتاتور ابن دكتاتور .. إنه متعطش للدماء ، لقد كان يضمر لنا الدكتاتورية فى أعماقه منذ اليوم الأول الذى خطط فيه لثورته .. لهذا صوت إلى جانب الدكتاتورية .. ثم تبعه بقية زملائه « الغلابه » .. خوفًا من بطشه .!!!

□□

أنا هنا – بالطبع – لا أناقش مدى ديمقراطية عبد الناصر أو دكتاتوريته .

---

(١) محمد حسنين هيكل ، فى حواره مع صلاح منتصر المنشور على صفحات مجلة أكتوبر فى ١٩ يونيه ١٩٨٨ .

أنا فقط .. أذكركم بمدى « الإنصاف » الذى نتناول به ثورة عبد الناصر .. وشخصه .

والدليل : هو كل هؤلاء الذين تغزلوا « حتى » فى التراب الذى كان يمشى عليه عبد الناصر فى حياته ، ثم هاجموه بشدة بعد وفاته .

كلهم تعللوا بأنهم لم يجرؤا على إنتقاده وهو حى .. خوفًا من بطشه .

والآن : ها هو الرجل يرقد فى منشية البكرى .. لا « بطش » له ولا قوة .

فلماذا – إذن – لم نقرأ لهم سطرًا واحدًا ينتقدون فيه الرئيس السادات فى حياته .. وهم الذين تغنوا طويلاً بديمقراطيته .. بل واقترحوا تسميته « بسادس الخلفاء الراشدين » .!!

لماذا لم يجرؤ واحد منهم – إن كانوا حقًا منصفين – على أن ينتقد السادات فى حياته ، أو يناقشه ، أو حتى يسأله – ولو تلميحًا عن « الموقف غير الديمقراطى تماماً » الذى اتخذه هو الآخر ، فى بداية الثورة .. حينما « فاخر » مرارًا فى أحاديثه المذاعة بأنه أعطى صوته للدكتاتورية .؟!

قد يتعللون الآن – وبعد موته فقط – بأن ديمقراطيته كانت لها « أنياب » .

إذن : لماذا لم نقرأ لهم سطرًا واحدًا أيضاً ، ينتقدون فيه الرئيس حسنى مبارك هو الآخر .. وهم الذين يقسمون كل يوم – قبل الأكل وبعده – بأننا نعيش فى عصره أزهى عصور الحرية ، ولم نشهد ولن نشهد مثيلاً لديمقراطيته ؟!

لماذا – بالضبط – لم ينتقدوا الرئيس مبارك ولو مرة واحدة فى حياته .؟!

هل لأن الرئيس مبارك – مثلاً ! – نبى معصوم من « كل » الأخطاء؟!

أم أنهم – للحفاظ على غنائمهم – سيفعلونها كالعادة بعد وفاته ؟!

على أية حال : التاريخ هو قاضى القضاة .

وفى كل العصور .. لا يلتفت القاضى إلى « شهود الزور » .!
فأرجوكم ، كونوا القضاه .. وأنتم تقرأون التفاصيل ..

تفاصيل التفسير « الغرامى » لثورة يوليه من خلال رواية الأستاذ صلاح منتصر لقصة الفتاة التى أحبها جمال عبد الناصر .. ولم يتزوجها .!

□□

هذه كتب التلاميذ فى المدارس تقرر بأننا وبعد (١٤٧) عامًا .. من حكم أسرة محمد على ، جاءنا لأول مرة على عرش مصر ، حاكم من أبنائها ، لا يلعب القمار ، ولا يراقص النساء ، ولا يمنح البشوية .. ولا يلهب ظهور الفلاحين فى ابعدياته بالكرابيج . هذا الحاكم الذى جاءنا من ابناء الشعب اسمه : جمال عبد الناصر .

وهذا هو أيضا صلاح منتصر ، يقطع على صفحات جريدة الأهرام ، فى ٣١ يوليه ١٩٨٣ ، بأن عبد الناصر هذا ، لم يأمر بإلغاء الرتب والألقاب ، ولم يسارع بإصدار قانون الإصلاح الزراعى ، لوجه الله ، أو لوجه المساواة .. كما نعتقد ، أو كما يتعلم أولادنا فى المدارس .. وإنما – بالضبط – لأن « عبد الناصر كانت لديه عقدة خاصة من بشوات الأحزاب ، وبسبب هذه العقدة ، فإننا نلحظ أن أول قرار أصدره مجلس الوزراء برئاسة على ماهر بعد طرد الملك فاروق ، كان هو قرار إلغاء الألقاب والرتب المدنية ، ولقد كان من الممكن ، تقبل هذا القرار ، هو أو قانون الإصلاح الزراعى فى إطار فلسفة ثورية واضحة ، أما وأن حركة الجيش قد قامت دون أن تكون لها أى فلسفة فلقد كان صدور قرار إلغاء هذه الألقاب ، وكذلك صدور قانون الإصلاح الزراعى بالسرعة التى حدثت ، يعتبر شيئاً يسترعى الاهتمام والتفكير»[١] .

هكذا – بالحرف – اكتشف الأستاذ منتصر فجأة ، بأن هناك سببين لا ثالث لهما وراء إقدام ما سماه « بحركة الجيش » على إلغاء الألقاب أو إصدار قانون الإصلاح الزراعى « بالسرعة التى حدثت » .

---

(١) جريدة الأهرام فى ٣١ يوليه ١٩٨٣ – مصدر سابق .

السبب الأول : هو أن « حركة الجيش قد قامت دون أن تكون لها أى فلسفة » .. وكلمة « أى » هنا تقطع بأن الأستاذ منتصر لم يسمع « حتى » عن المبادىء الستة « لحركة الجيش » التى يحفظها تلاميذ المدارس « الابتدائية»[1] .. والتى من بينها « تحقيق العدالة الاجتماعية » اللهم إلا إذا كان صلاح منتصر لا يعتبر إلغاء الألقاب أو إصدار قانون الإصلاح الزراعى ، ليس لأى منهما علاقة بالمساواة ، أو « تحقيق العدالة الإجتماعية » .. وهو المبدأ « الخامس » من المبادىء الستة الشهيرة لثورة ٢٣ يوليو ..

أما السبب الثانى : فهو أن عبد الناصر نفسه « كانت لديه عقدة خاصة من بشوات الأحزاب » .!!

●● وما هو دليلك إلى ذلك يا أستاذ منتصر ؟!

يقول الأستاذ منتصر .. « حكاية سمعتها عن قصة حب من طرف واحد هو جمال عبد الناصر ، وفتاة جميلة شقراء الشعر ، تنتمى إلى أسرة من الباشوات ، وكان من عادة هذه الفتاة أن تذهب كل يوم أربعاء إلى سينما ديانا حفل الساعة الثالثة بعد الظهر ، عندما كانت دور السينما تقوم بتغيير أفلامها فى ذلك الوقت كل أسبوع .. وكان جمال عبد الناصر حريصًا على أن يكون دائماً على باب السينما كل يوم أربعاء أنتظارًا لرؤية الفتاة التى أحبها فى صمت . ثم حدث بعد ذلك أن تقدم جمال عبد الناصر إلى والدها طالبًا الزواج من إبنته ، ولكن الأب ثار عليه ، وربما —

---

(١) انظر صفحة (١٤٥) من كتاب « تاريخ مصر الحديث » للصف السادس الإبتدائى ، والصادر عن الجهاز المركزى للكتب الجامعية والمدرسية طبعة ١٩٨٨/٨٧ .. وفيه جاءت أهداف ومبادىء ثورة يوليو ١٩٥٢ بالنص وبالترتيب التالى :

١ – القضاء على الإستعمار وأعوانه .
٢ – القضاء على الإقطـاع .
٣ – القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم .
٤ – إنشاء جيش وطنى قوى .
٥ – تحقيق العدالة الإجتماعية .
٦ – إقامة حياة ديمقراطية سليمة .

هكذا يقول ربما – طرده من المنزل إذ كيف يجرؤ من فى مثل فقره ، وسمار بشرته ، أن يتقدم للزواج من ابنة الباشا شقراء الشعر »[1] .!!

هذه هي الحكاية التى يقول الأستاذ منتصر أنه « سمعها » .. وساقها لنا دليلاً « يقطع » بأن عبد الناصر « كانت لديه عقدة خاصة من الباشوات » .. دفعته بالتالى ، إلى أن ينزع منهم الرتب والألقاب ، وأن يصدر ضدهم قانون الإصلاح الزراعى فور نجاح ثورته .

أما متى .. وأين .. وممن سمع الأستاذ منتصر هذه القصة ؟!

فيقول الأستاذ منتصر .. « أستطيع بعد أن رويت هذه الحكاية التى ربما تكون قد ذكرت لأول مرة فوق الورق ، أن أضع يدى فوق القرآن الكريم ، وأقسم عليه أننى سمعت هذه الحكاية من الأستاذ محمد حسنين هيكل فى خلال السنوات الأولى من الثورة ، وأننى لم أكن وحدى الذى استمع إليها ، ولكن كان هناك زملاء آخرون موجودون حتى اليوم ، وكنا جميعًا نضع أقدامنا على أول سلالم العمل الصحفى فى مجلة آخر ساعة التى كان يرأس تحريرها الأستاذ هيكل »[2] .

وبرغم أن الأستاذ صلاح منتصر نفسه ، كان قد اعترف على صفحات « مجلة أكتوبر »[3] التى يرأس تحريرها الآن ، مؤكدًا بأن الأستاذ هيكل قال له نصًا .. « أنا لا أستطيع أن أقول بأننى كنت أعرف جمال عبد الناصر قبل الثورة » .. وهى الفترة التى أحب فيها عبد الناصر فتاته الشقراء .!!

ورغم أن الأستاذ هيكل قد قال له أيضًا على نفس الصفحة بأن « أول مرة قابلت فيها عبد الناصر بطريقة دقيقة ، كانت فى منزل محمد نجيب يوم ١٨ يوليه ١٩٥٢ »[4] .. أى قبل اندلاع الثورة بأربعة أيام فقط ..

---

(١) راجع الوثيقة « الأولى » بالملحق الوثائقى فى نهاية الكتاب .

(٢) صفحة (٧) من جريدة الأهرام الصادرة فى ٣١ يوليه ١٩٨٣ – مصدر سابق .

(٣) و (٤) صفحة (٣٨) من مجلة أكتوبر الصادرة فى ٥ يونيه ١٩٨٨ .

ورغم أن الأستاذ صلاح منتصر لم يرفع سماعة تليفونه ، ويسأل أحد أصدقاء عبد الناصر فى هذه الفترة ، عن حقيقة رواية ساقها لنا سنة ١٩٨٣ .. ويقول أنه سمعها منذ ثلاثين عامًا تقريبًا .. أى فى الفترة من سنة ٥١ إلى ٥٧ التى رأس فيها محمد حسنين هيكل مجلة آخر ساعة .

ورغم أن واحدًا من « أهم » أصدقاء عبد الناصر ، وزملاء دراسته قبل الثورة – وهو الأستاذ المستشار حسن النشار الذى ذكر عبد الناصر اسمه فى كتابه « فلسفة الثورة » – قد بادر هو واتصل تليفونياً بالأستاذ صلاح منتصر ، ونفى له هذه الرواية حينما نشرها على صفحات الأهرام فى ٣١ يوليه ١٩٨٣ .. بل وأبدى له المستشار النشار إستعداده التام لإطلاعه على سر أسرار عبد الناصر فى هذا الشأن .. وبخط يده !!

رغم كل ذلك .. فإن الأستاذ منتصر – من فرط أمانته – أصر على كسر عنق الحقيقة ، وساق لنا روايته هذه حتى لا يتخلف عن « المزاد اليومى » لما وصفه له حسنين هيكل « بعرمطة مرحلة بكاملها من تاريخ مصر .. هى مرحلة عبد الناصر »[1] .. وحتى يتخذ من أسمى مشاعر عبد الناصر الإنسانية ، والوجدانية ، وهى عاطفة حبه لفتاته الأولى .. شماعة ، يدمى بأطرافها « المدببة » ، لحم الصدق ، وشرف الدافع ، فى مواقف وإجراءات جمال عبد الناصر ضد الإقطاعيين والباشوات .. ما دمنا على رأى الأستاذ منتصر نفسه « أمام بطل – هكذا يصفه – يحمل ماضيه هذا الجرح العميق من أحد باشوات زمان »[2] .!!

□□

صحيح أن الأستاذ صلاح منتصر قد أبدى استعداده علنًا لأن يضع يده « فوق

---

(١) صفحة (٤٢) من مجلة أكتوبر الصادرة فى ١٩ يونيه ١٩٨٨ .

(٢) جريدة الأهرام فى ٣١ يوليه ١٩٨٣ – مصدر سابق .

القرآن الكريم ويقسم على أنه سمع هذه الحكاية ، وعلم بها فى « السنوات الأولى لحركة الجيش » .. لكنه برغم ذلك ، هلل – وقتها – لإلغاء الألقاب ، ولم يكتشف أن فتاة شقراء ، كانت وراء هذا الإجراء .. إلا بعد أن مات عبد الناصر وشبع موتًا .!!

وصحيح أن الأستاذ منتصر قد أبدى استعداده أيضًا لأن « يحلف على المصحف » بأنه علم بهذه الحكاية ، أثناء حياة عبد الناصر .. وعلم بها أيضًا زملاء صحفيون آخرون ، حينما رواها لهم جميعًا الأستاذ هيكل ، وقت أن كان هو رئيسًا لتحرير مجلة « آخر ساعة » .. وهم « على أول سلالم العمل الصحفى » .

رغم كل ذلك .. فإن عبد الناصر – السفاح ، الذى قالوا بأن نصف مصر كان يتجسس على نصفها الآخر فى عهده – من المؤكد أنه علم بذلك .. ولم يقطع رقبة الأستاذ منتصر ، ولا رقبة زملاءه من الصحفيين « المبتدئين » وقتها .. ليدفن معهم سر إجراءاته ضد الباشوات وضد الإقطاع .. ولم يقطع أيضًا رقبة محمد حسنين هيكل ، الذى لم « يحتكر » الأسرار العليا لنفسه – كما يقولون الآن – وإنما وصل تسيبه « وفلاتة لسانه » فى زمن رعب عبد الناصر إلى حد تندره ، وإفشائه لأسرار غراميات عبد الناصر نفسه ، لشباب ناشىء ومبتدىء ، ولا يزال على أول سلالم العمل الصحفى .

رغم كل ذلك .. أرسلت إلى الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل ، أسأله « كتابة » عن مدى صحة تلك الرواية التى نسبها له الأستاذ منتصر .. فجاءتنى إجابته القاطعة ، فى عبارة واحدة تقول : « لم يحدث » !!

□□

لا أخفى عليكم أننى حينما أنتهيت من قراءة « اكتشافات » الأستاذ منتصر هذه .. ضربت أخماسًا فى أسداس .. وقلت لنفسى : إذا كان الأستاذ منتصر قد اكتشف فجأة ، بأن إقدام الثورة على إلغاء الألقاب أو الإصلاح الزراعى ، لم يكن كما أشاعوا وقتها حبًا فى عيون الفلاحين الأجراء ، أو سعياً لتذويب الفوارق بين

الطبقات .. وإنما إنتقاماً من باشوات زمان الذى ثار أحدهم على عبد الناصر ، وطرده من منزله حينما تجرأ وطلب الزواج من إبنته .. فما المانع – إذن – من أن يكون جمال عبد الناصر ، قد أقدم أيضًا على تأميم قناة السويس ، لأنه « أحب إبنة الخواجة ديلسبس ، ورفض الخواجة أن يزوجها له » ؟!!

وما المانع أيضًا .. من أن يكون عبد الناصر ، قد خلع الملك فاروق من على عرش مصر .. لأنه خطف من عبد الناصر زمان فتاة أخرى ؟!!

وما المانع أيضًا .. من أن يكون عبد الناصر قد سارع بإجلاء الإنجليز عن مصر ، لأن لديه « عقدة خاصة من الفتيات الانجليزيات » ؟!!

ما المانع .. وما المانع .. وما المانع .. ما دامت « حركة الجيش – كما يقول الأستاذ منتصر – قد قامت دون أن تكون لها أى فلسفة » ؟!!

أدفع عمرى .. وأعرف الحقيقة .!

□ □

فى الحقيقة : لم أدفع سوى ثمن « التورته » التى حملتها معى ، ودخلت بها على المستشار حسن النشار فى منزله .. وأنا أقول له :

– كل سنة وحضرتك طيب .. النهارده يوم ٢٣ يوليو .. يعنى ذكرى الثورة التى خطط لها ، وقادها صديق عمرك جمال عبد الناصر .. وأكيد حضرتك قرأت ما كتبه الأستاذ صلاح منتصر عن قصة « الفتاة الشقراء » التى أحبها صديق عمرك جمال .. ولم يتزوجها .

قاطعنى الرجل قائلاً[١] :

– قبل أن أكشف لك ، ولأول مرة ، عن حقيقة هذه الحبيبة الشقراء ، بخط عبد الناصر نفسه .. دعنى أحكى لك أولاً .. هذه القصة .

○ ○ ○

(١) حوار طويل مسجل بدأ فى ٢٣ يوليو ١٩٨٨ وامتد لأكثر من أسبوع .

٣ - ما عدا السبت والثلاثاء

يعرف بعضكم أن المشير عبد الحكيم عامر ، من قرية صغيرة فى محافظة المنيا ، إسمها « أسطال » .

ويعرف بعضكم أن عبد الحكيم عامر ، لم يتعرف على جمال عبد الناصر .. إلا أثناء دراسته بالكلية الحربية .

أما أنا : فأعرف جمال ، وأصادقه ، منذ أن أرضعته أمى على محطة السكة الحديد .. من نفس الصدر الذى أرضعتنى منه .!!

وفى أغسطس سنة ١٩٥٣ .. أى بعد قيام الثورة بنحو العام تقريبًا .. « عزم » عبد الحكيم عامر صديقه جمال لزيارة قريته « أسطال » .. فى قلب الصعيد .

ولما وصل عبد الناصر إلى هناك .. استقبله أهل القرية « الصعايدة » .. بحفاوة بالغة .. فوقف يخطب فيهم شاكراً .. وواصفًا مضيفه عبد الحكيم عامر بأنه « صديق العمر » .

هو قالها .. ولم « يخلص منى » .!!

إنتظرته حتى عاد من الصعيد ، ووصل إلى القاهرة .. وأمام عبد الحكيم نفسه ،

وأمام شيخ المحامين المرحوم عبد العزيز الشوربجي ، هو وزميل الدراسة عبد الرءوف جبريل .. قلت لجمال عبد الناصر :

- بذمتك يا جمال .. مين اللى فعلاً صديق العمر .. أنا .. ولا عبد الحكيم ؟!

فضحك عبد الناصر ، والتفت إلى المرحوم عبد العزيز الشوربجى قائلاً :

- بذمتك أنت يا عزيز .. لو كنت مكانى ساعتها ، وبصيت لقيت نفسك وسط الجماعة « بلدياتى » دول كلهم ، ورافعين حواليك البنادق والشوم ، وضرب النار شغال فى الهوا .. كنت تقول لهم إن إبنهم وبلدياتهم حكيم ، هو صديق العمر .. ولا تقول لهم حسن النشار ؟! دول كانوا « طخونا » كلنا بالنار . « !!! »

و ... ضحكنا جميعًا من قلوبنا .

□ □

ضحكوا - يومها - جميعًا من قلوبهم .. ناصر .. وحكيم .. والشوربجى .. وصديق العمر لعبد الناصر ، حسن النشار .. فهل فينا من يرد الرجل إلى تلك الأيام ؟!

لا « التورته » التى حملتها إليه هى التى فتحت نوافذه .. ولا أسئلتى الحائرة ، هى التى هدت متاريسه .

كان الرجل على حافة الكلام :

- هنا .. فى الحجرة الداخلية ، لهذا المنزل تعلم منى عبد الناصر لعبة الشطرنج .. وفوق السطح ، كثيرًا ما كنت أجلس أنا وهو ، وعبد الرءوف جبريل .. هو يدندن بأغنية « جفنه علم الغزل » .. وعبد الرءوف « يمزك » له بفمه بين مقاطع الأغنية .

هنا .. فى حديقة هذا المنزل ، أخفينا قنابل وأسلحة الضباط الأحرار فى أكوام القش .. وهنا أيضًا ، فى داخل هذا الراديو الكبير ، أخفيت منشورات عبد الناصر وأوراقه الخاصة .. عن أيدى البوليس .

هنا .. من نافذة هذه البلكونة المطلة على الشارع فى الدور الأرضى ، كثيرًا ما كان البوسطجى « يناولنى » خطابات جمال عبد الناصر الشخصية ، القادمة من منقباد ، والسودان ، وطنطا ، والعلمين .. ومن كل مكان عمل فيه عبد الناصر قبل وبعد الثورة .

وهنا أيضًا : من نفس « البلكونه » .. قفز إلى الشارع – وفقدته إلى الأبد – القرد الذى كان الملازم الشاب جمال عبد الناصر قد أحضره لى هدية من السودان .. فأخذت له مع القرد الهدية ، صورة تذكارية .. لا زلت أحتفظ بها إلى الآن .. انظر ملحق الصور صفحة (٢١١) .

وهنا أيضًا : فى هذا المظروف « الكاكى » الأصفر .. لا زلت كما ترى أحتفظ بهذه المروحة .. التى هى عبارة عن ريشة نعام واحدة كان عبد الناصر قد أحضرها أيضًا من السودان .. وأهداها إلى « والدتى » التى أرضعته – زمان – على محطة السكة الحديد .!

وهنا أيضًا .. على حائط حجرة الصالون ، لا زلت كما ترى أيضًا ، أحتفظ بسجادة « الصلاة » الوحيدة ، فى مصر التى رسم الإيطاليون عليها صورة جمال عبد الناصر ، واستوردها من هناك – فى بداية الثورة – الصديق أبو المجد التونى ، الشقيق الثالث لشوكت التونى المحامى ، الذى ترافع عن مصطفى أمين فى عهد السادات .

وكانت هيئة الجمارك فى مطار القاهرة ، قد احتجزت « كل » كمية السجاد التى وصلت من إيطاليا .. ورفضت أن تفرج عنها إلا بإذن صريح من الحكومة .

ولما جاءنى أبو المجد لأتوسط له عند عبد الناصر حتى يأذن بالإفراج ، عن سجاد الصلاة المرسوم عليه صورته .. رفض عبد الناصر وساطتى ، وأمر بعدم دخول أى سجادة منها إلى مصر .

وكنت قد حصلت على واحدة منها « كعينة » من أبو المجد التونى .. فاحتفظت بها إلى الآن على حائط حجرة الصالون .. ذكرى شاهدة على أن جمال عبد الناصر

فى حقيقته لم يكن يحب « النفاق » ولم يكن يحب «الواسطة » .. حتى ولو جاءت من « صديق عمره » .

●● سيادة المستشار حسن النشار : دعنا من فضلك نرجىء السفر إلى كل هذه المحطات المجهولة فى علاقتك بعبد الناصر .. وأرجوك ردنا أولاً إلى ما سردته حول ما حدث لكم فى قرية « أسطال » .. فإذا كنت قد أردت بسرده أن تؤكد لنا « عمق » الصداقة التى ربطت بينك وبين جمال عبد الناصر .. فلا تنسى أن هذه الصداقة تلقى على عاتقك مسئولية نفى أو تأكيد كثير من « الأقاويل » التى ينسبها البعض لصديقك عبد الناصر .. وأغربها قصة « بنت الباشا الشقراء » التى قال صلاح منتصر – على صفحات الأهرام – بأن عبد الناصر أحبها زمان .. وأن والدها الباشا رفض أن يزوجها له .. فاقتص صديقك من كل الباشوات ، وأمر بالغاء الرتب والألقاب .!

إنتفض الرجل من مقعده .. قام إلى الدولاب الوحيد فى الحجرة .. أخرج منه « كومة » من الأوراق والخطابات القديمة .. ووضعها أمامى .. ثم عاد يقول :

– ستعرف حالاً كل الحقيقة .. وأنا شخصيًا حينما قرأت هذه الأكاذيب .. اتصلت بكاتبها تليفونيًا ، وطلبت منه تصحيح ما نشره ، بعد أن عرضت عليه زيارتى فى منزلى .. لإطلاعه على ما كتبه عبد الناصر بخط يده فى هذا الشأن .. لكنه للأسف لم يحضر .. ولم يصحح ما نشره .. حتى الآن .

صحيح أن عبد الناصر ، كان قد إئتمننى وحدى على سر أسراره الشخصية فى هذا الخطاب .

وصحيح أننى كنت قد عاهدت نفسى ألا أطلع أحدًا عليه ، أو على غيره من الخطابات التى تحمل أسرارًا عائلية أو شخصية لعبد الناصر .. إلا أن الأكاذيب التى يختلقونها بين وقت وآخر ، للنيل من الرجل بعد وفاته ، تدفعنى الآن إلى أن أضع الحقيقة – من خلالك – أمام الكل ، وأمام التاريخ .. خصوصًا بعد أن فشلت كل محاولاتهم المتكررة للنيل من الرجل سياسيًا ، فراحوا يوجهون سهامهم أخيرًا .. إلى مسلكه الشخصى .

و .. هذا الخطاب .. هو الخطاب « الوثيقة » الذى كتبه عبد الناصر لى بخط يده فى عصر (٢٨) مايو سنة ١٩٣٩ .. ويحكى فيه عن حقيقة علاقته ببنت الباشا المزعوم « !!! »

□□

ارتعشت أصابع الرجل ، وهو يفرد الخطاب .. حمله بين أصابعه فى عناية شديدة .. ناوله لى ، وكأنه يناولنى طفله الذى جاءه حالاً إلى الدنيا .. تناولته برفق ، وبصوت مسموع رحت أقرأ :

« عزيزى حسن ..
أبلغك سلامى ، وأرجو أن تكون بخير ، وماشى فى الإمتحان زى الجدع .

لم أرك من مدة طويلة ، ولا أعرف للآن هل هذا ذنبى أم ذنبك ؟ أم ذنبنا نحن الأثنين .. زى ما تشوف .

وقد سمعت من عبد الرءوف جبريل أنك متأثر وزعلان لخلف الميعاد ، ولكننى أحب أن أقول لك : إلغى كل ما يدور بخلدك .

فى هذا اليوم كان تأخرى لحضور عمى .. وعبد الرءوف مر فى الميعاد ، وأظنك تستغرب إذا قلت لك أنى لم أر عبد الرءوف من يوم شم النسيم إلا مرة واحدة ، وسأقول لك يا أستاذ عن السبب .. ويمكن تكون عرفته بالتخمين .

أظنى قلت لك بأننى عزلت إلى شارع زغلول رقم (١) بالظاهر .. وبينما كنت أتجول فى أحد الأيام وجدت « ... هانم » وطبعًا أظنك تقدر تعرف إيه إللى جرى لى فى تلك الساعة ، ومن يومها ، وأنا أبحث عن منزلها فى الظاهر .. حتى عثرت عليه أخيرًا ، بعد جهد ، وهو يقع فى شارع الخليج أمام سينما فيكتوريا .

وبما أنه عندى عمل بعد الظهر فى يومى السبت والثلاثاء ، فإننى أمتع نظرى باقى أيام الأسبوع .. ويشهد الله بأنى لم أحاول تتبعها ، ولا معاكستها ، حتى أنزه

نفسى عن عبث الشباب الحديث .. وحتى لا يقال عنها القيل والقال ، وأظن أن هذا يا أستاذ ما عاقنى عن السؤال عنك .. ولا مؤاخذة .. وإن شاء الله أقابلك قريبًا ، ونشوف مين فينا يغلب التانى ويجيب الحق عليه .

وقد سألت عنها فعرفت أنها فى مدرسة الفنون الطرزية بشبرا ، وأن لها أختان أكبر منها ، وأنها لا يمكن زواجها إلا بعد زواجهما .. وإنى أعمل كل جهدى الآن حتى أنقل لمصر ، وعشمى أن يصلنى منك جواب على سلاح الإشارة قريبًا ، وإن شاء الله بعد الإمتحان بتاعك سأضايقك من الزيارات . سلامى إلى الست الوالدة والسيد الوالد والأخوة طبعاً ..

وتقبل سلام وقبلات :

« جمال عبد الناصر »[1]

□□

تقبل سلام وقبلات جمال عبد الناصر .

تقبلها .. يا كل من تملك النية « الصادقة » لمعرفة الحقيقة .

تقبلها .. وتأمل معى خطابه .. الذى كتبه بخط يده ، فى عصر (٢٨) مايو سنة ١٩٣٩ .. أى وهو يبلغ من العمر (٢١) عامًا ، وأربعة أشهر ، وثلاثة عشر يومًا .. بالضبط « !!! »

لم يكن يعرف وقتها أنه سيصبح « قائدًا للعروبة » .!

ومع ذلك .. حينما عثر يومًا على فتاته « لم يحاول تتبعها أو معاكستها .. حتى ينزه نفسه عن عبث الشباب الحديث » .!!

لم يكن يعرف وقتها أننا سنحصى عليه ، حتى أنفاسه ، ومع ذلك أكتفى بأن « يمتع نظره » من بعيد .. حتى لا يعرض سمعة حبيبته « للقيل والقال » .

---

(١) صورة الخطاب بخط وتوقيع عبد الناصر فى الملحق الوثائقى للكتاب « الوثيقة الثانية » .

كان لا يزال وقتها شابًا عاديًا ككل الشباب .. لم يكن مطلوبًا منه – وقتها – أن يكون نبيًا ، أو راهبًا ، أو متبلد العواطف ، والمشاعر الوجدانية .

كان له قلب .. وأحاسيس .. وغرائز بشرية .

والشباب فى مثل هذه السن ، يعاكس ، ويشاكس ، ويلاحق الفتيات .. ولو فعل وقتها ما فعله معظمنا فى هذه السن .. ما لامه أحد .

لكنه .. كان محبًا من طراز نبيل .. وفينا من يدرك معنى النبل .. والمسئولية .. واليتم المبكر .

فينا من يدرك معنى ألا ينطق باسم فتاته .. إلا مقرونًا بصفة « الهانم » .
وفينا من يدرك معنى أن يحترم الشخص نفسه .. ويحترم الآخرين .
يقول عبد الناصر للمجاهد الكبير فتحى رضوان :

– لا أذكر أننى استعملت يدى أو هممت باستعمالها فى شجار إلا مرتين .

الأولى : كانت شروعًا فيه .. وذلك عندما تحرر ضدى محضر مصادمة بين سيارتى وسيارة أخرى ، وكان الخطأ من صاحب السيارة الأخرى ، وقد أدهشنى أن النيابة اتهمتنى ، وقادتنى إلى المحكمة ، وزادت دهشتى عندما وقف محامى الخصم ، وهو المخطىء .. وأطلق للسانه العنان فى تعنيفى وتجريحى .. وقد احتملت كل ذلك الهجوم فى قاعة المحكمة ، فلما خرجنا .. انتظرت المحامى ،وبودى أن أعطيه علقة ساخنة ، لأنه كان صورة مشوهة للمحامى .. وظهر المحامى سعيداً وخالى البال ، دون أن يدرى ما ينتظره .. فأخذتنى به الشفقة .

ولما اقترب منا .. وجدت حكيم – أى عبد الحكيم عامر – يجرنى إلى خارج المحكمة ، ومنعنى فعلاً ، إذ لو ضربت المحامى لبقيت إلى الآن خجلاً من نفسى .

والمرة الثانية : كنت يومها فى السينما ، أنا وعبد الحكيم أيضًا .. وكان إلى جوارنا عدد من الشباب الأرزال ، أفسدوا علينا متعة مشاهدة الفيلم .. فقد كانت تعليقاتهم فجة ومقززة .

ورغم أننى نظرت إليهم مرارًا ، ليكفوا قليلاً عن هذه التعليقات .. فإنهم لم يلقوا بالاً بنا أو بغيرنا .

ولهذا .. لم يكن أمامى إلا أن انتظرهم أنا وعبد الحكيم خارج السينما .. وما كدت أرى أكبرهم ، وأوقحهم ، حتى هبشت فيه هبشة عنيفة .. ورحت أكيل له الضربات من كل اتجاه .

و .. فى نفس الوقت : كان عبدالحكيم ، يفعل مثلى مع شخص آخر .. أما الباقون فقد هربوا بجلدهم .

وأؤكد لك .. أنى نمت ليلتها مستريحًا .. ذلك لأن هؤلاء الأوغاد آذوا مشاعر السيدات اللواتى كن يجلسن بالقرب منهم إيذاءً شديدًا .

وبالطبع : كانت هذه العلقة التى أعطيناها لهم تعويضًا لنا عن الفيلم »[1] .!!

هذا هو « الشاب » جمال عبد الناصر « بعظمة لسانه » .. لكن الأستاذ منتصر يروج غير ذلك على صفحات الأهرام .

●● يروج أن جمال عبد الناصر « أحب فتاة شقراء الشعر تنتمي إلى أسرة من الباشوات » .. فى حين أن خطاب عبد الناصر نفسه ليس به – كما ترون – حرفًا وحدًا يفهم منه أن فتاته « تنتمى إلى أسرة من الباشوات » كما يروج الأستاذ منتصر .. فهى تسكن فى حى الظاهر ، وتعمل مدرسة فى مدرسة الفنون الطرزية بشبرا .. وتتجول دون الحراسة التقليدية لبنات الباشوات .. ويمكن تتبعها ومعاكستها ، دون خوف من والدها الباشا – المزعوم – لولا أن عبد الناصر هو الذى أراد أن ينزه نفسه عن « عبث الشباب الحديث » .

ويستطيع السيد صلاح منتصر – أيضاً – أن يراجع بنفسه وفيات جريدة الأهرام فى ١٧ مايو سنة ١٩٧٠ .. ليتأكد جيدًا بأن – فلانه هانم – أول من خق لها قلب عبد الناصر ، و .. « فقيدة عائلة الصدر » لم تنتسب من قريب

---

(١) صفحة (٢٨٩) من « ٧٢ شهرًا مع عبد الناصر » – لفتحى رضوان .

أو بعيد إلى أسرة من الباشوات .. فهى « حرم أستاذ بكلية المعلمين ، وشقيقة عميد متقاعد بالقوات المسلحة ، وعميد سابق بكلية الفنون التطبيقية ، وحرم قبطان ، ودكتور مهندس ، ومفتشتين بالتعليم ، وسفير بالجزائر ، و .. لم يذكر النعى أى شيء بالمرة عن والد الفقيدة » .!! « راجع صورة النص بملحق الوثائق » .

وبديهى أن المركز الإجتماعى لوالد الفقيدة ، لو كان من المراكز أو الوظائف الأهم .. لكان قد سبق فى سطور النعى ، وظيفة « الزوج ، والأشقاء ، والشقيقات .. وأزواج الشقيقات » .!!

●● ويروج الأستاذ صلاح منتصر أيضًا : أن فتاة عبد الناصر .. « كان من عادتها أن تذهب كل يوم أربعاء ، إلى سينما ديانا ، لمشاهدة حفل الساعة الثالثة بعد الظهر .. وكان جمال عبد الناصر حريصًا على أن يكون دائماً على باب السينما كل يوم أربعاء ، إنتظارًا لرؤية الفتاة ، التى أحبها .. فى صمت » .. فى حين أن خطاب عبد الناصر نفسه ليس به حرفًا واحدًا يؤكد صحة ما سبق .. فالسينما هى سينما « فيكتوريا » .. وليست « ديانا » .. والفتاة لم يكن من عادتها أن تذهب إلى السينما فى الثالثة بعد ظهر الأربعاء من كل أسبوع .. وإنما منزلها هو الذى يقع — بالصدفة — أمام السينما مباشرة .. ولهذا فإن عبد الناصر ، فى أجازاته « لا يمتع نظره » برؤيتها يوم الأربعاء فقط كما قال الأستاذ منتصر .. وإنما كل أيام الأسبوع .. فيما عدا يومين أثنين « عنده فيهما عمل بعد الظهر » .. وهما يوما السبت .. والثلاثاء .!!

●● ويروج الأستاذ منتصر أيضاً : أن عبد الناصر تجرأ وتقدم لخطبة فتاته من أسرتها .. إلا أن والدها الباشا « ثار عليه .. وربما طرده من المنزل » .. مما أحدث « جرحاً عميقاً » فى نفس عبد الناصر ، وترك لديه « عقدة خاصة » من الباشوات .. دفعته بعد الثورة إلى أن يقتص منهم جميعًا ، بإلغاء الألقاب « !! » .. فى حين أن خطاب عبد الناصر نفسه يؤكد أنه لم يتقدم لخطبتها رسمياً .. وإنما « سأل عنها » .. فعرف أن « لها أختان أكبر منها .. وأنه لا يمكن زواجها إلا بعد زواجهما » .

هذا كل ما فى الأمر ..!!

□□

عفوًا .. هذا ليس كل ما فى الأمر .

فعبد الناصر يعترف فى خطابه بأنه انتقل إلى حى الظاهر .. وبينما كان يتجول به فى أحد الأيام « وجد » فتاته ، التى يعرفها بالاسم .

ويعترف أيضًا .. بأن صديق عمره حسن النشار « يستطيع أن يعرف ماذا جرى له عندما رآها » .. وهو ما يقطع بأن جمال عبد الناصر ، كان يعرف « فلانه هانم » قبل أن يقابلها – فى هذه المرة – وهو يتجول صدفة فى حى الظاهر .. وأن صديقه حسن كان يعرف هو الآخر .. قصة حبهما .

فما هى – بالضبط – تفاصيل .. التفاصيل .. فى هذه القصة « ؟!! »

○ ○ ○

٣ - و .. لاحظت اللجنـــة

حضرات الركاب ..
نأسف لصفير القطار .

نأسف لأن الصفير - كما ترون - أقرب إلى « شخير » النائم .. الذى وصل متأخرًا إلى عصر البخار .

نأسف لأن القطار ، لا يشأ أن يتحرك من منتصف الرواية .

لا يشأ أن يتحرك ويأخذنا إلى أدق التفاصيل فى « قصة المرأة التى أحبها جمال عبد الناصر » .. إلا من محطة البداية .

محطة والده : عبد الناصر أفندى .. وكيل البوسطة .

□□

إسمه : عبد الناصر حسين خليل سلطان .
ولد - سنة ١٨٨٨ - فى قرية صغيرة من قرى الصعيد البعيد .. إسمها « بنى مر » .

وتجمع معظم المصادر التاريخية القديمة ، على أن كل أسماء الأماكن التى تبدأ بكلمة « بنى » .. مثل بنى مر ، وبنى مزار ، وبنى قره ، وبنى سويف .. هى كلها

أسماء لأماكن إستوطنتها قديماً قبائل عربية خالصة .. كانت تحمل نفس الاسم أو مشتقاته .

وتحتمل بعض المصادر الأخرى ، أن قريتنا هذه ، يعود إسمها إلى جماعة من الفرسان العرب ، عسكروا أثناء الفتح العربى لمصر ، على بعد ثلاثة كيلومترات إلى الشمال الشرق من مدينة أسيوط .. التى لا يعرف الكثيرون منا ، أنها هى الأخرى مسقط رأس الفيلسوف اليونانى الشهير أفلاطون .

ولا يعرف الكثيرون أيضًا : بأن تلك المدينة العريقة .. بنى عليها « أخناتون » منذ أربعة آلاف سنة ، عاصمته الشهيرة « أخيتاتون » وأتخذها مقرًا لحكمه .. ورمزًا لوحدة مصر العليا والسفلى .

والغريب أن « المقريزى » فى وصفه الجغرافى لمصر .. حينما أراد أن يحدد موقع « دير القديس فيكتور » استخدم اسم قرية « بنى مر » .. وأهمل اسم مدينة « أبنوب » التى هى أقرب إلى ذلك الدير .. وهو ما يمكن أن نستنتج منه أن هذه القرية الصغيرة ، ذات الاسم العربى القديم .. كانت فى هذه الفترة معروفة أكثر من « أبنوب » التى أصبحت فيما بعد مدينة كبيرة ، ومركزًا يتألف من عدة قرى صغيرة .. إحداها قرية « بنى مر » .

□ □

مآذن مساجد « بنى مر » الثلاثة ، وكنيستها القبطية الوحيدة .. تتداخل مع أشجار النخيل المرتفعة فوق بيوت القرية .

معظم البيوت ، لا تختلف كثيرًا عن العشش والأكواخ .. فيما عدا القليل من بيوت العائلات الميسورة .

حاكم أسيوط ، أو مدير ناحية « أبنوب » .. لم يكن – وقتها – يتذكر قرية « بنى مر » الصغيرة .. إلا عند « جباية » الضرائب ، أو عند حلول الدور على أحد أبنائها لتأدية الخدمة العسكرية .. فلا مستشفى بها ، ولا نقطة شرطة ، ولا حتى مدرسة حكومية واحدة .

كيف يمكن أن يكون فى « بنى مر » مدرسة .. وهى التى لا يزيد عدد سكانها – فى ذلك الوقت – على خمسة آلاف نسمة ، ربعهم من الأقباط .. بينما مدينة « أسيوط » التى يزيد عدد سكانها على (٣٩) ألف نسمة .. لا يوجد بها كلها مدرسة إبتدائية واحدة . اللهم إلا مدرسة وحيدة خاصة بالأقباط ، وكانت – لحسن الحظ – تستقبل تلاميذ المسيحيين والمسلمين على السواء .؟!

□ □

كان ذلك هو حال قرية « بنى مر » فى سنة ١٨٨٨ .. أى فى وقت أن ولد بها عبد الناصر أفندى .. وكيل البوسطة .

كان ذلك هو الحال .. وقت أن كان الانجليز يشرفون على التعليم فى كل « البر المصرى » .

أما إذا أردت أن ترى – بالمناسبة – حال « بنى مر » الآن .. فسيصبح عليك أن « تخطف رجلك » إلى مدينة أسيوط ، ثم تلقى بنفسك – هناك – فى أى سيارة أجرة تعمل « على الخط » فى نقل الركاب « بالنفر » .

وبعد أن يفرغ السائق من شرب الشاى .
وبعد أن يفرغ أيضاً من يشرب منهم الشيشة أو « الجوزه » .

وبعد أن يفرغ كل منهم من « حشر » أكبر عدد ممكن من الركاب .. فى سيارته .

بعدها : سيتكرم السائق ويتحرك بالسيارة إلى شرق أسيوط .
سيتجه شرقاً : ليعبر بك كوبرى ضيق ، يختنق بالناس وبالعربات ، وبضجيج الباعة .

سترى قناطر أسيوط ، وهى تمد أذرعها بعرض النيل ، يمر من فوقها آلاف السيارات العابرة يوميًا .

وسترى أيضاً .. فرشاة الفنان ، وقد إمتدت هى الأخرى ، باللون الأخضر على جانبى النهر .. ذلك الذى لم يكل أو يمل من السريان والعطاء منذ آلاف السنين .

وعند نهاية القناطر : ستتوالى المشاهد أمامك وأنت تتجه يميناً .. سترى باعة الفاكهة يفترشون الأرض على جانبى الطريق .. وسترى « أكشاك » السجائر ، والمثلجات ، والمقاهى البوص ، و « الدكك » الخشبية ، وعشرات من سيارات الأجرة المكدسة – أثناء الرجوع – بالطلاب القادمين ، أو الذاهبين إلى مدارس وكليات جامعة أسيوط .. بعد زيارة الأهل فى القرى و « النجوع » .

وبعد أن تمر – على يمينك – بعدد من المزارع والحقول .. سيتوقف بك السائق عند مدخل الطريق المؤدى إلى القرية .

وعند المدخل .. ستملأ عينك « لافتة » شامخة وسط الحقول ، عليها صورة لجمال عبد الناصر .. وبجوارها كلمات تقول :

●● بنى مر .. إحدى قرى مركز أبنوب والفتح .
●● بنى مر .. بلد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر ، الذى قاد ثورة (٢٣) يوليو ، والذى أعاد للمصريين كرامتهم ، والذى رفع شعار « أرفع رأسك يا أخى فقد مضى عهد الاستعباد » .

●● نرحب بك .. فى بلد ابن مصر الخالد .
●● نرحب بك .. على أرض مركز أبنوب والفتح .

□□

نرحب بك .. فتتوهج فى ذاكرتك ، أيام البناء .. والكبرياء ، وشموخ الثوار .. وكأن الحقول ، والمداخن ، ومدارس الأطفال .. لا زالت تغنى من حولك لجمال .. حبيب الملايين .. للنور طالعين ، للخير جايين .. يا جمال ، يا حبيب الملايين .

وعلى يسار الطريق : ستراه – أيضًا – وحيدًا .. وقعيدًا .. ومهجورًا حتى الآن .. ذلك هو حجر الأساس الذى كانوا قد سارعوا – زمان – بإرسائه ، إيذانًا بالبدء فى بناء (٢٥٠) بيتًا ريفيًا حديثًا ، يتوسطها « فيللا » أنيقة تليق برئيس الجمهورية .. وهو ما سموه وقتها – على الورق – بمشروع قرية « بنى مر » النموذجية .. والتى ذهبوا إلى جمال عبد الناصر ، يزفون له وقتها ، خبر البدء فى بنائها .. « لأن العديد من السياح والصحفيين الأجانب يريدون رؤية بيت الزعيم وقريته » .

وقتها : تغير لون جمال عبد الناصر .. وقال لكل من حوله :

– جرى إيه يا جماعة .. العظمة هى أن يرانى من يريد كما أنا ، بلا تزويق .. فأنا جمال عبد الناصر ، إبن بنى مر .. أفخر بأن عائلتى لا تزال تعمل وتزرع فى القرية .. وأفخر أكثر من هذا بأنى من عائلة فقيرة .. أقول هذا لأسجل أن جمال سيستمر حتى يموت فقيرًا فى هذا الوطن .. أوقفوا كل شىء .. لأننى لو لم أكن رئيسًا للجمهورية ، ما كنتم قد أظهرتم كل هذا الإهتمام بقريتى .. وأنا أرفض لى أو لعائلتى أو لقريتى ، أى ميزة ترتبط بمنصبى... قريتى هى كل القرى فى مصر .. واهتمامى لا يجب أن يقتصر على قرية واحدة .. دون غيرها .!!

لهذا : لا يزال حجر أساس مشروع قرية بنى مر « النموذجية » .. وحيدًا .. وقعيدًا .. وشاهدًا على أن قرية جمال عبد الناصر ، لم تكن « بنى مر » وحدها .

لم يخصها دون غيرها ، بالبيوت « الحجرية » .. وبالأسفلت .. وبالسخانات الشمسية .. وإنما امتد بصره إلى كل القرى المصرية ، بالمدارس .. والجمعيات الزراعية .. والكهرباء .. والساحات الشعبية .. والمستشفيات .. ومياه الشرب « النقية » ..

أما بيته هناك .. فى بنى مر .. فلن تجده قد تحول – كما فعل السادات فى ميت أبو الكوم – إلى استراحة ريفية أنيقة ، محاطة بالمدافع والرشاشات .. ومزودة بمطار صغير للطائرات « الهليوكبتر » .. يحط عليها فى عيد ميلاده كل عام ، ليجلس فى

حديقتها – بالعباءة والبايب – أمام عدسات التليفزيون ، ويتحدث إلى « إبنته همت .. عن حجرة الفرن » .!!

لن تجد بالطبع شيئاً من ذلك .. ستجد بيت جمال عبد الناصر لا يختلف فى شىء عن كل بيوت القرية .. قاعة للنوم ، وحجرة للفرن .. ومندرة للضيوف .. ومصطبة للجلوس .. وزريبة للبهائم .. وسلم طينى متآكل يؤدى إلى سطح البيت ، حيث القش ، والحطب ، وبلاليص المش ، والجبن القديم .

□□

هنا ولد عبد الناصر افندى .. وكيل البوسطة .

وهنا أيضاً .. تلقى فى « كُتّاب » الشيخ أحمد قراعه ، دروس الهجاء .. وحفظ القرآن .

ولما أحس والده – الحاج حسين خليل سلطان – باستعداده الطيب لمواصلة التعليم .. ألحقه بمدرسة أسيوط القبطية ..

وبالطبع : لم يكن من السهل على الحاج حسين ، إعالة ستة من أبنائه ، هم عبد الناصر ، وخليل ، وسلطان ، وعطية ، وطه ، وعبد الباسط .. إلا أن أكبرهم عبد الناصر ، أراح والده كثيرًا ، حينما أنهى دراسته الإبتدائية دون تعثر .. وأصبح موظفًا حكوميًا فى هيئة البريد .. حيث أرسلته الهيئة ، ليبدأ حياته العملية وكيلاً لمكتب بريد حى « باكوس » بالاسكندرية .

وهناك : تزوج عبد الناصر أفندى فى سنة ١٩١٧ .. من فتاة « بلدياته » إسمها فهيمة .. إبنة المقاول المعروف محمد حماد ، الذى كان قد نزح من مدينة « ملوى » بمحافظة المنيا .. وأقام فى الاسكندرية ، حيث عمل بها فى تجارة الفحم وتوريده ..

تزوج عبد الناصر أفندى ، من الست « فهيمة محمد حماد » .. واستأجر لها منزلاً فسيحًا « من بابه » .. هو المنزل رقم (١٢) شارع الدكتور قنواتى بحى « باكوس » الاسكندرية .

ولهذا المنزل – هو الآخر – حكاية ..

□□

بعد وفاة جمال عبد الناصر بأيام قليلة ، رأينا كلنا رئيس الجمهورية الجديد محمد أنور السادات ، وهو « ينحنى » أمام « تمثال » جمال عبد الناصر فى مجلس الشعب .. إمعانًا فى إظهار الوفاء والإجلال .

رأينا كلنا ذلك على شاشة التليفزيون .. يومها .

وفى نفس هذه الجلسة الشهيرة .. رأينا أيضاً الرئيس السادات وهو يصفق بشدة ، لقرار أصدره المجلس بالإجماع .. ويقضى بتحويل المنزل الذى استقبلت فيه « الست فهيمه » طفلها الأول جمال عبد الناصر .. « وهو المنزل رقم ١٢ شارع الدكتور قنواتى بالاسكندرية ، إلى متحف قومى ، يليق بوفاء الأمة ، لابن مصر الخالد ، الذى ولد فى هذا المنزل ، وشهدت حجراته ، ومحتوياته ومبناه ، سنوات طفولته الأولى وصباه » .

ومن يومها – ومن فرط وفاء الأمة لأبنائها – ظل المنزل طوال عصر السادات .. مهملاً ، ومهجوراً ، ومسكنًا للزواحف والحشرات .!!

ولما رحل السادات .. تذكرت – مشكورة – لجنة الثقافة والإعلام بالمجلس المحلى للاسكندرية ، بأن هناك منزلاً ، ومتحفاً ، وقراراً .. وكلاماً كثيراً عن الوفاء والإكبار « !! »

وتذكرت اللجنة أيضًا : أن هناك « مذكرة وردت إلى المجلس من أهالى شارع الدكتور قنواتى بباكوس ، يطالبون فيها بالتطوير ، والترميم ، والعناية اللائقة بالمنزل ، الذى ولد فيه الزعيم جمال عبد الناصر ، بدلاً من تركه هكذا مهملاً .. ومهجورًا » !!

وفى (٤) ديسمبر ١٩٨٦ .. إجتمعت اللجنة لبحث هذه المذكرة – التى وردت من أهالى الشارع ! – وأسفر البحث فى النهاية عن تقرير رسمى قالت فيه

اللجنة ، أنها « قامت بزيارتين ميدانيتين لمعاينة المتحف على الطبيعة ، ولكنها كانت تجد المتحف أو المنزل مغلقًا فى كل مرة .. لعدم وجود مسئول .!!

وفى الزيارة الثالثة : لاحظ أعضاء اللجنة - كما يقول التقرير - مدى الحالة السيئة والإهمال الشديد الذى يعانى منه المنزل ، ومحتوياته المتناثرة ، والذى لا يليق بمكانة جمال عبد الناصر .!!

كما لاحظت اللجنة أيضاً : أن المنزل يحتوى على أثاث قديم ، ومهمل .. تشك فى أنه يخص الزعيم .. وكذلك أربع صور فوتوغرافية للقائد الخالد جمال عبد الناصر وهو فى الحكم .. ولا توجد بالمنزل أية سجلات ، أو بيانات رسمية .

كما أن المنزل ، أو المتحف غير معروف للجميع من أهالى المنطقة ، بسبب عدم وجود أية لوحة أو لافتة تشير إلى طبيعة المنزل وأهميته التاريخية .

وهو الآن : أقرب إلى فيللا مهجورة ، محاطة بسور حديدى أكله الصدأ .. ويحتوى على خمس غرف وصالة وبدروم وحديقة بها عدد من الأشجار التى ما زالت مورقة ومخضرة .. وبحديقة المنزل أيضًا كشك خشبى كان مخصصًا لأحد الخفراء .. لكنهم سرعان ما سحبوا الخفير .. ونسوا الكشك » .!!

وفى نهاية التقرير : أوصت اللجنة بعدد من التوصيات .. أقر المجلس المحلى بالاسكندرية ، أربعا منها تقول :

أولاً : تتولى وزارة الثقافة مهمة الإشراف على المنزل - المتحف - كجهة مختصة بعد أن تقوم محافظة الاسكندرية بترميمه جيدًا .

ثانيًا : تقوم وزارة الثقافة بالبحث والإتصال بالهيئات الثقافية والإعلامية المعنية ، لرصد وتجميع كل ما كتب عن الزعيم الراحل بالعربية أو الأجنبية .. سواء فى شكل كتب أو أبحاث ، أو مقالات ، أو دراسات ، أو تحقيقات صحفية ، بالإضافة إلى تجميع كل أقواله ، وخطبه فى المناسبات المختلفة ، وتجميع كل الصور الفوتوغرافية ، التى تعكس مراحل حياته ، منذ طفولته ، وحتى وفاته .. وكذلك الشرائط والأفلام

التليفزيونية والسينمائية ، والأغنيات الوطنية ، التى تغنت بنضاله وأعماله .. على أن توضع جميعها فى منزل الزعيم .

ثالثًا : إقامة تمثال نصفى للزعيم الخالد جمال عبد الناصر يوضع بمدخل المنزل .

رابعًا : اعتبار المنزل متحفًا قوميًا عامًا .. والتوجه لدى هيئة الآثار القومية ، ومخاطبتها فى هذا الشأن »[1] .

□□

مرة ثانية : يقررون على الورق فقط « اعتبار المنزل متحفًا قوميًا » .!!

مرة ثانية : وكأن مجلس الشعب لم يقرر ذلك منذ ١٩ عاما .. وكأن السادات لم يصفق بشدة – سنة ١٩٧٠ – لنفس هذا القرار .

شخص واحد فقط .. هو الذى لم يفهم – وقتها – معنى هذا التصفيق .. ذلك الشخص هو ممدوح سالم ، حينما كان محافظاً للاسكندرية .. حيث سارع وقتها بزيارة المنزل ، وأشرف على طلائه ، وتزيين نوافذه بالأعلام واللافتات .!!

وفى الذكرى الأولى لرحيل جمال عبد الناصر : خرجت من نفس المنزل الذى شهد مولده .. شعلة رياضية ، اخترقت شوارع الاسكندرية ، ووصلت إلى أستاد القاهرة .. الذى كان يسمى وقتها باستاد « ناصر » الرياضى .

وفى الذكرى الثانية للرحيل : كانت العجلة قد بدأت الدوران فى الإتجاه المضاد .. فى اتجاه إسرائيل .. وأمريكا .. والسير على طريق عبد الناصر .. بالأستيكه « !! » .

---

(١) لمزيد من التفاصيل : راجع محضر إجتماع المجلس المحلى لمدينة الاسكندرية – جلسة (٢٩) يوليه ١٩٨٧ .. وكذلك قراره الصادر فى نفس الجلسة ، بتفويض لجنته الدائمة للعمل بهذه التوصيات .

وراجع أيضاً : تقرير ومحضر اجتماع لجنة الثقافة والإعلام بالمجلس – جلسة (٢٤) ديسمبر ١٩٨٦ .

لهذا .. تغير كل شىء ، وانقلب حال البيت .. وتكدست فى الشارع كله .. أكوام القمامة .!!

انقلب حال البيت .. فأصبح الباقون على قيد الحياة من جيران عبد الناصر أفندى وكيل البوسطة ، لا يجدون فارقًا كبيرًا بين « حال البيت » حاليًا .. وحال « اليوم » الذى ولدت فيه الست فهيمه طفلها الأول جمال .

كيف ..؟!

○ ○ ○

٤ - حتى الحمار فى مصر .. ؟!

هذا هو اليوم السادس من شهر « طوبه » .

وطوبه - فى كل الحروف المكتوبة - هو الذى يرغم الفقراء فى كل مكان ، على الإنكماش فى جلودهم .. أو فيما يبيتون فيه من بيوت .. وأحزان .

وأحزان الفقراء ، وبيوتهم - كبطونهم - فى أى بلد محتل ، دائماً خاوية .. إلا قليلاً .

□□

هذا هو اليوم السادس من شهر « طوبه » .

حبات المطر .. والخطر .. وأوجاع البشر فى « بر مصر » .. ما زالت تساقط معًا .. فتبتل .. وتعتل .. وتتداخل سطور وحروف الجرائد « المفروشة » على زجاج النوافذ فى حى « باكوس » بالاسكندرية .

حبات المطر .. والخطر .. وأوجاع « الولادة » .. تساقط معًا على زجاج نافذة الست « فهيمه » .. كدقات الطبول .

صوت سيد درويش ، يتداخل هو الآخر مع نقرات المطر على زجاج النافذة .

كل الذين تجمعوا حول المولود الجديد .. قالوا له مع سيد درويش :

قــوم يــا مصــرى ∴ مصـــر أمـــك بتنـاديـك
قــوم يــا مصــرى ∴ نصرى دين واجب عليك

كلهم غنوا .. وهم يعرفون مسبقًا الاسم الذى سيطلقه عبد الناصر أفندى .. على طفله الأول .

وكلهم أيضًا : كانوا يعرفون أن الرجل – ككل الآباء الصعايدة – كثيرًا ما تمنى أن يكون مولوده القادم « ذكرًا » .. وكثيرًا ما سماه فى خياله « جمال » .

ربما .. لأن « المعيشة » وقتها ، كانت خالية من أى جمال .!!

□□

هذا هو اليوم السادس من شهر « طوبه » .

وطوبه – فى كل كتب الجغرافيا – هو أشهر شهور الشتاء فى « بر مصر » .. مطرًا .. وبرودة .!

لهذا : فإن الست فهيمه – مثل زوجها – ما زالت فى غاية الحيرة .!!

هل تدفع عن طفلها خطر البرد ، أم خطر الجوع .. أم خطر الكوليرا ، والطاعون .. والحرب التى لا ناقة لهم فيها ولا يحزنون .

هذه جريدة تقطع .. بظهور « ثلاث إصابات جديدة بالكوليرا ، خلال الخمسة عشر يومًا الأخيرة بين العمال والريفيين ، الذين عادوا أخيراً من خدمة جيوش الحلفاء فى الحرب »[1] .

---

(١) العدد رقم (٨٣٠) من جريدة « الأخبار » فى يوم الثلاثاء ١٥ يناير ١٩١٨ ، الموافق ٦ من شهر طوبه سنة ١٦٣٤ – الثمن خمسة مليمات ، وتطلب من الإدارة (٥) شارع سيف الدين المهرانى بالفجالة . والجريدة مقررة من المحاكم الأهلية والمختلطة لنشر الإعلانات القضائية .

وهذه أخرى تحذر أهالى الريف من « ظهور مرض الطاعون البقرى منذ أيام فى بعض القرى التابعة لمركز سنورس »[1] .

والحق أن الست « فهيمه » تشد الأغطية وتحكمها جيدًا – كل دقيقة – حول طفلها الذى جاء إلى الدنيا هذا الصباح .. لكنها – مثل زوجها عبد الناصر أفندى – لا تعرف ماذا تخبئه الأيام لطفلها الرضيع « جمال » خصوصًا فى ظل ما تتحدث عنه صحف اليوم الثلاثاء ١٥ يناير ١٩١٨ من « جبروت المحتل .. والعدل المختل .. بينما ولاة الأمور ، غارقون فى نعيم القصور .. رغم أزمة الوقود ، وغلاء القوت ، وتلاعب التجار فى البضائع والأسعار .. علاوة على هذه الحرب ، التى لا ناقة لنا فيها ولا عنزاء ، والتى يتقاتل فيها الأفرنج .. وندفع نحن الثمن ، لينتصر الحلفاء »[2] .

حتى أن جريدة « الأخبار » هى الأخرى ، قد نعت إلى الجميع أن الحال فى مصر لم يعد يختلف عنه فى بلاد الشام .. بعد أن « علمت أمس فى رسالة خصوصية من القدس ، أن السيد خليل العور ، مترجم روايات اللطائف ، قد مات فى دمشق جوعًا .. وأن الكاتب الأديب طنيوس عبده ، أصبح هو الآخر ، لا يملك الآن ثمن ما يطعم به أسرته ليلة واحدة .. بسبب أهوال الحرب فى بلاد الشام » .. فما بالنا – إذن – بموظف البريد فى حى باكوس .!!

عمومًا : صحيفة دار الحماية البريطانية المسماه « المقطم » .. بشرت عبد الناصر افندى فى الصفحة الأولى بأن « المكارم السلطانية قد جادت وتعطفت بمبلغ ٢٥٠ جنيهًا مصريًا على جمعية الصليب الأحمر الفرنساوى .. فى الوقت الذى تعطفت فيه أيضًا بعض العقيلات المحترمات فى القاهرة وأقمن حفلاً ، لإغاثة أخوتنا المهاجرين

---

(١) صفحة (٢) من جريدة « وادى النيل » الصادرة صباح الثلاثاء الموافق ١٥ يناير ١٩١٨ – الثانى من ربيع الثانى سنة ١٣٣٦ هجرية .

(٢) صفحة (١) من جريدة « البصير » الصادرة صباح الأثنين ١٤ يناير ١٩١٨ الموافق أول ربيع الثانى سنة ١٣٣٦ هجرية .

من أهالى سوريا ولبنان ، ممن وفدوا إلى مصر هربًا مما يجرى فى بلادهم من أهوال الحرب ، علاوة على أن عددًا من كرائم الآنسات ، قد أنشدن فى هذه الحفلة نشيدًا مؤثرًا يقول :

« سوريا يا وطنى صبرا ∴ لا البؤس يدوم ولا النعم
بسط الكرماء أكفهم ∴ ولغوثك هبوا كلهم
لا تهنأ مصر بنعمتها ∴ والشام تحف به النقم
ستزول الحرب وإن عبست ∴ ويعود الدهر .. فيبتسم »

هذا ما قالته جريدة « المقطم » صباح اليوم عن حال بلاد الشام .

أما عن حال الريف المصرى : فقد أكدت كل الجرائد الصادرة صباح أمس واليوم بأن « السلطة تحاصر جموع الريفيين ، أثناء ذهابهم إلى الحقول ، والأسواق .. ثم ترسلهم سخرة إلى سيناء ، والعراق ، وفلسطين ، والدردنيل .. لخدمة جيوش الحلفاء .. فى حرب لا ناقة لنا فيها ولا بعير » .!!

وفى الاسكندرية .. « استطاعت البلدية أن تجمع أمس الأول مساهمة مالية جديدة فى تغطية نفقات وخدمة جيوش الحلفاء ، بما يزيد على ٢٢٠ جنيهًا مصريًا كضريبة على الكلاب .. علاوة على أن عمدة قرية العزيزية بمديرية الشرقية ، كان قد أخفى حماره عن السلطة العسكرية .. إلا أن السلطة بحثت عن الحمار وأمسكته .. وتبين لها أنه أحسن حمار فى مصر .. فاستولت عليه .. وصادرته »[1] .

وهو الأمر الذى دفع – فيما يبدو – جريدة « المقطم » إلى أن « تطيب الخواطر » وتقول فى عددها الصادر اليوم : « ما كان البشر ليظنوا أن الحرب الضروس التى نشبت سنة ١٩١٤ ، تطلع عليها شمس سنة خامسة ، وما زالت المدافع تقصف ، والدماء تسيل ، وملاك الموت يحصد الأرواح ومعاول الخراب

---

(١) صفحة (١) عمود (٦) من العدد (٨٣٠) من جريدة الأخبار – مصدر سابق .

والدمار تعمل فى البلدان المتحضرة .. وما كان أشد الناس تشاؤمًا يظن أن سنة ١٩١٨ سوف تهل .. ورايات الحرب ما زالت مرفوعة على البر .. والبحر .. والجو فى انحاء البلاد .. » .

والجو فى حجرة الست فهيمة لايزال شديد البرودة .!

□□

نحن – كما قلنا – فى اليوم السادس من شهر طوبه .

وطوبه – فى كل كتب الأمومه – هو أشهر شهور الشتاء خطرًا على المولود .

إلا أن « المقطم » .. جريدة دار الحماية البريطانية ، هى – فقط – التى خرجت اليوم ، يوم مولد جمال عبد الناصر ، وهى تتغزل فى البرد .. والشرد .. وفصل الشتاء ، وتصفه بأنه « فصل النشاط ، والصيد ، والغراميات الملتهبة » .. على عكس جريدة « الأهرام » التى حرصت فى عددها الصادر أمس الاثنين ١٤ يناير سنة ١٩١٨ ، على أن تحذر « جمهور العامة » فى صفحتها الأولى من « اشتداد موجة البرودة » وتذكُّرهم بأن « برد مصر الحالى ، قادم من أوربا ككثير مما يأتى إلينا منها » .

وعليه : ليس أمام الست فهيمة الآن – هى وطفلها الوليد – إلا أن ينكمش كل منهما فى جلده .

أما أبناء الذوات والطبقات الراقية ، فقد نصحتهم أيضًا جريدة دار الحماية البريطانية ، بالتغلب على ليالى طوبه الباردة .. بارتداء « بالطو الشتاء ، والفورير ، وصوف كشمير ، من قسم الوجهاء والمشاهير ، فى محلات شملا » .. وذلك استعدادًا لقضاء سهرة اليوم – الثلاثاء ١٥ يناير ١٩١٨ – بدار « الأوبرا السلطانية مع رواية كارمن .. حيث تفتتح الحفلة السيدة منيرة المهدية بإنشاد مارش عظمة مولانا السلطان فؤاد الأول ، الذى تزدهر الفنون ، فى عهده الميمون .. كما ستوزع على الحضرات فى الألواج والبنوارات ، النوتة الموسيقية لهذا المارش ، محلاه بصورة عظمة مولانا صاحب العظمة السلطانية فؤاد الأول » .

وليكن فى المعلوم – هكذا تضيف المقطم – أن « جميع البنوارات والألواج الأولى والثانية قد نفدت ، ولم يبق للحجز سوى الفوتيل الاعتيادى والممتاز » .. وكما هو معلوم ومجاز فإن « الأسعار هى ٥٠٠ قرش للبنوار و ٤٠٠ قرش للوج الممتاز ، و ٢٥٠ قرشًا للإعتيادى » .

وكلها – فى رأى جريدة المقطم – أسعار فى متناول الطبقات الراقية ، على عكس « نظرة العوام لأسعار الغلال ومواد الطعام التى أصبح جمهور العامة ، يتأفف من ارتفاعها كل يوم ، حتى قفز سعر أردب الفول من ٧٠ قرشًا إلى ٣٦٠ قرشًا مرة واحدة ، وأختفى القمح من الأسواق ، وصعدت أسعار الأرز صعودًا كبيرًا هذا العام ، فأصبح ثمن الجوال ٢٢٠ قرشًا بدلاً من ١٣٥ قرشًا فى العام الماضى » .

و .. فى « تياترو الاجبسيانا » بشارع عماد الدين بالقاهرة ، تعلن إدارة التياترو – على صفحات الأخبار – عن عرض روايتين عظيمتين هذا المساء .. هما :

●● أديله جامد .. تأليف : أمين أفندى صدقى .

●● وحلق حوش .. تأليف : نجيب الريحانى .

ويوجد « ماتينيه خصوصى للحريم » كل ثلاثاء ، يبدأ فى الساعة الخامسة والنصف تمامًا .

وبين فصول الروايتين سوف تطرب الجمهور بصوتها الرخيم الآنسة فاطمه قدرى . !

كما تعلن « فرقة جورج أبيض عن بداية موسمها التمثيلى السنوى بدار الأوبرا السلطانية ، إعتبارًا من يوم ٢٠ يناير الحالى .. وذلك بتقديم أربع روايات جديدة ، هى تيمورلنك .. وشارل السادس .. والعثرة الأولى .. والشعلة » .!!

أما سينما « أكسلسيور بقرب محطة المترو » فسوف تعرض « أشرطة حديثة عن حوادث الحرب ووداع الحب ، وروايات كوميدية مدهشة » أعتبارًا من اليوم الثلاثاء ١٥ يناير ١٩١٨ الموافق يوم السادس من شهر طوبه .

و .. .. ..

□□

طوبه – كما قلنا – فى كل كتب الأرصاد البشرية .. هى أشهر شهور الشتاء التى تجبر البسطاء فى « بر مصر » على الإنكماش فى جلودهم .

وجلود البسطاء – كبطونهم – فى أى بلد محتل .. غالباً عارية .

وكيف لا تكون عارية .. وجريدة « الجورنال دى كير » قد صدرت اليوم هى الأخرى ، وهى تحمل على صفحتها الأولى صرخة البسطاء تحت عنوان « السرقة فى كل شىء » .. حيث راحوا يقولون « .. الأموال تسلب وتنهب ، ولا من يسمع شكوانا ، أو يرق لبلوانا .. أما الباعة فيهزأون بنا ، وبالقانون الذى يعاقب من يسرق ليسد جوعه ، بأشد العقاب ، ويهمل أمر جيش التجار ، الذى أصبح لا دين له ولا ملة سوى سلب ونهب أموالنا فى وضح النهار ، ليشيد بها صروح الفساد والاستهتار ، فوق انقاض الإنسانية التى تتألم .. وتنهار .

هل يرضى بذلك ولاة أمورنا ، المكلفون بالمحافظة علينا وعلى أرواحنا ؟!

ولماذا لم يضربوا بشدة على أيدى الطماعين ، بعد أن أصبحنا لا نجد شيئاً من لوازم المعيشة ، من علبة الكبريت حتى قطعة اللحم .. ومن لتر الجاز حتى كيلة القمح .. إلا وفى قبضة جماعة المحتكرين خربى الذمة ، الذين تدل أعمالهم وحركاتهم على أن كل ما يصنعونه هو فقط لإملاء بطونهم ، وجيوبهم ، وكل شىء سائغ لهم فى القطر المصرى .

ألم يقل أحدهم أمس على مرأى ومسمع من الناس : إنكم تهددوننى برفع الدعوى ، ولكننى أصبحت غنيًا جدًا وما عدت أخشى القضاء أو سطوة الحاكم ؟!!

فمتى يا ترى .. نرى الحكومة دائبة فى العمل ، لتبرهن لنا على أن فى مصر قضاة ، وحكامًا يستطيعون إذا شاءوا أن يضعوا حدًا لأطماع أولئك الطماعين ووقاحتهم المتزايدة » ؟!!

غريبة .. كيف فعلاً يستطيع الفقير أن يأكل ، أو يلبس .. بعد أن قالت اليوم جريدة « الأخبار » هى الأخرى بأن « المحكمة الإبتدائية عاقبت أمس ثلاثة أشخاص من أهالى قرية السعرانية التابعة لمركز كفر الدوار بالحبس لمدة ثلاث سنوات ، وعاقبت أيضاً سبعة آخرين من نفس القرية بالحبس لمدة سنتين ، لاتهامهم بسرقة بعض الأطعمة والملابس والأقمشة الصوفية من أحد قطارات السكه الحديد ، أثناء توقفه فى محطة القرية » ..

على أية حال : جريدة « البصير » قالت اليوم بأن « أزمة الجاز الحاضرة ، دعت بعض العامة لإبتكار طريقة جديدة تساعدهم على الإقلال فى استخدام الجاز .. وذلك بوضع إناء الطعام على موقد الكيروسين حتى يغلى فقط .. وبعد الغليان مباشرة يطفئون الموقد ، ويضعون الإناء فى صندوق مملوء بقش التبن ، ويغطونه بوسادة أخرى من التبن أيضًا .. لأن التبن من عادته حفظ حرارة الشيء .. وبذلك يظل الإناء حافظًا لحرارته ساعات طوال .. فينضج الطعام بلا جاز من جهة ، ويظل ساخنًا من جهة أخرى » .!!

وقالت الجريدة أيضًا « كل ما نخشاه هو أن يرتفع ثمن التبن – هو الآخر – غدًا .. لأن الناس بدأوا يزاحمون الماشية عليه » !!

□□

وقعت عين عبد الناصر أفندى على الصفحة الأولى لجريدة الأخبار .. وقعت عينه – بالضبط – على رأس العمود الرابع فازداد عموده الفقرى تقوسًا ، وراح يقرأ لزوجته الست فهيمه .. قائلاً :

« ترك لنا أجدادنا – رحمهم الله – مثلاً عاميا يقول ، ظلم القط .. ولا عدل الفار .. وهذا المثل ينطبق كل الإنطباق على مشكلة نقص الجاز ، بعد نقص الغذاء .. والتى عز فيها الطب .. وعز الدواء .

كانت البلدية توزع الجاز فى الأقسام على الأهالى بالثمن العادل والوزن المضبوط .. ولم يكن هناك ما يشكى منه سوى طول الإنتظار وشدة الإزدحام ،

ومتاجرة بعض الصياع ، وأحياناً ، تفضيل زيد على عمر .

ولما رأت البلدية أن تريح نفسها من هذا المأزق عهدت بأمر توزيع الجاز إلى أصحاب الدكاكين .. فمنهم من أحسن فيه التصرف بالحكمة والعدل ، وأولئك هم أصحاب ذمة ودين .. ومنهم من زاد فى السعر ، وأنقص فى الكمية ، وفضل زيدًا على عمر ، ووزع نصف الجاز الذى تسلمه من البلدية ، وخزن النصف الآخر .

والأغرب من كل هذا : أن أولئك التجار ، ممن يصلون ويسجدون نهارًا وليلاً ، ويعبدون الله على أعين الناس . وقد رأيت صدفة فى حارة المرغنى غربى سور المحطة ، واحدًا من هؤلاء وبجانبه أبوه – بوجوه سودها الإثم – يعتذران للجاويش على بيعهما ربع لتر الجاز بقرش صاغ .. وأيضًا على بيعهما نصف اللتر ربعًا ، بحجة أن الازدحام أضاع رشدهما .. فماذا كانت النتيجة يا ترى .؟!!

تشفياً من النساء الشاكيات اللواتى إستعن على هذا البائع وأبوه بجاويش الحكومة ، ما كان من البائع وأبيه إلا أن قفلا الدكان فى وجه ذلك الجمهور الواقف أمامهما ، وقفة العبيد أمام مولاهم .. وصاح فيهم الابن بأعلى صوته قائلاً : الجاز خُلُصْ ..

أما النساء : فقد عاد بعضهن من حيث أتين حاسرات باكيات بقزازات فارغة ، وبعضها مكسور نصفه أو رقبته ، والتف البعض الآخر من الجمهور ، حول رجل الحكومة المستجار به من ذلك البائع العارى من الذمة والدين .. وقالوا فى إنكسار : هل يرضيك هذا العمل يا حضرة الجاويش ..؟!

فقال الجوايش : وماذا يمكن أن أصنع .؟

فأجابه الجمهور : لما لا تتدخل ، وتتحقق مما يدعيه البائع من نفاد الجاز .

فأجاب الجاويش : وظيفتى لا تصرح لى بتفتيش الدكاكين .

وعند هذا الحد كان هناك شيخ يرقب حركات صاحب الدكان وسكناته .. فتنهد الشيخ وقال :

– ليتنا نعود إلى الحال القديم ، وتقوم البلدية بتوزيع الجاز ، بدلاً من هؤلاء الملاعين التجار .. الذين أثبتوا حقًا بأن « ظلم القط .. ولا عدل الفار » . !!

وعلى الصفحة الثانية .. أكدت نفس الجريدة ، أن « الأمير يوسف كمال .. سافر أمس إلى ضياعة الفيحاء ، وحدائقه الغناء ، ليهرب من برد طوبه الشديد .. إلى مشتاه الدافىء فى إقيلم الصعيد » .!!

كما .. « شوهدت أيضاً أعداد جديدة من القطارات المتدفقة بالموظفين الانجليز .. ليستمتعوا – فى بلادنا – بشمس أسوان الدافئة » .

هذا .. وقد « شرف أمس جلالة السلطان أحمد فؤاد سراى عابدين ، فرأس مجلس الوزراء ، وجالس الوجهاء .. ثم توجه – بعدها – إلى سباق الخيول » .!

و .. مع صوت ارتطام الحوافر بأرض السباق ..

كانت حبات المطر .. والخطر .. وسنابك المغول .. ما زالت تدق .. وتدق فوق نافذة الست فهيمه .. كدقات الطبول .!!

○ ○ ○

٥ – مـــات هـــو الاخـــر

وصل الآن قطار « التفاصيل » إلى منزل .. صديق العمر .

وصل القطار ، إلى منزل المستشار حسن النشار .

كان الرجل على « حافة » الكلام .

لم يكن فى حاجة .. إلا لمن يسمعه .

□□

فى المرة الأولى التىِ رأى فيها جمال عبد الناصر .. رآه على « كتف » أمه .

كان جمال ، لا يزال – وقتها – فى عامه الأول .

أما هو : فقد كان يكبره بثلاثة أعوام .

ومثلما يحدث فى الأفلام .. التقى الطفلان – صدفة – على محطة السكة الحديد .

التقى الطفلان .. لأن كل من أبويهما ، كان – وقتها – موظفاً بسيطاً فى مصلحة البريد .

وككل عائلات الموظفين البسطاء فى القرى ، كان عليهم أن يخرجوا جميعًا بالأمر .. ليصفقوا .. ويزغردوا .. لموكب السلطان فؤاد الأول .!!

وككل الأطفال فى هذه السن .. كان حسن يمسك – يومها – بذيل أمه .

وكانت أمه ، قد طالت وقفتها – هى الأخرى – فى الزحام ، فأعطت ثديها لشقيقته الرضيعه همت .. وأخفت ثديها بكفها .. عن الأنظار .!

إلى جوارها مباشرة : كان الطفل جمال عبد الناصر – على عكس إبنتها همت – يصرخ ويهتز على صدر أمه .

كانت « أم جمال » – أو السيدة فهيمه محمد حماد – لا تعرف يومها كيف تسكت صراخه .. فإنتظار الموكب قد طال ، والطفل « يقرصه » الجوع .. والأم النحيفه ، جف اللبن من ضرعها المهزول .!!

□□

ها هو الموكب على وشك الوصول .
وها هو – أيضاً – صراخ الطفل يرتفع فى السماء .

بعد قليل سيصبح على « الأم » أن تزغرد ، رغم شدة البكاء .. وسيصبح على زوجها – هو الآخر – أن يصفق بشدة .!!

قلب جارتها « وهيبه » لا يتحمل صراخ الطفل الجائع .

إبنتها همت – التى هى الآن وكيل أول وزارة الصحة – رضعت والحمد لله حتى شبعت .. لكن الأم فى كل الدنيا هى الأم .. لا تبخل على الطفل – أى طفل – بثديها عند الضرورة .

لهذا .. لم تفاجأ « أم جمال » حينما رأت جارتها الست وهيبه ، تناولها الطفله .. وتأخذ منها جمال لترضعه ، من نفس الثدى الذى أرضعت منه إبنتها همت .. منذ دقائق .

□□

الآن : هدأ بكاء الطفل جمال عبد الناصر حسين .. وأصبحت همت النشار شقيقته فى الرضاعه .

الآن : أصبحت همت « محرمة » عليه .

□□

مثلما يحدث فى الأفلام .. رأينا كيف التقى الطفلان صدفة ، على محطة السكه الحديد .

واحد رضيع .. والثانى يكبره بثلاثة أعوام .

ولأن كل من أبويهما ، كان موظفًا صغيرًا فى مصلحة البريد .. فقد تنقلا كثيرًا فى القرى ، والبلدان .

مرة يجتمعان معًا فى بلدة واحدة .. وعشرة يفترقان .
وعام بعد عام : رمتهما الأيام .. على القاهرة .

□□

فى أحد أيام أكتوبر سنة ١٩٣٤ .. التقى التلميذان من جديد فى مدرسة « النهضة » الثانوية ، بالظاهر .

حسن متعثر فى دراسته .. ولا يزال فى الصف « الرابع » الثانوى .
وجمال لحق به فى هذا العام .. فى نفس الصف .

حسن غارق لأذنيه فى أمور السياسة .
وجمال يرشق فى عروة جاكتته « بادج » من النحاس الأصفر للأهرامات الثلاثة .. الشعار الشهير لحزب « مصر الفتاة » .

وما إن رآه حسن – صدفة ! – وهو يخرج من بوابة المدرسة فى نهاية اليوم الدراسى .. حتى جرى إليه ، وصافحه ، وسارا معًا يتحدثان فى اتجاه مسكن حسن الذى كان يقع – وقتها – فى نفس شارع المدرسة .

فى الطريق : سأله حسن عن حكاية هذه الأهرامات النحاس .. وكيف .. ومتى أنضم إلى حزب « مصر الفتاة » .

قال جمال .

– بالصدفة .. كنت أعبر ميدان المنشية بالاسكندرية فى العام الماضى ، فوجدت أشتباكًا بين مظاهرة تهتف بحياة مصر ، وبين قوات البوليس .

وبالطبع .. لم أتردد فى تقرير موقفى ، وانضممت على الفور إلى المتظاهرين .. دون أن أعرف أى شىء عن السبب الذى كانوا يتظاهرون من أجله .

وصدقنى يا حسن .. لقد شعرت وقتها ، بأننى لست فى حاجة إلى السؤال عن السبب . لقد رأيت أفرادًا من الشعب فى صدام مع السلطة .. فاتخذت موقفى – بحكم – العادة – دون تردد إلى الجانب المعادى للسلطة .. ورحت أهتف معهم : تحيا مصر .. تحيا مصر .

ولما ضاق حصار البوليس للمتظاهرين .. انهالت قوات الشرطة علينا بالضرب من كل اتجاه .. فطالت رأسى ضربة ثقيلة ، أسالت دمى ، وأسقطتنى على الأرض .. « فبرك » فوق خمسة من رجال الشرطة ، ثم قذفوا بى مع الآخرين .. داخل عربة « البوكس » التى حملتنا جميعًا إلى قسم شرطة المنشية .

وهناك .. سألت من معى عن سبب المظاهرة .. فعرفت منهم أنهم أعضاء فى حزب « مصر الفتاة » .. وأنهم كانوا يريدون أن يعقدوا اجتماعًا سياسيًا عامًا فى الميدان ، للمطالبة بعودة دستور ١٩٢٣ .. إلا أن البوليس منعهم بالقوة .

وفى اليوم التالى : قرأ والدى اسمى فى قوائم المعتقلين التى نشرتها الصحف وقتها .. فجرى ، ومعه شيخ الحارة إلى قسم شرطة المنشية ، حيث تسلمنى من هناك ، بعد أن تعهد كتابة بعدم عودتى ثانياً إلى مثل هذه « الأفعال والمشاغبات » .. لكنى فى الحقيقة يا حسن لم أستطع أن أمنع نفسى بعدها من المشاركة فى قضايا البلد .. فبحثت عن جماعة مصر الفتاة وانضممت إليهم .

ولما انتقل والدى فى أواخر العام الماضى – أى فى أوخر عام ١٩٣٣ – إلى مكتب بريد « الخرنفش » .. جئنا معه إلى القاهرة .. وبحثت عن مقر « مصر

الفتاة » .. واستمعت إلى أحمد حسين ، وفتحى رضوان .. فازداد اقتناعى بهذه الجماعة ، وأصبحت « أعدى » على مقرها كل يوم بعد الظهر .. لأشارك مع غيرى فى عمل أى شىء للصالح العام .

وفى إحدى المرات على سبيل المثال .. كانت هناك كمية من جريدتهم « الصرخة » موجودة فى مطبعة « الرغائب » الموجودة خلف سينما « رويال » ولا يجدون عربة أو شخصًا لإحضارها ، فذهبت إلى المطبعة ، وحملت الجرائد على كتفى إلى المقر .. مرة ، ومرتين .. وثلاث مرات .. حتى نقلت الكمية المتبقية كلها .. وأنا فى أشد الاقتناع بما أفعل ، مساندة لهؤلاء الذين ضربهم البوليس لأنهم يهتفون بحياة مصر .!!

وفى مرة أخرى : كانوا يريدون ارسال الجريدة للمشتركين فيها ، ولا يجدون « ورق البوسطة » .. فكنت – مع غيرى – أتحسس مصروفى البسيط ، واشترى به لهم طوابع بريد .. ثم نحمل الجرائد ، ونذهب ، لنضعها فى صناديق بريد العتبة .

ولأننى كثيرًا ما أكون قد ساهمت بكل مليم معى .. فقد كنت أضطر للعودة إلى البيت – هكذا – سيرًا على الأقدام .!!

□□

وصل حسن إلى منزله .. قبل أن يصل جمال إلى نهاية حكايته مع حزب « مصر الفتاة » .

استأذنه حسن فى أن يذهب معه إلى مقر الحزب .. ليرى ويسمع بنفسه ما يجرى هناك .. ولكن بعد أن يناول حقيبة المدرسة لوالدته – الست وهيبه – التى رآها تنتظره فى نافذة شقتهم بالدور الأرضى .

إنتظر جمال على بعد خطوات قليلة من المنزل .

وما إن ناول حسن حقيبته إلى أمه .. حتى سألته عن زميله الذى يقف – بعيدًا – فى إنتظاره ، ثم طلبت منه أن يذهب ليناديه .. لأنها « عايزاه » .

دخل جمال مع زميله حسن من باب المنزل .. وفور أن دخل .. إحتضنته الست وهيبة ، وهى تقول :

- أنت مش عارفنى يا حبة عينى .. دا أنا أمك يا جمال .. أنت مش والدتك الست فهيمه بنت الشيخ حماد ؟!

هز جمال رأسه بالموافقة .. فاستطردت الست وهيبه تقول :

- ابقى اسأل مامتك يا ضنايا .. اسألها وهى تقول لك إننى « رضعتك » من صدرى دا على محطة السكه الحديد .. يبقى منتظر حسن بعيد ليه يا حبيبى .. دا أنا مامتك يا جمال .!!

□□

مسحت الست وهيبه بكفها دموع « ضناها » جمال .. وهو يخبرها بأن والدته فهيمه ، قد ماتت - منذ ٨ سنوات - دون أن يراها .

أما والده : فقد تزوج السيده « عنايات مصطفى » منذ عام واحد فقط .. بعد أن عاش « أرملاً » فى الخطاطبه سبع سنوات .. وزيادة .!!

□□

مرت اللحظات ثقيلة على التلميذ جمال عبد الناصر حسين .. تلميذ الصف الرابع الثانوى بمدرسة النهضة .. بحى الظاهر .

لم يكن يومها قد تجاوز السادسة عشر من عمره ..

ولم يكن أيضًا : يشأ أن يتذكر كيف توفيت والدته فى الاسكندرية ، وهو يعيش بعيدًا عنها مع عمه خليل فى القاهرة .

مرت اللحظات ثقيلة ، وهو يحكى للست وهيبه ، كيف أن والده قد أخفى عنه خبر وفاة والدته - التى كانت قد توفت فى ٢٦ أبريل ١٩٢٦ - ولم يعلم

به إلا حينما ذهب لزيارة أسرته كالعادة ، فى العطلة الدراسية – ليفاجأ بأن والدته التى كان شديد التعلق بها .. قد رحلت من الدنيا دون أن يودعها .

وما بين اللحظة التى دخلت فيها السيدة وهيبه إلى المطبخ .. واللحظة التى عادت إليه فيها ، وهى تحمل بعض « القراقيش » وكوبين من الشاى .. كانت الدنيا قد دارت به .. وأدارت فى رأسه شريط المأساة .

□□

كانت والدته – وقتها – حامل فى شهرها التاسع .

هى كما نعرف .. ولدت فى مدينة « ملوى » بمحافظة المنيا .. أى أنها « بلديات » زوجها عبد الناصر أفندى المولود فى قرية « بنى مر » بمحافظة أسيوط .

والمنيا وأسيوط – كما نعلم – محافظتان من محافظات الصعيد .. الذى ينتشر بين أهله ، وأهل محافظات الوجه البحرى على السواء « عادة » الحرص على أن تلد الزوجة فى بيت أبيها .

وبيت أبيها – فى هذا الوقت – لم يكن فى « ملوى » .

كان قد انتقل – وهى طفله – إلى مدينة الاسكندرية ، حيث عمل والدها هناك بتجارة الفحم .. وحيث التحقت هى الأخرى بمدارس الاسكندرية ، واكتسبت من بناتها رائحة البحر .. إلى جانب « أصالة » بنت الصعيد ، التى دفعت عبد الناصر أفندى إلى أن يقترن بها عام ١٩١٧ .. ودفعتها – هى الأخرى – إلى عدم التخلى عن زوجها .. والتضحية بحياة « المدينة » حينما تقرر نقله – سنة ١٩٢١ – من مكتب بريد « باكوس » إلى مكتب بريد أسيوط .. ومنه إلى مكتب بريد الخطاطبه .

وفى الخطاطبه – التى انتقل إليها عبد الناصر أفندى سنة ١٩٢٣ – أقامت أسرته الصغيرة ، فى بيت ريفى فسيح ، كانت الحكومة قد استأجرته بحديقته المسورة من صاحبته الست « أم غريب » نظير جنيهان فقط فى كل شهر .. لإقامة وكيل « البوسطة » وعائلته . « انظر صورة المنزل صفحة ٢٠٣ » .

أما مكتب « البوسطة » نفسه .. فلم يكن سوى حجرة فى هذا المنزل ، بها « خزنة البوسطة » .. ولها شباك حديدى يطل على الشارع العمومى ، يتعامل منه عبد الناصر أفندى مع أهالى البلده .

وفى أحد الأيام : استيقظ عبد الناصر أفندى وكيل البوسطة .. فرأى على أحد حوائط « مقر عمله الجديد » .. آثارًا تقطع بأن بعض اللصوص ، حاولوا فى الليلة السابقة « نقب » الحائط ، لإحداث فتحة فيه يتسللون منها إلى داخل الحجرة ، ليتمكنوا من سرقة الخزينة .. لكنهم – لسبب لم يعرفه – لم يتمكنوا من استكمال المحاولة .

ولما شاع الخبر فى البلدة .. أشترى عبد الناصر أفندى « كلب وولف » ضخم من « بنايوتى » اليونانى .. حتى يتمكن من النوم مطمئنًا .. بينما يسهر الكلب على حراسة المنزل و « خزنة » البوسطة .

ويوم بعد يوم .. أصبح الكلب واحدًا من أسرة عبد الناصر أفندى فى الخطاطبه .. يلعب .. ويسهر .. وينام .. بينما الست فهيمه تحنو عليه ، ولا تسهو عنه بالأكل والشرب والإستحمام .. وهو ما دفعه إلى التعلق بها ، وجعله لا يفارقها طوال النهار .. حتى حينما كانت تذهب لشراء الخضار من سوق القرية .

ولما كانت الست فهيمه فى شهرها التاسع .. فقد أستأذنت زوجها ، فى أن يأخذها – كالعادة – إلى بيت أبيها فى الاسكندرية ، لتستعد هناك لاستقبال طفلها الرابع « شوقى » بعد أن انتصف – أخيرًا – شهر الولاده .

□□

فى يوم سفر الست فهيمه إلى بيت أبيها فى الاسكندرية .. سد « كلبها » باب المنزل بجسمه .. يمنعها من السفر .

أزاحه عبد الناصر أفندى من طريق زوجته .. دفن الكلب رأسه بين أقدام الزوجة .. هز ذيله ، وتشبث بملابسها بقوة .

لم يكن أمام الست فهيمه – الحامل – إلا أن تمسح على ظهره ، وتخرج من الباب .. سار الكلب خلفها يعوى حتى محطة السكه الحديد .. صعدت الزوجة إلى القطار .. تشبث الكلب بذيلها ثانيا وهو يعوى .. نهره عبد الناصر أفندى ، وتركه فى البلده لحراسة البوسطة .

و .. .. حينما حلت لحظة قدوم الشقيق الرابع لجمال عبد الناصر .

حينما حلت اللحظة .. ماتت الست فهيمه أثناء الولادة .

ماتت فى الأسكندرية .. فأحس بها كلبها فى الخطاطبه .. ومات هو الآخر « !!! »

○ ○ ○

٦ - بالقلم الرصاص

لحظة .. إن أذنتم .

لحظة ، تفرسوا فيها معى ، وجه جمال عبد الناصر ، وهو يحكى للست وهيبه .. كيف ماتت أمه .. دون أن يراها .

تفرسوا فيها وجهه .. فقد ترون مثلى حلقة .. بئرًا .. عميقًا ، سحيقًا ، مظلمًا .. هوت فيه الحروف .!

قد ترون مثلى وجهه .. وقد ملأه الأسى .. وحاصرته الظروف .!

□□

عمه « خليل » ترك القاهرة .. بعد أن أرسلته وزارة الأوقاف ليعمل فى إحدى القرى المجاورة للمحلة الكبرى .

ووالده .. جاء لهم أخيرًا بزوجة جديدة لتحل محل أمه .

وأهل أمه كما يعلم .. هناك فى الأسكندرية .

حتى عندما ذهب لزيارتهم فى المرة الأخيرة ، لم يشعر بينهم بنفس الأحاسيس

المبتهجة التى كانت تغمره زمان .. وهو يلعب مع بنات أخواله ، وخالاته .. قبل وفاة أمه .

شعر بالملل والضيق الشديد هذه المرة .. حين يريد الطعام ، ترغمه جدته على أن يأكل فوق طاقته .. وحين يود النزهة ، إما أن تقتفى الجدة أثره ، وإما أن تحاصره بالقلق والمحاذير .. وحين أراد الذهاب إلى الميناء ليتأمل البحر ، وحياة البحارة .. أحس بأن بنات أخواله وخالاته – فى ملابسهن البيضاء المطرزة بالدانتيلا – يعتبرن المكان ، زحامًا .. وقذارة .

ها هو قد ترك الأسكندرية كلها .. وجاء وحيدًا إلى القاهرة .

وحتى لو كان والده يستشعر همه .. من فينا يمكن أن تعوضه الدنيا كله عن فقد أمه .؟!

كانت تسأل عنه ، وعن صحته ، وعما يأكل ، وكيف ينام .

كانت تعلم أن سكان القاهرة ، لا ينامون الليل .. لذلك كلما حضر لزيارتها فى الخطاطبه .. كانت تطلب منه ألاَّ يسهر خارج البيت ، وإذا حدث وفعلها .. فيجب أن يكون فى صحبة عمه .

هو يعرف جيدًا أن مثل هذه الأسئلة والنصائح ، تريح والدته لذلك كان يدعها تسأل وتنصح كما تشاء .. وكان يحرص على أن يحكى لها عن القاهرة .. « تلك المدينة الكبيرة التى بلا قلب .. حوادثها .. وكوارثها .. ومآتمها .. ومآتمها .. وأفراحها التى لا تحصى ولا تعد .. ومع ذلك فالناس يعيشون حياتهم ولا يعبأون كثيرًا بما يجرى حولهم » .

أما الترام : ذلك الإختراع الحديث الذى لم يصل بعد إلى الخطاطبه .. فلم يكن جمال ينسى أن يخبر والدته بأنه « كالقطارات الصغيرة المكشوفة .. لأن الناس يستطيعون أن يروا ركابه ، وإن كان لا يصفر كالقطارات المألوفة ، وليست له مدخنة .. لأنه يعمل بالكهرباء » .!!

□□

لم يشأ جمال أن يضعف أمام رغبته الطاغية فى البكاء .

أزاح « القراقيش » من أمامه ، واعتذر عن شرب الشاى .. ثم حمل حقيبته المدرسية ، ووقف مستأذنًا فى العودة إلى منزله .

من المؤكد أن والده – عبد الناصر أفندى – لم يفرغ بعد من عمله فى مكتب بريد الخرنفش .. وأخشى ما يخشاه إبنه البكر .. أن يصل إلى المنزل قبل والده ، فيجد البيت .. وقد شب فيه حريق النزاع بين زوجة والده الجديدة .. واشقائه الصغار .

أخشى ما يخشاه جمال .. هو أن يصل إلى البيت قبل أن ينتصف النهار .. هو لا ينسى يوم أن عاد من مدرسته مبكرًا فوجد شقيقه « عز العرب » منزويًا فى ركن الحجرة ، يبكى على فراق أمه التى لو كانت على قيد الحياة ، ما أرغمته – هكذا – على أن يحمل صفيحة القمامة ، ويذهب لإلقائها بعيدًا .. كلما تأخر مجيىء الزبال .

ولولا أن أشقاءه الثلاثة ، قد أخذهم أخيرًا ، عمهم خليل الموظف بوزارة الأوقاف ، لكى يعيشوا معه ومع زوجته الست أنيسة – التى لا تنجب – فى المحلة الكبرى .

ولولا أنه مثل كثير من أبناء حارة الخرنفش ، وخميس العدس ، وبين الصورين .. لولا أنه كثيرًا ما يلجأ مثلهم إلى هدوء مسجد الشيخ « الشعرانى » لإستذكار دروسه .. فضلاً عن إنشغاله المبكر بأمور السياسة .. ما كانت حرائق المشاكل فى بيتهم قد كفت عن الإشتعال .

والحمد لله : فالمسجد على بعد مائة متر فقط من جارة « خميس العدس » .. والحارة بها مكتب « البوسطة » الذى يعمل به والده .. المكتب يقع – بالضبط – فى الحارة المجاورة مباشرة للحارة التى يقع بها مسكنهم ، والذى يقع فى الطابق الثانى من المنزل رقم (٣) بحارة خميس العدس بالخرنفش .. ويتكون من ثلاث غرف

وصالة تطل على الشارع ، وغرفة رابعة داخلية سينام فيها جمال ويستذكر دروسه طوال أربع سنوات كاملة .. سنتان فى مدرسة النهضة الثانوية ، وسبعة أشهر فى كلية الحقوق بعد حصوله على « البكالوريا » .. ثم سنة ونصف فى الكلية الحربية .

□□

حمل جمال حقيبته المدرسية واستأذن الست وهيبه فى الإنصراف .

وقبل أن يهم بالوقوف .. ترك لها عنوان البيت مفصلاً ، ورجاها أن « .. يتفضلوا عندهم شوية فى أى يوم .. بعد الظهر » .!!

□□

كانت همت قد فرغت من تغيير ملابسها المدرسية .

نادتها أمها لكى تسلم على - جمال - أخيها فى الرضاعة .. فوجىء جمال بالآنسة همت ، التى لم يرها منذ سنوات طويلة .. صعدت فى وجهه « حمرة » الخجل والإرتباك .

سبحان الله : أنها هى التى يراها كثيرًا ، وهى عائدة أو ذاهبة إلى المدرسة .. وهى نفسها التى رآها منذ دقائق مع زميلة لها ، متجهمة ، تحتضن الكتب وتستعجل الطريق .

على أية حال : ليس من اللائق أن يسألها - فى أول مرة - عن المدرسة ، أو المذاكرة ، أو زميلتها التى يراها معها كثيرًا ، فالبيت بيته ، والست وهيبه أمه .. وصديقه حسن هو عنده ، مثل شوقى ، أو الليثى ، أو عز العرب .

أما الآنسة همت : فالحق أنه من يومها ، وهو يشعر بأنها - هى الأخرى - شقيقته فى كل شىء .. وليست فقط فى الرضاعة .!

□□

نسيت أن أقدم لكم أسرة السيدة وهيبه .. فزوجها وصفى أفندى النشار يعمل وكيلاً لمكتب بريد الظاهر .. وأبنائها الثلاثة حسن ، وعلى ، وسعد .. كلهم منتظمون بمراحل

التعليم المختلفة .. وإبنتها الوحيدة همت .. هى الأخرى طالبة فى مدرسة النهضة الثانوية بنات .. ذلك لأن مدارس النهضة الثانوية – كما تعلمون – تضم قسمًا للبنات ، وقسمًا للبنين .. وقسمًا ثالثًا « داخلياً » للطلبة المغتربين .. ومدة الدراسة فى كل الأقسام الثلاثة خمس سنوات ، يحصل الطالب فى نهايتها على شهادة البكالوريا .

أما الطالب جمال عبد الناصر ، المقيد بالصف الرابع الثانوى بالقسم الأدبى .. فقد التحق بمدرسة النهضة الثانوية هذا العام فقط – أى عام ١٩٣٥/٣٤ – قادمًا من الاسكندرية .. بعد أن سبقته إلى المدرسة قصة اشتراكه ، وإصابته فى مظاهرات ميدان المنشية التى اندلعت سنة ١٩٣٠ للمطالبة بعودة دستور سنة ١٩٢٣ ، والتى كان من نتيجتها أن تم اعتقاله واحتجازه وهو مصاب ليلة كاملة فى قسم الشرطة .

والحقيقة أن شهرته التى سبقته هذه .. كانت سببًا فى توطيد صداقته بالكثير من زملائه من الطلبة الوطنيين .. ومن بينهم عبد العزيز الشوربجى ، وأحمد فريد ، وصالح الجندى ، وأنور صديق ، وإبراهيم فهمى ، وعبد الرءوف جبريل .. وحسن النشار الذى أصر على تحويل أوراقه المدرسية إلى القسم الأدبى ، ليكون مع صديقه جمال فى الفصل .. والإستذكار .

على أن معظم زملاء جمال فى المدرسة ، قد أحسوا ولعه المبكر بالقراءة ، والخطابة ، وكتابة الخواطر والمقالات .. قبل أن يصبح عضوًا فى « هيئة تحرير مجلة مدارس النهضة المصرية » التى أصدرتها المدرسة فى عام ١٩٣٤ .. وكتب فيها مقالاً شهيرًا بعنوان « فولتير رجل الحرية » . « راجع الوثيقة الرابعة بملحق الوثائق » .

وأحسوا أيضًا : حرصه الدائم على ألا تفوته حصة واحدة من حصص التاريخ .. « حتى عندما يكون منهمكاً فى الإعداد لمظاهرة سياسية ، فقد كان يترك كل شىء ، ليحضر درس التاريخ .. درسه المفضل » .

هذا ما قاله فكرى أفندى إبراهيم ، مدرس اللغة الانجليزية بالمدرسة للكاتب السويسرى « جورج فوشيه » عندما كان يحكى له عن القصة التى تناقلتها المدرسة

كلها فى حينها .. يوم أن وقف مدرس الجغرافيا يشرح لطلابه ، درسًا عن تأثير المناخ والبيئة المعتدلة على الإنسان .. فقال لهم « ان سكان المناطق المعتدلة يمتازون بالحيوية والنشاط ، والإرادة القوية ، والميل إلى الإستقلال .. ولذلك هم قادرون على بسط نفوذهم وسيطرتهم على غيرهم من الشعوب .. وأصدق مثال على ذلك ، هى انجلترا »[1] .

عندها : سمر الطالب جمال عبد الناصر نظره على مدرس الجغرافيا .. ثم وقف يقول له بكل الأدب :

– أننى لا أوافقك فيما ذهبت إليه يا أستاذى .. لأن ما تسميه نزعة استقلالية ، وقدرة على السيطرة .. وما تعتبره سيادتك فضيلة وميزة .. ليس فى رأى سوى تكالب خسيس .. أننى أرى فيه .. نقيصة .. وليس فضيلة » .

يومها .. نصحه فكرى أفندى قائلاً :

– اسمع يا جمال .. اننى أخشى عليك هذه الحدة الوطنية .. ونصيحتى لك أن تخفى شعورك الوطنى هذا بقدر ما تستطيع ، لأنك يا إبنى أمام حكومات لا تقيم وزنًا لمستقبل أى طالب .

قال جمال :

– كل نصح منك يا أستاذى أرحب به .. إلا خنق مشاعرى تجاه الوطن .!!

□□

بعد انقضاء عطلة رأس السنة الميلادية .. وقف طلاب مدرسة النهضة الثانوية فى فناء المدرسة جماعات متناثرة ، يروون لبعضهم البعض كيف أمضوا ليلة الأمس ..

---

(١) صفحة (٩٤) من كتاب « جمال عبد الناصر فى طريق الثورة » لجورج فوشيه – منشورات المكتب التجارى – بيروت – مارس ١٩٦٠ .

آخر ليلة من ليالى سنة ١٩٣٤ .. هذا خرج مع رفاقه ، وذاك تسلى بالرقص .. هذا لعب الورق وأصبح على الحديدة ، وذاك شرب نخب العام الجديد مع فتاته الجميلة .

جمال وحده لا يزال صامتًا ، يسمع إلى رفاقه .
ولما سأله أحدهم :
وأنت يا جمال .. كيف أمضيت سهرتك ؟!

قال باقتضاب :
– قرأت كتابًا عن شخصية النبى محمد .

صمت الجميع .. صدمتهم الإجابة .. فراحت نظراتهم تحاصره فى دهشة :

– غريبه .. تسلى نفسك فى مثل هذه الليلة بقراءة كتاب عن محمد ؟!!

□□

كان من عادة الطالب جمال عبد الناصر ، أثناء مطالعته لما كان يستعيره من مكتبة المدرسة ، أن يمسك بقلم رصاص ويخط به تحت الكلمات أو السطور التى يراها هامة .. أو نامة عما تجيش به نفسه .

فهو – مثلاً – قرأ سيرة الزعيم الوطنى مصطفى كامل ، وقرأ الكتاب الذى نشره وقدم له تحت عنوان « المدافعون عن الإسلام » .. ثم خط بقلمه تحت العبارة التى قال فيها مصطفى كامل بأنه ينشر هذا الكتاب « ليذكر الشعب المصرى ، بماضيه المجيد العريق ، ويصف له عظمة الحضارة العربية ، ويدعو معاصريه إلى إحياء هذا التراث ، وذلك المجد » .

وقرأ أيضًا : كتاب « طبائع الاستبداد » لعبد الرحمن الكواكبى .. وخط بقلمه فيه ، تحت كل السطور التى كان المؤلف فيها « يلوم الغرب لتحالفه مع الطغاة ، واستثماره معهم الشعوب المغلوبة على أمرها عوضًا عن أن يحررها ويساعدها على إقامة أنظمة عادلة للحكم » .

وقرأ أيضًا لعبد الرحمن الكواكبى كتابه الشهير « أم القرى » .. ووضع خطوطًا كثيرة تحت رأى ممثل مدينة الاسكندرية الذى وقف فى مؤتمر « مكة » يقول : « إن تخلفنا ناتج عن كبوتنا التى انقلبت إلى غفوة طويلة .. والذى ينقصنا هو القائد ، والزعيم ، الذى سيكون شريفًا ، وقدوة للشعب .. وينقصنا أيضًا رأى عام قوى .. » .

وقرأ أيضًا : عن جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، وفولتير ، وجان جاك روسو ، ونابليون ، وغاندى ، وفيكتور هوجو ، وأحمد شوقى ، وحافظ إبراهيم .. و « قصة مدينتين » لتشارلز ديكنز التى نصح زملاءه فى مجلس قيادة الثورة فيما بعد ، بأن يقرأوها جيدًا « ليتحاشوا إراقة الدماء فى ثورتهم .. وليتأكدوا جيدًا بأن العنف لا يولد إلا العنف » .

وقبل كل هذا وذاك : قرأ الطالب جمال عبد الناصر كتاب « عودة الوعى » لتوفيق الحكيم .. وخط فيه بقلمه تحت السطور التى تقول بأن الشعب المصرى .. « ينقصه ذلك الرجل المعبود .. الذى تتمثل فيه كل عواطف الشعب وأمانته .. ويكون له رمز الغاية .. عند ذلك لا تتعجب لهذا الشعب المستعد للتضحية .. إذا أتى بمعجزة أخرى غير الأهرام » .

□□

لم يكن توفيق الحكيم ، قد سمع – وقتها – عن السد العالى .

ولم يكن قد سمع أيضًا عن أن بناءه قد استلزم موادًا وأحجارًا .. فاقت فى مجموعها ما أحتاج إليه الهرم الأكبر .. بسبعة عشرة مرة . « !!! » .

□□

وسبعة عشر عامًا .. كان عمر جمال عبد الناصر وقتها .

صحيح أن ولعه كان مبكرًا بالقراءة .. لكنها فى رأى عبد الرءوف جبريل – لم تكن كل حياته .

وعبد الرءوف بالمناسبة : هو الذى كان يجلس إلى جواره فى الفصل .. وهو الذى عمل – بعد الثورة – مديرًا لمكتبه بعض الوقت .. وكان أيضًا مثل جمال .. صموتًا .. متأملاً .. يحب الشعر .. وأحيانًا يكتبه .

أما جمال : فقد كان أميل إلى كتابة القصة .. وإن كان يحفظ – غيبًا – قصيدة حافظ إبراهيم « العمرية » التى كان شاعر النيل قد كتبها للإشادة بالخليفة « عمر بن الخطاب » .

□□

فى العاشر من مايو سنة ١٩٣٥ .. كان كل الطلاب يقضون أجازة العطلة الدراسية ، فى المصايف ، أو النوادى ، أو فى بعض الحرف التقليدية .

جمال عبد الناصر وحده .. هو الذى كان مشغولاً فى هذا اليوم بشىء مختلف .

كان مشغولاً بكتابة أول سطر فى أول « قصة طويلة » يكتبها فى حياته .

لم يكتبها عن بنت الجيران .. أو أمنا الغولة .. أو مغامرات الفتيات .

كتبها عن كفاح أهالى رشيد ضد محاولة غزو الانجليز لمصر سنة (١٨٠٧) وأسماها « فى سبيل الحرية » .

عفوًا .. كتب منها خمسة فصول فقط .. ولم يكملها .

« وحين انصرف الطالب الأديب – جمال عبد الناصر – عن إتمام قصته ، لم ينصرف إلا حين شعر بأن ذاته ، قد صارت أدبًا ، وأنه هو نفسه ، قد صار بفكره وجسمه وسلوكه .. دعوة صادقة إلى الحرية ، والكرامة .

إنها وثيقة – من خمسة فصول – فى أيدى المؤرخين ، تكشف لهم عن حياة البطل الكبير جمال عبد الناصر .

كيف كان يبحث فى صباه عن معلم ، يستكشف منه أنوار الحرية التى يريد لها أن تسود الأرض .

ولما مر التاريخ من أمامه ، وقد توغل قرنًا وربع قرن .. إستحلفه الصبى أن امكث .. إنى رأيت قومى .. رأيتهم فى مدينة رشيد الباسلة .. عرفتهم .. هذه نار قلوبهم تضىء الطريق .. أيها التاريخ دعنى أقتبس من نورهم .. وأدفىء روحى بجذوة من قلوبهم .

ولما أذن له التاريخ .. أقتبس وأتى بالجذوة .. فكان من قبسه بداية قصة .. وكان من جذوته نار راحت تنمو وتنير .. كانت نار التحرير .. التى ذهبت بالطاغين وبالمظالم .. وأعادت كرامة الإنسان لكل فرد من أبناء الوطن » .!!

هذا ما كتبه – حرفيًا – كمال الدين حسين عن هذه القصة .. وقت أن كان وزيرًا للتربية والتعليم .

أما ما كتبه جمال عبد الناصر نفسه إلى حسن النشار أو إلى عبد الرءوف جبريل ، وقت أن كانوا جميعًا طلابًا بمدرسة النهضة الثانوية .. فقد كان وثيقة أخرى أشد خطورة .!!

○ ○ ○

٧ - اللذة .. بالأمريكانى

« صديقى حسن ..

اتصلت تليفونياً بوالدك لأتنسم أخبارك .. فأخبرنى بأنك موجود فى المدرسة .

لذلك أكتب لك ما كنت سأكلمك فيه تليفونيًا .

قال تعالى : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة .. ﴾ فأين يا صديقى هذه القوة التى نستعد بها لهم ؟! .. إن الموقف اليوم دقيق ، ومصر فى موقف أدق .. ونحن نكاد نودع الحياة ، ونصافح الموت .

إن بناء اليأس عظيم الأركان .. فأين من يهدم هذا البناء ؟!

إن فى الحكم حكومة قائمة على الفساد والرشوة .. فأين من يغير هذا الحال ؟! .. إن الدستور معطل ، والحماية البريطانية على وشك الإعلان .. فأين من يقول للاستعمار ، قف عند حدك .. لأن فى مصر رجالاً ذو كرامة ، لا يريدون أن يموتوا كالأنعام ؟!

أين هذه الكرامة .. أين الوطنية .. أين ذلك الذى يسمونه رعونة الشباب ؟! كل ذلك قد غاب فى الآفاق ، وظهرت الأمة نائمة كأهل الكهف .. فأين من يوقظ هؤلاء التعساء الذين هم عن حالتهم لا يعلمون .

لقد قال مصطفى كامل : لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة .. ولكننا نجد الآن حياة مع يأس ، ويأسًا مع حياة .. لقد انقلبت الآية يا أخى ، فرجعنا إلى الوراء ، رجعنا خمسين سنة إلى الوراء .. رجعنا إلى حكم كرومر ، ولكن كرومر وجد من أذله ، وشنع به فى عرض المعمورة .. فكانت النتيجة أن استقال .. ولكن أين من يشنع الآن ؟! .. إن الجميع يتمسحون بأذيال الاستعمال ، ولا يعرفون إلا الملق ، والتزلف .. أين ذلك البلسم الذى تستظل بظله الوطنية ، ويحتمى به الوطنيون ساعة الخطب المروع ، وهو أثبت من الأطواد رأيًا .. وأشجع من الأسود قلبًا .؟!

أين كل ذلك ، وقد عز النصير .. واسود المصير .. بل أين الوطنية التى كانت سنة ١٩١٩ تشتعل نارًا فى الصدور ؟!

أين ذلك الذى يزود بدمه ، ولسانه ، وخطرات قلبه .. عن حياض هذا الوطن العزيز المقدس ، مضحيًا بالحياة والعمر فى سبيل الإستقلال .

لقد انتقلنا من نور الأمل ، إلى ظلمة اليأس ، ونفضنا بشائر الحياة ، واستقبلنا غبار الموت .. فأين من يقلب كل ذلك رأسًا على عقب ، ويعيد مصر إلى سيرتها الأولى .. يوم أن كانت مالكة العالم .. أين من يخلق خلقًا جديدًا ، حتى يصبح المصرى ، الخافت الصوت ، الضعيف الأمل ، الذى يطرق برأسه ساكنًا ، صابرًا ، على حقه المهضوم ، ساهيًا عن التلاعب بوطنه ، يقظًا ، عالى الصوت ، عظيم الرجاء ، مرفوع الرأس ، يجاهد بشجاعة وجرأة ، فى طلب الاستقلال والحرية .

يقولون أن المصرى ، يجزع من حفيف ثيابه فى وضح النهار .. ولكن يجب أن يتقدم من يقودونه إلى مواقف الدفاع ، ومواطن الكفاح ، فيكون لهم صوت أعلى من صوت الرعد .. تتداعى لقوته أبنية الظلم والإستبداد .. فكل روح سكنت جسمًا جاء من أبوين مصريين ، لا ترضى بحالتنا الراهنة ، ولا تأبى إلا أن تسيل دماؤها فداء للوطن العزيز ، والجامعة الوطنية المقدسة .

قال مصطفى كامل : لو نقل قلبى من اليسار إلى اليمين ، أو تحرك الأهرام من مكانه المكين .. أو تغير مجرى النيل .. فلن أتغير أو أحيد عن المبدأ .

ذلك يا صديقى .. كان مقدمة طويلة لعمل أطول وأعظم .. فقد تكلمنا مرات عديدة فى عمل يوقظ الأمة من غفوتها ، ويضرب على الأوتار الحساسة فى القلوب ، ويستثير ما كمن من القوى فى الصدور .. ولكن كل ذلك لم يدخل فى حيز العمل إلى الآن .. وعلى ذلك ، فأنا منتظرك فى منزلى يوم (٤) سبتمبر سنة ١٩٣٥ الساعة الرابعة مساء .. لكى نتباحث فى الموضوع .. وأملى أن تحضر فى الموعد المحدد .. وسلامى إلى اشقائك والعائلة العزيزة .

من عند : جمال عبد الناصر – الخرنفش – ٣ حارة خميس العدس ، فى يوم الأثنين ٢ سبتمبر سنة ١٩٣٥ » . « راجع الوثيقة الخامسة بملحق الوثائق » .

□□

فى يوم الأثنين (٢) سبتمبر سنة ٣٥ ..

أى أن جمال عبد الناصر – المولود فى ١٥ يناير سنة ١٩١٨ – كان عمره يوم أن كتب هذا الخطاب إلى صديقه حسن النشار .. لا يزيد على سبعة عشر عامًا ، وسبعة أشهر ، وسبعة عشر يومًا بالتمام والكمال .

وشاب فى مثل هذه السن .. تزحف علامات الرجولة على صوته ، ووجهه وشاربه ، وأماكن أخرى فى جسمه كل يوم .. هل كان غريبًا أن تشغله قضية وطنه المحتل إلى هذا الحد ؟!

هل كان طبيعيًا أن تقفز مثل هذه الاهتمامات على أحاسيس المراهقة ، وأخبار البنات .. حتى يكتب لصديقه مثل هذا الخطاب ؟! .. أم أنه كان يختلف عن بقية جيله من الشباب ؟!!

يقول الكاتب « الأمريكى » ولتون واين فى كتابه الهام « البحث عن الكرامة » :

– نوع الشباب الذى كان يتميز به جيل جمال عبد الناصر .. هو ذلك الشباب الذى لا يفضل شيئًا عن مظاهره سياسية ، أو فوضى فى الشارع ، أو معركة مع

الشرطة .. لقد كنت أستاذًا جامعيًا فى مصر ، وفى الولايات المتحدة الأمريكية .. وما زلت أتعجب لهذا الفارق الهائل ، بين حياة الطلاب فى كلا البلدين .. فلذة الطالب المصرى بثورة وشيكة الوقوع .. أو بمظاهرة جماعية ، هى مثل لذة الطالب الأمريكى ، فى مشاهدة مباراة بيسبول .. أو فى غزو غرف نوم التلميذات ، وسرقة ثيابهن الداخلية .

□□

هذه هى شهادة « أمريكية » من كاتب وأستاذ جامعى عمل مديرًا لمجلة « تايم » فى الشرق الأوسط .. لسنوات طويلة ..

هذا هو « شاهد من أهلها » يعترف بأن « لذة المخاطرة » بالاشتراك فى مظاهرة سياسية ، أو ثورة جماعية .. هى نفس « اللذة » التى يحسها المراهق ، وهو يخاطر بغزو غرف نوم التلميذات ، أو يسرق ثيابهن الداخلية .

الفرق – إذن – هو الهدف من المخاطرة ؟!

فهل هذا يكفى لكى نرى فى اهتمامات وأهداف جمال عبد الناصر فى سن المراهقة .. سلوكاً طبيعيًا لا يختلف عن سلوك جيله من الشباب ؟!

من المؤكد أن « أخبار الإنتفاضة الفلسطينية » هى الأخرى .. تستطيع الإيجاب .

من المؤكد أن أعمار الطلبة الفلسطينيين الذين يعتقلون أو يستشهدون كل يوم برصاصات العدو الصهيونى فى فلسطين المحتلة ، تقطع بأن « الطبيعى » فى أى بلد محتل ، هو بالضبط ما كان يقلق الطالب جمال عبد الناصر .. وكتبه إلى صديقه .

وتقطع أيضًا : بأن الطبيعى هو أن تحتل هموم الوطن المحتل ، مركز الصدارة فى قلب وعقل أبنائه وبناته الأوفياء .. ثم بعدها تأتى بقية الاهتمامات .

لكن كل ذلك – وهو السر – لم يمنع قلب الفتى الشاب جمال عبد الناصر من أن يخفق ، وتزداد سرعة ضرباته – كلما رأى من بعيد تلك الفتاة ، التى يراها

أحيانًا – فى طريق العودة من المدرسة – مع الآنسة همت النشار .. شقيقته فى الرضاعة .

على كل حال : فى نهاية العام الدراسى الحالى .. ستقيم المدرسة حفلها المعتاد كل عام .. وفى هذا الحفل يختلط طلاب قسم البنين بمدرسة النهضة الثانوية ، مع طالبات قسم البنات فى نفس المدرسة .. وسيكون أمامه فرصة العمر ، لكى يراها عن قرب .. أو يتحدث إليها إن أراد ، حينما يصطحبه صديقه النشار ، شقيق الآنسة همت ، ويذهبان معًا إلى الحفل لحراسة همت – وصديقتها ! – من مضايقات بعض الطلاب .

□□

قبل الرابعة من مساء الأربعاء ، الرابع من سبتمبر سنة ١٩٣٥ .. وهو الموعد الذى حدده جمال عبد الناصر فى خطابه إلى صديقه حسن النشار ، وإلى غيره من الأصدقاء الذين طلب منهم الحضور إلى منزله للتباحث « فى عمل يوقظ الأمة من غفوتها » .. كان جمال عبد الناصر وأصدقاؤه قد حصلوا على وعد بلقاء مكرم عبيد وزير الشباب فى حكومة الوفد ، ظهر الثلاثاء الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٣٥ .

وعندما وصلوا إلى هناك : رأوا مكرم عبيد يخرج من مكتبه مغادرًا مبنى الوزارة قبل قليل من الموعد ، الذى كان قد حدده للقائهم .. فلم يتردد جمال عبد الناصر ، واندفع فى جرأة نحو الوزير الوفدى ، حتى لحق به أمام « الأسانسير » قائلاً :

– سيادة الوزير .. لقد ألفنا وفدًا من الطلاب .. وكنا نود أن نعرف رأيك كوزير للشباب فى أفضل طريقة لخدمة مصر ؟!

وبلا اكتراث أحالهم الوزير على اللجنة التنفيذية للطلاب الجامعيين .. وكانت هذه اللجنة وقتها ، تتخذ من « نادى الجامعة » مقرًا لها فى شارع « المناخ » الذى هو الآن شارع عبد الخالق ثروت .

ولما ذهبوا إلى هناك وجدوا أعضاء اللجنة يتقاتلون ويتصايحون فيما بينهم ، حول

من يشغل منصب رئيس اللجنة .. ومن نائب الرئيس .. ومن أحق بمنصب أمين السر .. هل هو فريد زغلول ، أم الظاهر حسن ، أم نور الدين طراف ، أم طاهر نعمان ، أم الدمرداش التونى ، أم غيرهم من الأسماء الأخرى ؟!

□□

أحس جمال عبد الناصر بالمرارة وخيبة الأمل .. فهاهم طلاب الجامعة ، مشغولون بالصغائر .. والمحترفون الكبار مصالحهم الشخصية فوق مصلحة الأمة .

ورغم ذلك : طلب من زملائه ألا ييأسوا ، واقترح عليهم أن يشكلوا فيما بينهما ، لجنة وطنية من طلاب المدارس « الثانوية » .. حيث كانت هذه اللجنة هى أول تنظيم سياسى يشكله جمال عبد الناصر فى حياته . انظر ملحق الصور صفحة (٢١٣) .

على أننا فتشنا فى ذاكرة « معظم المعاصرين وأوراقهم »[١] .. فلم نعثر من أسماء أعضاء هذا التنظيم ، الذى لا يزال مجهولاً فى حياة عبد الناصر .. إلا على أسماء : محمد عسكر ، عبد الرءوف جبريل ، فيكتور عبد المسيح ، محمد الهلالى ، أحمد فريد ، إبراهيم حسين العقاد ، أنور صديق سلام ، زكى إبراهيم ، محروس صالح ، إبراهيم فهمى ، حسين عباس ، أحمد الشافعى ، محمود التونى ، حافظ الرماح ، صلاح الجندى ، عز الدين فريد ، أمبابى أحمد ، عثمان فريد ، حسن النشار ، جمال عبد الناصر .. وغيرهم من الزملاء الذين فرقتهم مشاغل الحياة ، وجمعتهم هموم الوطن ، حتى بلغ عددهم (٢٤) طالباً فى مدرسة النهضة الثانوية وحدها .. قسمهم جمال عبد الناصر إلى ثلاث شعب ، كل شعبة تتكون من (٨) طلاب ، وتتولى مهام قيادية وتنويرية محددة بين باقى الطلاب ، قبل وأثناء التظاهر أو الإضراب .. كما كانت بعض اجتماعات التنظيم تعقد فى القسم الداخلى من مدرسة النهضة بالدور الثالث .

---

(١) حسن النشار ، وعبد الرءوف جبريل ، وأحمد فريد ، وصلاح الجندى ، وأنور صديق .

إلى أن جاء اليوم الذى أعتبره جمال عبد الناصر أول أختبار حقيقى لقوة تنظيمه الوليد .

□□

نحن الآن فى التاسع من نوفمبر سنة ١٩٣٥ .

صمويل هور .. وزير خارجية بريطانيا يقف فى « الجولد هول » بلندن .. ويؤكد بأن بريطانيا أبلغت رئيس الحكومة المصرية بأنها « ضد عودة دستور ١٩٢٣ » بدعوى أن الشعب المصرى لا يستحق تطبيق مثل هذا الدستور .!!

راديو القاهرة ، وجرائدها تنقل تصريحات « هور » التى تكشف رسميًا بأن توفيق نسيم الذى أختاره الانجليز ، وأيده حزب الوفد رئيسًا للحكومة المصرية ، لا يزال يتلقى تعليماته من لندن حتى فى أدق شئون مصر الداخلية .

صحف القاهرة تستنكر تصريحات « هور » .. والأحزاب السياسية تنقسم على نفسها .. بينما الغضب يشتعل فى أوساط الطلاب .

جمال عبد الناصر – شاحبًا مهمومًا – يقطع فناء المدرسة عرضًا وطولاً .. الساعة فى يده ، لا تزال السابعة والربع من صباح اليوم التالى مباشرة لتصريحات هور .

الآن .. وصل محمد عسكر ، وحسن النشار ، وفيكتور عبد المسيح .. ثم لحق بهم عبد الرءوف جبريل ، وأحمد فريد .

الآن .. بدأ الفناء يمتلأ .. وبدأ الطلاب يتحلقون حول جمال عبد الناصر .

الإتفاق الذى تم مساء أمس ، هو أن النشار ، وعسكر ، وفيكتور ، هم الذين سيوجهون الهتافات .. وزكى والجندى وآدم ، وإبراهيم فهمى ، وعز الدين فريد – ومعظمهم من الطلاب الرياضيين – هم الذين سيتولون حماية المظاهرة .

أما جمال عبد الناصر .. فعليه التخطيط واللافتات وتحضير الهتافات مع التحديد

الدقيق لخط سير المظاهرة .. سيبدأ الهتاف أولاً « بتحيا مصر .. ويسقط هور » .. وإن كان قد تطور فيما بعد إلى « يسقط هور .. ابن الثور » .!!

بعدها : سيأخذون علم مصر ، من معاون المدرسة ، ويتجهون به إلى خارج الفناء فى انتظار وصول طلاب مدرسة فؤاد الأول الثانوية .. وإذا تأخروا فسوف يكون الإتجاه إليهم - أولاً - لإخراجهم .

فى الحالتين : سيكون على كل المتظاهرين أن يتجهوا بعد ذلك إلى شارع الفجالة .. ثم يتوقفون فى ميدان « باب الحديد » لتنضم إليهم المظاهرات القادمة من شبرا أو من طنطا أو من بنها ، عن طريق السكة الحديد .. على أن يتقدم كل مظاهرة علم مصر وعلم المدرسة الخاص بها .

ومن باب الحديد .. إلى شارع نوبار ، ففندق شبرد .. لتعلوا الهتافات بسقوط بريطانيا أمام شرفات الفندق التى لا تخلوا يوميًا من الضباط الانجليز وزجاجات الويسكى .

ومن هناك .. إلى جامع الكخيا ، فشارع قصر النيل ، فمكان التجمع النهائى ، وسط ميدان الإسماعيلية .. المعروف الآن بميدان التحرير ، حيث يلتقى معًا طلاب المدارس الثانوية بطلاب الجامعات ، وتبدأ الخطب .. وتعلو الهتافات .

وكالعادة : سيتدخل البوليس .. يضرب من يضرب .. ويعتقل من يعتقل .. ويفر الناجون ليبدأوا من جديد .!!

□□

نفس السيناريو تقريبًا حدث - أيضًا - صباح اليوم ، الموافق ١٢ نوفمبر سنة ١٩٣٥ .

والجديد : هو أن المتظاهرين حينما وصلوا هذه المرة إلى كوبرى الملك الصالح ، فاجأهم جنود « الكونستبلات » الانجليز - أى راكبى الدراجات البخارية - بإطلاق الرصاص ، فتفرقوا سريعًا فى كل اتجاه .

وفى المساء .. اجتمع جمال عبد الناصر ، رئيس اللجنة التنفيذية لطلاب المدارس الثانوية ، مع عبد العزيز الشوربجى ، مندوب اللجنة التنفيذية لطلاب الجامعة .. واتفقوا على تكرار السيناريو أيضًا صباح الغد الذى يصادف عيد الجهاد .

فى الغد : أخترق المتظاهرون شوارع العاصمة فى طريقهم للإنضمام إلى زملائهم طلاب الجامعة .. كما هو متفق عليه .

وما إن وصلت مظاهرات المدارس الثانوية ، إلى حى « الروضة » حتى فتح البوليس عليهم كوبرى عباس . وحاصرهم بطلقات الرصاص ، فأصيب الطالب إبراهيم شكرى .. واستشهد محمد جميل مرسى ، وعبد الحكيم الجارحى ، وطه عفيفى ، فى الوقت الذى كان فيه جمال عبد الناصر قد اندفع هو وبعض زملائه فى أحد المراكب إلى أسفل الكوبرى ، ونجحوا فى إغلاقه .. إلا أن البوليس فتح عليهم النار ثانيًا من كل اتجاه ، فصرخ جمال فى رفاقه ، أن « تفرقوا .. على أن نتجمع ثانيًا عند بيت الأمة » .. حيث السرادق الذى أعدته الأحزاب للإحتفال بعيد الجهاد .

□ □

كل الشوارع المؤدية إلى بيت الأمة تموج بالبشر .

ها هى الجماهير تزحف إلى الإحتفال .. جنود الانجليز يحاصرون ثانيًا جمال عبد الناصر وزملائه قرب بيت الأمة .. إنه هو نفس الفتى الأسمر الذى كان عند الكوبرى منذ قليل ، يقود « الشغب » ولا يزال .. إنه يستحق .. إضرب يا جونى .. جوورود .. لقد تفجر الدم من جبهته .. وغطى عينيه .!!

□ □

فى الصباح روت جريدة « الجهاد » قصة المعركة التى دارت بين قوات الإحتلال البريطانى ، وجموع الطلاب .. وروت أيضًا ، كيف أن الطلاب الجرحى قد احتموا فى مقرها الذى يقع فى مكان المعركة .

وضمن قائمة الجرحى .. كتب إسم « جمال عبد الناصر الطالب بمدرسة النهضة المصرية .. وقد أصيب فى مقدمة رأسه »[1] . « راجع الوثيقة السادسة بالملحق » .

أما مجلة « المصور » .. فقد نشرت له أول صورة تنشرها الصحف فى حياته ، وكتبت تحتها « الطالب جمال عبد الناصر رئيس اللجنة التنفيذية لطلبة المدارس الثانوية ، يتصدر جموع الطلبة الثائرين ، احتجاجًا على تصريح صمويل هور ، الذى أنكر فيه على مصر عودة الدستور » .!

وعليه : إضطرت الحكومة إلى تعطيل الدراسة فى كل المدارس لمدة شهر ، واحتجبت الصحف عن الصدور ، وأحس الإنجليز بأن تصريح هور قد أعاد الأمة المصرية كتلة واحدة فى « صورة مصغرة لثورة ١٩١٩ »[2] .. فأعلنوا أنهم « لا يمانعون فى عودة الديمقراطية إلى الشعب المصرى » .. وأصدر الملك فاروق فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٣٥ ، مرسومًا ملكيًا بعودة دستور ١٩٢٣ .. وصدرت مجلة « المصور » تقول : « لقد انتصر أنصار الحرية .. لقد انتصر الشباب .. بل لقد انتصرت مصر كلها » .

□□

كان المرسوم الملكى بعودة الدستور ، هو أيضًا ، مرسوم ملكى بعودة كل الطلاب إلى مدارسهم .

طالب واحد فقط .. هو جمال عبد الناصر ، توجه إلى مدرسته ، فمنعه ناظرها – سليم زكى – من دخول المدرسة .

ومن حسن الحظ ، أن ثلاثة من طلاب مدرسة النهضة الثانوية ، شاهدوا حضرة الناظر .

---

(١) الصفحة الأولى من جريدة « الجهاد » الصادرة صباح ١٤ نوفمبر سنة ١٩٣٥ .
(٢) صفحة (٢٠٢) من كتاب عبد الرحمن الرافعى « فى أعقاب الثورة » – الجزء الثانى .

الأول : رآه وهو يمنع صديقهم جمال عبد الناصر من الدخول .
والثانى : بحث عن علبة الكبريت .
والثالث : نشر الخبر فى كل الفصول .

وفى دقائق معدودة .. كان كل الطلاب قد خرجوا بمقاعدهم إلى فناء المدرسة .. وهددوا بحرقها .!

ولأن النهضة الثانوية .. ليست مدرسة حكومية .. لأنها مملوكة لصاحبها ، هى والمقاعد ، والسبورات ، وأصابع الطباشير .. فقد وقع قلب الرجل عند قدميه ، وجرى إلى بيت جمال عبد الناصر .. وعاد به إلى المدرسة ، على أمل أن يقتص منه فى الإمتحان .. إلا أن جمال أحس بنية « حضرة الناظر » .. فأغلق على نفسه ، باب حجرته ، وجلس يستعد جيدًا لإمتحان البكالوريا .. الذى إقترب .

○ ○ ○

٨ - الحـــب .. فـى الأجـزخـانـة

على غير ما توقع حضرة الناظر ، نجح جمال عبد الناصر ، ورسب صديقه حسن النشار .. فى إمتحان البكالوريا .

ولما أحس حسن بأنه قد أفسد برسوبه بهجة النجاح على صديقه .. داعبه قائلاً :

- يا عم جمال .. أنا سقطت مخصوص علشان تقدر تزورنى فى المدرسة باستمرار وتحضر معايا حفلة آخر السنة .. وتشوف حبيبة القلب وقت ما أنت عايز .

□□

أحس جمال بأن صديقه حسن يريد - بهذه المداعبة - أن يغلق عليه باب العتاب الذى يتوقعه منه لكسله ، واهماله ، وعدم التزامه بالعهد الذى تعاهدا معًا عليه .. وهو ألا يكون الإهتام بالسياسة على حساب الدراسة .

لهذا : صمت جمال ، وسرح بخاطره بعيدًا فى حبيبة القلب ، وفى عيون حبيبة القلب .. وفى المرة التى رآها فيها عن قرب .. فى حفل المدرسة .

سرح بخاطره وتمنى أن يقام هذا الحفل مرة أو مرتين على الأقل .. فى كل أسبوع .

هو يعرف جيدًا بأن هذا الحفل لا يقام إلا مرة واحدة كل عام .

ولكن ما حيلته .. والشاعر يقول لمحبوبته :

أبغى الأنيس فلا أرى لى مؤنسًا ..
إلا التردد حيث كنت أراك .

صحيح أن قلبه المثقل بفقد أمه المبكر ، وبفقد وطنه لنسمات الحرية .. جعله يتخيل أن هذا القلب المهموم ، لا يستطيع ولا يتسع لحب أى فتاة ، أو لقدرته على مبادلتها كلمات الشوق والغزل والمناجاة .. إلا أن صديقه حسن عرف بعدها ، لماذا كان يسمعه يدندن لنفسه فى مرات كثيرة ، بالأغنية الشهية « جفنه .. علم الغزل » .. وكأنه – فى كل مرة – يكتشف معانيها ويتذوقها للمرة الأولى .

وكيف لا يدندن – فوق سطح منزل صديقه حسن النشار – وكعب بن زهير قد أنشد من قبله قائلاً :

« بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
وما سعاد غداة البين[1] إذ هلت
إلا أغنّ[2] غضيض الطرف[3] مكحول[4]
هيفاء مقبلة ، عجزاء مدبرة
لا يُشتكى منها قصر .. ولا طول »

بالضبط : هى – فعلاً – شقراء ، هيفاء ، كحيلة العين .. وكأن « كعب بن زهير » .. رآها معه فى حفل المدرسة .

□□

---

(١) البين : الفراق .
(٢) الأَغَنّ : الظبى الصغير الذى فى صوته غُنَّه .
(٣) غضيض الطرف : مسدل النظر .
(٤) مكحول : سواد يعلو جفون العين من غير اكتحال .. وهو من صفات الجمال .

فى الكلية الحربية ، ملف من الورق المقوى المهترىء عند أطرافه ، يحمل إلى الآن اسم الطالب جمال عبد الناصر حسين .. ويحمل رقم (٢٤٣٤) .. وضمن الأوراق العديدة التى يضمها هذا الملف .. ورقتان . « راجع ملحق الوثائق » .

الأولى : تقرير عن الطالب المذكور ، مكتوب وموقع بمعرفة اللواء عبد الواحد عمار ، الذى كان يدرس له وقتها ، مادة المدفعية والقانون العسكرى .

والثانية : كشف بدرجاته فى امتحان التخرج من الكلية .

فى الورقة الأولى : يقول اللواء عبد الواحد فى تقريره .. « الطالب جمال عبد الناصر يتصرف كالرجل الكامل .. لا يبتسم إلا نادرًا ، متزن ، ملتزم ، يقدر المسئولية ، محب للقراءة ، واسع الإطلاع ، متقدم فى الدراسة .. وهو أيضًا طالب مثالى يحبه رفاقه ، وأساتذته جميعًا .. وبفضل بنيته القوية يتحمل بصبر لا ينضب دروس الرياضة البدنية .

وبما أنه لم يقترف أى ذنب يستوجب العقاب منذ التحاقه بالكلية الحربية فى ١٧ مارس سنة ١٩٣٧ وحتى الآن .. فقد رأينا تعيينه عريفًا على زملائه » .

وفى الورقة الثانية : يقول بيان درجات الطالب جمال عبد الناصر حسين فى امتحان التخرج ، بأنه ناجح وحاصل على ٧٩٪ من مجموع الدرجات النهائية للامتحان .. موزعة على مختلف مواد الدراسة كالآتى :

- ●● فى مادة التاريخ العسكرى حصل على ٦٨٪ من الدرجة النهائية .
- ●● وفى مادة التنظيم الوطنى حصل على ٧٢٪ .
- ●● وفى الرياضيات والعلوم حصل على ٨١٪ .
- ●● وفى مادة التنظيم الإدارى حصل أيضًا على ٩٥٪ .

وعلى هذا يكون الطالب جمال عبد الناصر حسين قد تخرج فى الكلية بتفوق واضح اعتبارًا من « أول يوليو ١٩٣٨ » وعين فى الكتيبة الخامسة مشاه التى لحق بها فى منقباد .

□□

ها هو يطل من نافذة القطار المتجه إلى مدينة أسيوط ، فيرى الشجر ، والحقول ، والبيوت ، وأعمدة التليفونات تطارد بعضها بعضًا .. بينما سنوات طفولته ، وشوارع قريته ، وبيت جده فى بنى مر .. تتسابق هى الأخرى فى رأسه ، فيرى نفسه فوق ظهر الحمار ، بين نفس الحقول ونفس الفلاحين « الحفاه » .. الذين كان يراهم زمان ، وهو طفل .

هو يعرف جيدًا أن من بين هؤلاء الفلاحين جاء أحمد عرابى ، الذى تصدى للخديو ، وقال له : لقد خلقنا الله أحرارًا .. ولن نصبح عبيدًا بعد اليوم .

ومن المؤكد أن الفلاحين فى القرية التى جاء منها عرابى – فى محافظة الشرقية – لا يختلفون كثيرًا عن الفلاحين فى قرى الصعيد .. فلماذا لا يحلم هو الآخر ، باليوم الذى يستطيع فيه مع رفاقه .. التصدى للطغاة ، واستكمال الطريق الذى بدأه عرابى .

على أية حال : ها هو قد وصل إلى منقباد ، منذ عدة أيام واقترب أكثر من زملائه الجدد .. وإن كانت الغربة لا ترحمه من التفكير فى والده ، وأشقائه ، وأصدقائه القدامى .. وكذلك فى حبيبة القلب البعيدة .. فاليوم هو الثانى من أغسطس سنة ١٩٣٨ .. والشهر يكاد يكتمل ، وهو هنا دون أن يسافر إلى القاهرة ليراهم .

إذن : لا بأس من أن يكتب لهم ..

« عزيزى عبد الرءوف جبريل .
أبلغ تحياتى وأشواقى الزائدة لرؤياكم .

وصلت منقباد .. والقشلاق يبعد عن المحطة ٣ كيلومترات .. ويوجد طريق جميل يوصل بينهما بالأسفلت .. وشجر السنط على جانبى الطريق ، لا يحجب عن الرؤية المنظر الجميل لتلك الحقول الكثيرة جدًا ، المزروعة ذرة « عويجه » .. أظنك لا تعرفها .. لأنها لا توجد فى الوجه البحرى .. إذا أن كل عود ذرة .. ينبت « كوز » واحد فقط .. شايف العز ؟!!

وهذه الأرض المنخفضة ، تملأ بالمياه أيام الفيضان ، وتبقى ملآنة ، حتى أوان البرسيم .. طبعًا مناظر جميلة .. وجميلة جداً .. فهى تستمر حتى مسافة ٩ كيلومترات ، وتحد بسلسلة جبال عالية جدًا من الجنوب الشرقى ، إلى الجنوب الغربى .. أما الشمال فمزروعات جميلة أيضًا .

وقد وجدت بندقية عيار (١٦) وسأخرج يوم الخميس ، لصيد الطيور ، إذ أنها تكثر فى شجر السنط .

الحياة – يا عبد الرءوف – فى منقباد ظريفة .. إذ أننا (١٤) ضابطا ، منهم (٧) ضباط فى الأورطة الرابعة ، وكذلك (٧) آخرون فى الأورطة الخامسة .. ونحن أصدقاء جميعًا .. ومكونين مجموعة مسلية ، ويوجد مجموعة من الضباط ، أخلاقهم حسنة جدًا .. وأسيوط – بالمناسبة – أقل حجمًا من طنطا .. وسوف أنزل أسيوط فى كل أسبوع مرة واحدة .

ولك تحيات أخوك :

« جمال عبد الناصر »

إنتهى خطاب الملازم جمال عبد الناصر إلى صديق دراسته فى مدرسة النهضة الثانوية عبد الرءوف جبريل .

إنتهى الخطاب الذى نقرأه اليوم لأول مرة .. لنتلمس معًا عقلية صاحبه منذ وقت مبكر .. ولنتوقف أيضًا عند نظرته الشاملة ، وعقله المرتب .. الذى يحدد موقع عمله بالضبط ، ويصفه وصفًا علميًا دقيقًا ، لا وصفًا شاعريًا فقط .

فالقشلاق يبعد عن المحطة « كذا » كيلومتر ، والأرض المنخفضة تحيطها الجبال العالية .. والمقارنة بين الذرة فى منقباد ، والذرة فى وجه بحرى لا يقدر عليها إلا فلاح متمرس ، ولا يلحظها شاب مستهتر ، منغمس فى حياة المدينة .. ثم المقارنة بين حجم أسيوط وطنطا .. وبين الضباط وبعضهم البعض .. فهذا البعض ظريف .. وهذا البعض مسلى .. وهذا البعض أخلاقه حسنة جدًا .. وهذه الصفات الثلاثة ،

لا بد أنها ترمز إلى أشياء متبادلة بينه وبين صديقه عبد الرءوف .. وإلا لكان قد استعمل صفة واحدة محايدة .. فى وصفه لكل زملائه الضباط .

□□

نفس الشيء حدث أيضًا عندما انتقل جمال إلى الخرطوم .

نفس المعانى نستطيع أن نتلمسها فى العديد من رسائله إلى الأهل والأصدقاء .

هذه – مثلاً – رسالة أخرى بعث بها من الخرطوم إلى صديقه حسن النشار فى السادس من ابريل سنة ١٩٤١ .. ينتقد فيها سلوك « وألاعيب » بعض زملائه الضباط ، الذين لا هم لهم – فيما يبدو – سوى التفنن فى أساليب « معاكسة البنات » .!!

يقول جمال عبد الناصر :

« الضباط يا حسن كل واحد مختار له محل ، علشان البنت اللى فى المحل .. وواحد مختار الأجزاخانة .. أما هذا الواحد ، فإذا دخلت حجرته ، فسوف تجدها عبارة عن مخزن أدوية .. كل يوم يذهب إلى الأجزاخانة ، ليشترى منها أى حاجة .. ومرة قال لنا أنه لم يشتر اليوم سوى أسبرينة واحدة فقط بقرش تعريفه .. ومع ذلك ، فقد وقف مع البنت البائعة فى الصيدلية نصف ساعة تساوى شلن .

و .. ثانى يوم ذهبت إلى الأجزخانة ، وقابلت البنت .. فقالت لى : « إنتوا كان عندكوا إيه إمبارح » .. كل الضباط جاءت واشترت أسبرين .. هو كل الضباط راسهم واجعاهم .. ولا إيه ؟!

حاجة تكسف يا حسن .. آدى يا سيدى الضباط « !! »

على فكرة : أعرفك أن الخرطوم مافيهاش مجارى .. وفى الجرادل متسع للجميع .. والحكومة متعهدة بنزح الجرادل يوميًا « !! »

هل تتصور يا حسن أن الأورطة – أى الكتيبة – تدفع مبلغ ٨٠٠ جنيه فى السنة ثمنًا لنزح هذه الجرادل ؟!!

هل تعقل هذا يا أستاذ .. ؟! » .

□□

ومن جبل الأولياء هذه أيضًا رسالة أخرى .

هذه رسالة كتبها الضابط الشاب جمال عبد الناصر إلى نفس الصديق .. هذه رسالة أبلغ من أى تعليق .

تقول الرسالة : « خلف الخزان – تستطيع يا صديقى أن ترى مياه الفيضان محجوزة ، والنيل يصل إلى مدى البصر فى الإتساع .. المياه زرقاء .. والقمر يعكس نوره الفضى . تصور كل هذه المناظر ، وعليها شوية نسيم عليل كمان .!!

بالرغم من ذلك كله : فأنا لا أستسيغها .. ولا أحس لها طعما .. فمثلها فى عينى ، مثل أى صحراء ، علمًا بأنى – كما تعلم – لم أكن كذلك من مدة .. فهل مات الشعور ؟! هل ماتت عاطفتى يا حسن ؟! .. سؤال أسأله لنفسى مرات عديدة ، ولكننى لا أعرف الجواب .

ربما يكون السبب هو أن المصريين فى السودان ، ليس لهم فى الحقيقة أى حس ، أو صوت .. سواء فى ذلك الحكومة المصرية ، أو الأهالى .. إننى أشعر بأن السودان ما زال إلى الآن مصريًا بالاسم فقط .

حسن دى حاجة تسد النفس » .!!

●● لماذا .. ؟!

لخيبة أمل ضابطنا الشاب فى تلك الفئة التى – كما يقول – كان « من المفروض أنها ترفع مجد البلاد » .!!

والدليل : هو ما كتبه أيضًا – من الخرطوم – فى أغسطس سنة ١٩٤١ .. حيث كتب يقول :

« الحياة تختلف الآن يا حسن ، أختلافًا كليًا ، عما كانت عليه فى الماضى .. وطبعًا فى هذا الإختلاف ، تأثير على النفس .. وعلى الفكزة التى كونتها عن الحياة .

والحقيقة أن كل ما كنت اعتقده فى سنة ١٩٣٦ ، وما حولها من الأيام ، يتغير تغيرًا مستمرًا . وتثبت لى الأيام أن تفكيرى فى تلك الأيام الماضية ، كان خطأً .. وأن نظرياتى ونظرياتك أيضًا كانت كلها من بنات الخيال .. وأن الحقيقة الآن تهدم هذا الخيال بالنسبة لى .

تصور كلامى وتعجب يا حسن .. جرى إيه لجمال عبد الناصر .. ولكن إذا عشت ربع المدة التى عشتها فى هذا الجو .. لكنت ألعن من ذلك .!!

الإخلاص معدوم .. والذمة مفقودة .. والضمير لا تسمع عنه .. حتى أنى أعتقد الآن ، أننى بدأت أفكر فى نظرية تقول : إذا كنت أنا الوحيد فى هذه البيئة الذى اعترف بالضمير ، واعترف بالذمة .. فطبعًا سأكون مغبونًا جدًا .. إذ أن كل البلاوى ستقع على هذا الذى لا يرضى للذمة بديلاً .

فاكر يا حسن نظريات الإصلاح التى كنا نتباحث فيها زمان .. وقدرنا لها (١٠) سنوات .. لقد قدرت لها الآن (١٠٠٠) سنة ، ونكون كسبانين كمان .. طبعًا فى الجو الهايص الذى نعيش فيه .

برضه راح تقول جمال عبد الناصر جرى له إيه .. ولكنى أقول لك هذا الكلام لأعكس لك واقع الخبرة ، والإحتكاك بفئة من الفئات المفروض أنها ترفع مجد البلاد .. » !!

□□

الإخلاص معدوم .. والذمة مفقودة .. والضمير لا تسمع عنه .

تلك كانت قضية الضابط الشاب جمال عبد الناصر فى « عز شبابه » .. وهو - بالضبط - فى الثالثة والعشرين من عمره .

تلك هى الحقيقة التى رفضها ، ولم يتواءم معها ، عند احتكاكه « بفئة من الفئات المفروض أنها ترفع مجد البلاد » .

لم يتواءم معها .. فأضافت إليه « همًا » جديدًا ثقيلاً .. بات يؤرقه ، ويعطل - فى رأيه - نظريات الإصلاح الذى سبق أن قدر لها ١٠ سنوات .

وكيف لا تؤرقه .. وهو الذى سبق أن كتب منذ أقل من أربعة أشهر فقط - أى فى ابريل ١٩٤١ - إلى نفس الصديق ، يحثه ، من جبل الأولياء فى السودان ، على الجد والإجتهاد للإسراع بالحصول على ليسانس الحقول .

وبعدها : « سيكون أمامك يا حسن طريق المستقبل .. ولكنه يحتاج إلى جهاد .. ولا لذة لمستقبل بدون جهاد .. فالحياة الخاوية الخاملة ، تنعدم فيها اللذة .. وطبعًا حياة بدون لذة .. لا تعد حياة .

هذا ما أنا مؤمن به .. أقول لك يا حسن حتى لا تتململ من جهادك بعد الليسانس إن شاء الله » !!

□□

هذا هو ما يؤمن به جمال عبد الناصر : حياة خاوية ، خاملة .. لا تعد حياة .

لا مفر إذن من العمل .. لا مفر فى أريه من البحث فى المحن عن أسباب الأمل .

والدليل : هو أيضًا .. ما سبق أن كتبه فى اليوم التالى مباشرة لوصوله إلى منقباد .

« صديقى حسن ..

تسلمت عملى أمس فى منقباد .. وهى مكان جميل وشاعرى يبعث على التأمل .. وهى تجمع بين الصحراء والجبال ، والمزارع ، والبرك والأنهار .. ففى الشمال

مزارع ، وفى الجنوب سلسلة جبال تمتد من الجنوب الشرقى إلى الجنوب الغربى .. وتطوق الصحراء بسواعد جبارة عاتية .!

ويسرنى يا حسن أن تعلم بأن أخلاقى ما زالت متينة .. وأن جمال الحاضر ، أو الموجود فى منقباد .. هو طبعًا جمال الذى تعرفه منذ زمن بعيد .. جمال الذى يبحث عن آماله فى الخيال ، فتفر منه كالأشباح .. جمال القوى الذى يبحث فى المحن عن أسباب الأمل .

وإلى أن أراك لك وللأسرة العزيزة تحيات أخوك :

« جمال عبد الناصر »

جمال الذى يبحث عن آماله فى الخيال .. « فتفر منه كالاشباح » .

تفر منه السطحية ، والفجاجة .. لتطل جذوره علينا بكل هذه البلاغة ، التى هى ليست فقط واقعية ، وإنما هى أيضًا رومانسية وشاعرية .. عاشقة للخضرة .. والماء .. والوجه الحسن .

وجه حبيبة القلب التى رآها لأول مرة عن قرب .. فى حفل المدرسة .

يومها : اهتز جسده .. وخفق قلبه .. وظهر عليه الإرتباك والخجل .. فأدرك على الفور بأنه قد وقع فى الحب .. ولا أمل .!!

□□

يروى أن « ابن سينا »[1] قد جاءوا إليه بمريض يتأوه من الألم .. وأخبره أهل المريض بأنهم استدعوا لمريضهم أمهر الأطباء ، فلم يفلح أحد منهم فى تخفيف ما به من آلام .

---

(١) صفحة (٢٧) من كتاب « المرأة عبر التاريخ » لحسن محمد جوهر .

ولما فحصه ابن سينا هو الآخر ، فحصًا دقيقًا ، لم يجد به أى نوع من أعراض الأمراض المعروفة له .. فأطرق ابن سيناء برأسه ، وفكر طويلاً .. ثم وضع يده على قلب المريض ، وسأل قريب للمريض أن يذكر اسماء المدن والقرى المجاورة .

فأخذ قريبه يذكرها قرية ، قرية .. ومدينة ، مدينة .. فشعر العالم الطبيب بأن ضربات قلب المريض ، قد إزدادت عند سماعه لاسم إحدى القرى المعينة .. عندها ، اعتدل ابن سينا وطلب من قريب المريض أن يذكر أيضًا ربوع هذه القرية .. فلاحظ أنه عند ذكر ربع معين منها أسرع نبض المريض .. فطلب منه بن سينا أيضًا أن يذكر اسماء الأسر التى تقطن ذلك الربع .. فشعر أن نبض المريض قد ازدادت سرعته أكثر عند ذكر اسم أسرة بعينها .. فعاد ابن سيناء وطلب من قريب المريض أن يذكر اسماء فتيات تلك الأسر البالغات غير المتزوجات .. بينما هو لا يزال يضع يده على قلب المريض .

فلما أخذ القريب يذكر اسماء تلك الفتيات .. واحدة .. واحدة .. لاحظ ابن سيناء ، أن نبضات قلب المريض قد زادت زيادة كبيرة ، واعترته هزة شديدة .. ثم أرسل آهة حزينة كادت تفتت قلوب الحاضرين من أهله ، عند ذكر اسم فتاة منهن بعينها .!!

عندها : قال العالم الطبيب لأهل المريض ، بأن ابنهم متيم بحب هذه الفتاة .. وأن حبه لها ، هو سبب مرضه وبلواه . « !!! » .

□□

صحيح أن الدكتور يحيى الرخاوى ذكر هو الآخر فى بحث عنوانه « الإنسان .. ذلك المجهول » بأن بعض العلماء يرون فعلاً أن « الحب مرض عضال لا يشفى منه من يصاب به » .!!

إلا أن الدكتور نقولا فياض ، يرى فى كتابه « من نافذة العقل » بأن « الحب .. كالسم ، فيه الداء ، وفيه الدواء » .!!

●● كيف ..؟!

يقول الدكتور نقولا : « إذا كان المحب من الأقوياء عقلاً ، وبدنًا ، وإرادة .. فالحب عنده يبعث على النشاط ، وينعش الطموح ، ويحفظ الصحة .. وصفاء الروح .!

أما إذا كان المحب ، ضعيف الإرادة ، قصير الحيلة ، قليل الصبر والإحتمال .. فكثيرًا ما يكون الحب عليه ، أفتك من السم .. وأشقى من الوبال » .!!

□□

هل كان حسن النشار هو « ابن سينا » الذى « أخبر أهل صديقه » .. فباعد بينه وبين السعادة ؟!

أم أن جمال عبد الناصر نفسه .. هو الذى كان محبًا من الأقوياء .. عقلاً .. وبدنًا .. وإرادة ؟!!

○ ○ ○

٩ - عبد الناصر .. ومارلين مونرو

خفق قلب الطالب جمال عبد الناصر فى حفل المدرسة .. لتلك الفتاة الشقراء .. الهيفاء .. كحيلة العين .. على طريقة الرئيس جون كيندى ، حينما رأى « مارلين مونرو » .. لأول مرة .!!

كان اليوم - يومها - هو ١٨ أبريل سنة ١٩٦٢ .

والمناسبة : هى احتفال البيت الأبيض بعيد ميلاد الرئيس الأمريكى جون كيندى .

فى الحفل .. قدم المغنى « فرانك سيناترا » صديقته مارلين مونرو ، إلى الرئيس جون كيندى .. وإلى أخيه - المدعى العام - روبرت كيندى .

كانت مارلين ليلتها فى قمة الجمال والأنوثة .. خيوط الإضاءة الخافتة تتراقص فوق تضاريس جسدها البرونزى العارى .. الكل يحلق .. والكل يأكلها بعينيه .. والكل يتمنى لو اقتربت منه .

وفى لحظة خاطفة .. وضعت مارلين - ممثلة الإغراء الشهيرة - عينيها فى عينى الرئيس كيندى .. واقتربت منه بصدرها .. ثم تطلعت إلى أخيه روبرت .. وقررت أن تحتويهما معًا .. فى فراش واحد .!!

انتفض قلب الشاب الحالم جون كيندى .. وسرت فى جسده رعشة خفيفة .. أحس بعدها بأنه قد وجد فى مارلين مونرو النموذج الذى يشبع رومانسيته الحالمة .!

أحس بالضبط : بأن نظراتها المكسورة ، وابتسامتها البلهاء .. بركان الأنوثة .. الذى يمنيه بكل ما ينشده .!!

هى كانت تعلم جيدًا بأن « جو » إنسان رومانسى حالم .. وأن الأهم من الجنس عنده ، هو كلمات الحب الساخنة .. على ضوء خافت .. وموسيقى هادئة .

لهذا .. أجادت دورها جيدًا .. فهمس لها برقم تليفونه « الخاص » .. وتكررت اللقاءات .. وهمست له هى الأخرى – بكل قاموس العشق .. والوله .. والإخلاص . !!

أما شقيقه روربرت الذى لا يعرف الرومانسية .. فقد اختصر الطريق .. ودخل إلى مارلين مونرو مباشرة ، عن طريق « الفراش » .. فأحبته بجنون .. وراحت تخطط للزواج منه .

كل ذلك والمخابرات الأمريكية تراقب اللعبة ، وأطرافها الكبار فى حذر شديد .

ولما أحست بأن القطة – المتقلبة المزاج – بدأت تنشب أظافرها فى هيبة وكرامة الدولة العظمى .. ضيقت عليها الخناق .

ويومًا بعد يوم .. إنهارت القطة اللعوب .. وراحت تصرخ .. وتصرخ .. وتضرب رأسها فى كل الحوائط .

عندها : كان لا بد من أن تختفى من ملعب الكبار .

وفى يوم ٤ أغسطس من نفس عام ١٩٦٢ .. خرجت كل صحف العام تقول :

> « عثر أمس على نورماجين بيكر .. الشهيرة بمارلين مونرو .. جثة هامدة فى سريرها – بحجرة نومها – بالقصر الفخم الذى تمتلكه بحى بيفرلى هيلز بهليود . وقد عثر عليها شبه عارية .. وبجوارها زجاجتان من الحبوب المنومة فارغتان » !!

وفارغتان .. قفزت – إلى الدنيا – دائرتان .

واحدة : تقول – أنها انتحرت .

والثانية : تؤكد أنها .. « نُحِرت » .!

□□

على أية حال : لا يهمنا فى كل هذه القصة .. إلا رومانسية الرئيس كيندى التى أوقعته فى حب « مارلين مونرو » .

وهى بالطبع .. تختلف كثيرًا عن رومانسية جمال عبد الناصر التى أوقعته فى حب فتاته الشقراء .

وتختلف أكثر فى أن جمال عبد الناصر لم يشاركه شقيق أو صديق ، فى حب تلك الفتاة .. لم تكن « بنت باشا » .. ولم تكن ممثلة .. وربما لم تكن تعرف – أيضًا وقتها عن السينما أو الإغراء .. إلا أنها تسكن أمام سينما « فيكتوريا » مباشرة .. وأنها تقرأ على حائط السينما – أحيانا – لقب « ممثلة الإغراء » .

رغم ذلك : أقسم الأستاذ صلاح منتصر فيما كتبه على صفحات « الأهرام » .. بأنها كانت « تنتمى إلى أسرة من الباشوات ، وكان من عادتها أن تذهب كل يوم أربعاء إلى سينما ديانا لتشاهد فيلم الساعة الثالثة بعد الظهر .. وكان جمال عبد الناصر حريصًا على أن يكون دائمًا على باب السينما كل أربعاء ، إنتظارًا لرؤية الفتاة التى أحبها فى صمت » ..!!

وكما نعلم : لم يكتف الأستاذ منتصر بتلك الرواية المختلقة .. وإنما أدعى أيضًا بأن جمال عبد الناصر ، تجرأ بعد ذلك ، وطلب يد فتاته « من والدها الباشا .. الذى ثار عليه .. وربما طرده من المنزل ، لفقره وسمار بشرته » .!!

وعليه : أفتانا أيضًا بأن جمال عبد الناصر .. « تولدت لديه عقدة خاصة من الباشوات .. وكان أول قرار يصدره مجلس وزراء ثورة يوليو بعد طرد الملك فاروق

مباشرة ، هو قرار إلغاء الرتب والألقاب » .. ليقتص به جمال من « كل الباشوات » .. لا فقط من والد الفتاة التى أحبها .. وتمنى أن يتزوجها . « !!! » .

□□

فرق كبير بين دور المخابرات الأمريكية فى « اختفاء الحبيبة » فى قصة غرام جون كيندى .. و « إخفاء الحقيقة » فى قصة غرام جمال عبد الناصر .

فى قصة كيندى : لم تُضبَط المخابرات الأمريكية « متلبسة » بنحر مارلين مونرو .. وإن كانت مجلة أكتوبر – التى يرأس تحريرها الآن الأستاذ صلاح منتصر – قد ذكرت فى (١٥) أغسطس سنة ١٩٨٢ بأن « الطبيب الشرعى الذى قام وقتها بفحص جثة مارلين مونرو ، اعترف أخيرًا على صفحات الصحف الأمريكية ، وبعد ٢٠ عامًا من الوفاة .. بأن المخابرات الأمريكية أجبرته يومها على التوقيع على شهادة وفاة مزورة . تقول أن مارلين مونرو توفيت بسبب تناولها لكمية كبيرة من الحبوب المنومة .. واعترف أيضًا بأن المخابرات كانت تخشى أن تكشف مارلين عن الخطط السرية لاغتيال الرئيس المصرى جمال عبد الناصر ، والرئيس الكوبى فيدل كاسترو .. والتى علمت بها بسبب علاقتها الخاصة جدًا بروبرت كيندى الذى كانت تريد الزواج منه .. ولكنه رفض .

وخشية أن تنتقم مارلين من روبرت بإفشاء مثل هذه الاسرار .. قتلتها المخابرات » .!

هذا ما اعترف به الطبيب الشرعى فى قصة غرام « إخوان كيندى » . أما فى قصة غرام جمال عبد الناصر .. فقد « ضُبط » صلاح منتصر « متلبسًا بنحر الحقيقة » على صفحات الأهرام .. بل ومع سبق الإصرار والترصد .. ذلك لأن حسن النشار ، اتصل به وذكر له حقيقة القصة كاملة ، بل ودعاه إلى منزله ليطلعه على ما يؤكدها بخط جمال عبد الناصر نفسه – وهو الخطاب المنشور حرفيًا فى ملحق الوثائق – ورغم ذلك رفض صلاح منتصر الدعوة .. ورفض أن يصحح ما روج له على صفحات الأهرام .. بل وأصر على أن تظل الحقيقة هكذا – وكما يودون – مذبوحة .!!

وعليه : لم يكن أمام النشار إلا أن يجلس ، ويعد بخطه « مسودة » خطاب إلى إبراهيم الزيادى المحامى .. يقول فيه :

« بالإشارة إلى مراجعتكم لبعض ما ورد بمقال الأستاذ صلاح منتصر بالأهرام ، عن علاقة حب من طرف واحد بين جمال عبد الناصر فى شبابه ، وإحدى الفتيات الشقراوات ، وذهابه لرؤيتها أمام سينما ديانا كل يوم أربعاء ، ومحاولته التقدم لخطبتها من أبيها الباشا الإقطاعى .. أقول أن هذه الرواية ، غير صحيحة ، ومختلقة تمامًا من قائلها ، وناقلها .. وقد طلبت من الأستاذ منتصر تليفونيًا تصحيح الواقعة ، وعرضت عليه حضوره لزيارتى ، والإطلاع على ما كتبه عبد الناصر بمذكراته لدىّ بخط يده ، فى فترة الثلاثينيات ، بشأن هذه الموضوعات عندما شرع فى الزواج .. لكن صلاح منتصر .. لم يفعل » .!!

و .. لم يكمل صديق عبد الناصر خطابه إلى الزيادى .. وبالتالى لم يرسله له من الأساس ، لأنه تذكر وهو يكتب « مسودة » الخطاب – المرفقة – بأن الزيادى نفسه لم ينطلى عليه ما كتبه منتصر .

أما لماذا إبراهيم الزيادى بالذات ، فلأنه كان – وقتها – مديرًا لجريدة « الشعب » الناطقة بلسان حزب العمل .. ولأنه كتب على صفحتها الرابعة من العدد الصادر فى (٩) أغسطس ١٩٨٣ .. مقالاً أكد فيه أنه « ومعه كثيرون » مثله ممن عاشوا قبل الثورة ، وعاصروها حتى الآن « ينفون بشدة » أن يكون ما ذكره صلاح منتصر حول فشل جمال عبد الناصر فى الزواج ، من بنت باشا زمان .. ينفون أن يكون ذلك هو السبب الحقيقى – إن صحت الرواية أصلاً – وراء قيام عبد الناصر بإصدار قانون إلغاء الألقاب ، وقانون الإصلاح الزراعى .. أو حتى وراء التعجيل بصدورهما .!!

ودلل الزيادى فى نفس المقال على أن منتصر « أغفل ذكر حقيقة » أن عبد الناصر ، أصدر هذين القانونين « استجابة لرغبة الشعب » .. ولرغبة بعض أحزاب الشعب التى « لا شك فى أن الصحف ومضابط مجلس النواب ، ومجلس الشيوخ قبل الثورة ، ما زالت تنطق بها إلى اليوم .. وكان واجبًا الرجوع إليها ما دمنا نكتب للتاريخ .. وللحقيقة » .!!

□□

للتاريخ والحقيقة : المدقق فى صورة « مسودة » الخطاب الذى فكر حسن النشار فى كتابته إلى إبراهيم الزيادى ، يستطيع أن يتبين بسهولة أن النشار شطب على سطر فيه يقول :

« .. والمرحوم الأستاذ أحمد حسين – رئيس حزب مصر الفتاة – وحرمه أطال الله بقاءها كانا يعلمان .. » .

و .. لم يكمل النشار القول بأنهما كان يعلمان « أصل وفصل وحقيقة الفتاة التى أحبها جمال عبد الناصر » .

لم يكمل .. لأنه أدرك بأنه إذا قال ذلك فى خطابه إلى الزيادى .. فلا بد وأن يشرح له قصة الغرام كاملة .. وأن يذكر له أيضًا ، بأن جمال عبد الناصر حينما رأى فتاته لأول مرة ، فى حفل مدرسة النهضة الثانوية .. كانت معها زميلتها همت شقيقة حسن النشار نفسه .. وزميلتها زينب عبد الفتاح حسين .. بنت شقيق أحمد حسين ، والتى أصبحت فيما بعد زوجة لشقيق حسن النشار .. وكثيرًا ما استرجعوا سويًا هذه الذكريات .. « راجع الوثيقة التاسعة فى ملحق الوثائق » .

□□

كانوا يومها ثلاث فتيات يجلسن سويًا فى حفل المدرسة .

فتاة عبد الناصر .. ثم الآنسة همت .. ثم الآنسة زينب عبد الفتاح .

وفى هذا الحفل الذى تقيمه المدرسة ، مرة واحدة كل عام .. تختلط - كما تعلمون - طالبات قسم البنات ، مع طلاب قسم البنين فى جو من الأخوة والزمالة التى لم تكن تفسدها إلا بعض « السخافات » التى قد تصدر أحيانا من بعض الطلبة المشاكسين .

وكان من عادة الطلاب العقلاء أن يلتفوا أثناء الحفل حول الطالبات لحمايتهن من مثل هذه المضايقات التى كانت تسىء إلى كل الطلاب على السواء .. ولا تعكس المعنى الصحيح لمفهوم الزمالة .

لهذا .. يقول « أحمد الخزاعى » لمجلة المصور ، بعد وفاة جمال عبد الناصر - بالضبط فى ١٦ أكتوبر ١٩٧٠ - بأنه ، وقت أن كان طالبًا بمدرسة النهضة الثانوية .. « كانت مهمته الأساسية ، هو وكثيرون من غيره من الطلاب .. هى أن يمسك بخنجر .. ويتجول بين الطالبات للمحافظة عليهن - أثناء الحفل - من أية مضايقات .. وذلك بتكليف مباشر من زميلهم الطالب جمال عبد الناصر رئيس اللجنة التنفيذية لطلاب المدارس الثانوية » !!

أى بتكليف من نفس الشخص الذى أعترف - من قبل - وهو رئيس جمهورية مصر ، لصديقه فتحى رضوان .. بأن أول مرة يستخدم فيها يده فى إحدى المشاجرات .. كانت أيضًا بسبب حرصه على عدم إيذاء مشاعر « الستات » .!!!

يقول جمال عبد الناصر :

« كنت يومها فى السينما ، أنا وعبد الحكيم عامر .. وكان إلى جوارنا عدد من الشبان الأرزال ، أفسدوا علينا متعة مشاهدة الفيلم .. فقد كانت تعليقاتهم فجة ، ومقززة .

ورغم أننى نظرت إليهم مرارًا ، ليكفوا قليلاً .. فإنهم لم يلقوا بالاً بنا أو بغيرنا .. ولهذا لم يكن أمامى إلا أن أنتظرهم أنا وعبد الحكيم خارج السينما .. وما كدت أرى كبيرهم ، وأوقحهم .. حتى هبشت فيه هبشة عنيفة ، ورحت أكيل له الضربات .

وفى نفس الوقت كان عبد الحكيم يفعل مثلى مع شخص آخر ..
أما الباقون فقد هربوا بجلدهم .

وأؤكد لك بأننى نمت ليلتها مستريحًا .. ذلك لأن هؤلاء الأوغاد آذوا مشاعر السيدات اللاتى كن يجلسن بالقرب منهم ومنا .. إيذاء شديدًا !

وكانت هذه العلقة التى أعطيتها لهم – أنا وحكيم – تعويضًا لنا عن الفيلم » .!!

□□

يقول العالم الشهير سيجموند فرويد : « الحب يدفع المحب إلى عمل كل ما من شأنه أن يفيد المحبوب .. وعلى هذا الأساس نستطيع أن ندرك ، لماذا تمد الأم من الطير صغارها بالطعام ؟! ولماذا تتكلف المجهود وتسعى فى أن تمهد لصغارها فراشًا لينًا من الشعر والريش ..؟! ولماذا يسعى الأب فى البحث عن قوت زوجته وصغاره ، ويتصدى لحمايتهم من هجمات الأعداء .. وليست هذه الأعمال ومثلها ، موجهة بطبيعة الحال ، إلى نفع المحب ذاته .. إذ أن فيها ما يقتضى جهدًا شاقًا قد يعرضه لخطر محقق .. ولكنها موجهة إلى نفع من هم موضع حبه وحنانه .. أى أنها نتيجة نضال داخلى قوى .. بين حب الغير ، وحب الذات .

وعلى الرغم من أن المحب يعلم جيدًا بأنه قد يضطر إلى مواجهة أمور غير سارة ، أو محتملة الخطر .. فإن الحب يتغلب فى معظم الأحيان على ما سواه من العوامل .. ويخرج الفرد من هذا النضال الداخلى ، بعاطفة ثالثة ، أو مجموعة من العواطف المركبة المختلطة .. هى عاطفة الواجب .. أو الضمير الأدبى »[1] .

□□

---

(١) صفحة (١٨) من « عاطفة الحب وأثرها فى حياتنا الجنسية » لسيجموند فرويد .

نفس هذه العاطفة – عاطفة الواجب نحو الأب والأخ والوطن والأصدقاء – هى أيضًا التى دفعت جمال عبد الناصر إلى أن يكتب من منقباد إلى صديقه حسن النشار هذه الرسالة الهامة ، الزاخرة بالأسرار « العائلية » ذات الدلالة .. والتى ننفرد اليوم بنشرها لأول مرة .

تقول الرسالة :

« عزيزى حسن ..
أهديك سلامى ، وأرجو أن تكون بخير ..

أرسلت لك جوابا من زمان ولكن لم يصلنى الرد إلى الآن .. عايز أعرف السبب .

أعرفك أن وقتى مشغول جدًا فى هذه الأيام .. حتى أننى لم أرسل لك ولا لعبد الرءوف من مدة طويلة .

مسألة نقلى لم يبت فيها إلى الآن وإن كان الباشا قد عرفنى أنها ستتم قريبًا .

أرجو أن تسأل عن أخى عز العرب .. وتزوده بنصائحك .. فهو « كسعد » شقيقك تمامًا .. وقد عرفنى الوالد أنه – أى عز – قد ذهب إلى المدرسة .. ولكننى لا أعرف نصيب ذلك من الصحة .

وعز لم يرسل لى ولا جواب ، وهو غير مهتم جدًا .

لم ترسل لى أى معلومات كما اتفقنا على المحطة عندما تركتك ، وقد كنت فكرت فى أن أخذ أجازة هذا الأسبوع ، ولكننى أجلتها لشهر رمضان .. وأظن أن هذا أحسن .

عزيزى حسن .. عندى موضوع وأظنك تعرف له حل ، وهو رغبتى فى إدخال شقيقى الليثى المدرسة مجانا .. لأنه أخذ مجموع

أكثر من ٧٠٪ وطبعًا هذا يقلل المصاريف علىَّ أنا على وجه الخصوص .. لأن والدى يظهر مش ناوى يدفع المصاريف أو جزء منها .. لأنه بالرغم من اتفاق معه على دفع نصف المصاريف .. وأنا الباقى ، ابتداء من أول أغسطس .. فإنه لم يكتف بعدم الدفع .. بل أرسل لى فى طلب فلوس .

أرجو أن تهتم بمسألة أخى الليثى ، وتجاوبنى بصراحة : هل هذا فى مقدورك ؟! حتى أعرفك بمجرد ارسال الطلب .

سلامى إلى العائلة وإلى محمد أفندى عارف .. وعرفه أنى باق فى منقباد حتى يجيء إن شاء الله .. إذا لم أنقل .

وتقبل سلامى وأشواق .. أخوك :

« جمال عبد الناصر »

□□

من المؤكد أنكم معى فى أن مثل هذا الخطاب « الوثيقة » .. ليس فى حاجة — هو الآخر — إلى أى تعليق . « راجع صورته بملحق الوثائق تحت رقم ١٠ » .

فقط : تعالوا نقترب أكثر من ظروف راسله .. ونهبط من جديد على منقباد .. لنقرأ معًا ، المشاغل ، والمشاكل ، ومسئولياته العامة التى رغم كثرتها .. لم تصرفه أو تنسيه مسئولياته العائلية .

وتعالوا نعرف أيضًا .. لماذا كتب جمال عبد الناصر خطابًا « ثانيًا » إلى صديقه حسن النشار يقول له فيه :

« أما مسألة الزواج .. فأظن أنه ليس من المناسب الكلام فيها الآن » .

○ ○ ○

١٠ - نساء .. خمر .. أم مخدرات ؟!

كانوا يومها - كما رأيتم - ثلاث زميلات .

الآنسة همت النشار .. والآنسة زينب عبد الفتاح .. والآنسة « سين »[١] .

الثلاث - كما تعلمون - طالبات فى مدرسة النهضة الثانوية .. وقد جئن لمشاهدة الحفل السنوى للمدرسة .

أما صاحبنا جمال عبد الناصر ، وصديقه حسن النشار .. فقد كان الشاغل الأساسى لكل منهما ، هو أن يمر الحفل دون أن تتعرض همت - ومن معها - للمضايقات .

ذلك لأن همت هى شقيقة حسن ، وشقيقة له هو الآخر .. فى « الرضاعة » ..

□□

---

(١) أشرت فى هوامش الفصل الأول إلى أننى وعدت الأستاذ حسن النشار أن أشير إلى الفتاة التى أحبها صديقه جمال عبد الناصر .. بالحرف الأول من إسمها .. ذلك فقط لأنها زحلت عن دنيانا .. وأظنكم معى فى أن القضية الأساسية ليست هى الاسم .

كل الذى حدث يومها .. هو أنه رأى الآنسة « سين » .. هيفاء .. شقراء .. كحيلة العين .. فاهتز جسده .. وخفق قلبه .. وظهر عليه الخجل والإرتباك .. ولما سأله صديقه حسن عن السبب .. مال عليه عبد الناصر هامسًا :

– أكيد يا حسن .. أنا هاتجوز .

□ □

أحس حسن النشار بأن صديقه جمال يقصد الآنسة « سين » بعينها .. ذلك لأن جمال يعلم جيدًا بأن شقيقته همت ، هى أيضًا شقيقة لجمال فى « الرضاعة » .. والآنسة زينب عبد الفتاح حسين – بنت شقيق أحمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة – هى أيضًا « مخطوبة » لواحد من أشقاء حسن .

إذن : من المؤكد أنه يقصد « سين » بالذات .
وسين .. هى الأخرى ، أحست بكل شىء .

أحست – وهى تصافح جمال – بأن عينيها حينما جاءت فجأة ، فى عينه « .. تعطلت لغة الكلام ، وخاطبت عينه فى لغة الهوى .. عيناها » .

لهذا : أسدلت نظرتها إلى الأرض .. وابتسمت .
فقط : ابتسمت .!!

□ □

نظرة – فابتسامة .. فموعد .. فلقاء .
هكذا تبدأ معظم قصص المحبين والأحباء .

□ □

نظرة .. فابتسامة .. فموعد .. فلقاء .
عفوًا : نظرة .. فابتسامة .. فموعد .. ففراق على عكس معظم الذين سبقوهم من المتيمين والعشاق .!!

□ □

سافر جمال عبد الناصر إلى كتيبته « الخامسة مشاه » فى منقباد .. واتفق مع صديقه حسن النشار على أن يكتب له دائمًا بكل ما يتجمع لديه من أخبار الآنسة سين .

ولما تكاسل حسن فى مهمته .. قال لى بأن ذلك كان سببًا فى أن يعاتبه عبد الناصر عتابًا شديدًا فى أكثر من خطاب – قرأنا أحدها فى الفصل السابق – لأنه لم يرسل له « أى معلومات كما اتفقنا على الخطة » .

عاتب جمال عبد الناصر صديقه حسن ، وكتب إليه كثيرًا يتلمس عنده « أى معلومات » تطمئن قلبه المشغول جدًا بالآنسة « سين » . أما عقله : فقد كان – على عكس قلبه – مشغول بمدارس أشقائه وظروف والده ، وزوجة والده .. وفساد القصر .. والأحزاب .. والإنجليز – الذين هم فى رأيه – أصل « كل البلاء » فى مصر .

وفوق كل ما سبق .. هاهى الحرب العالمية – هى الأخرى – تندلع .. فتتحرك كتيبته « الخامسة مشاه » إلى طنطا .. ولا يعرف إن كان سيبقى بها أم سيرحل – بسبب الحرب – إلى « العلمين » .. قرب الحدود المصرية الليبية ..

باختصار : كل الظروف ضد تفكيره الآن فى أبسط حقوقه الإنسانية .. وهو « الزواج » .

وعليه : ليس أمامه إلا أن يكتب هذا الخطاب : « صورته بالملحق تحت رقم ١١ » .

« عزيزى حسن ..

أهديك سلامى الزائد ، وأرجو أن تكون بخير .

أرسلت لك جوابا من مدة ، ولكن لم يصلنى أى رد حتى الآن .

أنا لا زلت بطنطا .. وربما نبقى بها مدة طويلة ، إذا لم تقم الحرب بين مصر وإيطاليا .. وإلا فإلى الحدود .

لقد سبق أن كلمتك فى موضوع الليثى حتى يتمكن من أن يدخل المدرسة مجانًا .. وقد قدمنا له طلبا بمدرسة المحلة الكبرى – التى يعمل ويقيم فيها عمه خليل – فأرجو إن كنت تعرف أى شخص يعرف ناظر المدرسة فتكلمه .. خصوصًا أنه – أى الناظر – منقول من الوزارة ، واسمه عبد القادر عبد العزيز غالى .

أما مسألة الزواج ، فأظن أنه ليس من المناسب الكلام فيها الآن .. إيه رأيك .. بسبب الحرب والحياة غير المستقرة التى نحن فيها الآن .

هل محمد عارف سافر إلى منقباد .. وفى أى أورطه هو ؟!

سلامى إلى الجميع .

« جمال عبد الناصر »
الكتيبة الخامسة – طنطا

□□

قبل أن تأتى الكتيبة الخامسة إلى طنطا .

« كنا نجلس دائمًا فوق التباب العالية ، يتوسطنا شاب رقيق .. وديع .. عامر النفس بالحب والصفاء ، الذى جعله ملتقى لصداقتنا جميعًا .

كنا نمرح .. فنضحك عاليًا ، ونسخر من كل شىء .. وأحيانا نغنى .

ولا نكاد ننطلق فى المرح ، حتى نجد موضوعًا هادئًا يثيره بيننا هذا الضابط الشاب .. ولا يلبث أن يستنبط منه رأيًا ، أو فكرة تثير بيننا مناقشة مفيدة هادئة .

وإلى جانب هدوئه ، وحيائه الشديد .. كان يمثل بيننا الشخصية الكاملة لأبناء الصعيد .. فنجده وديعًا رقيقًا مليىء الصدر بالحنين ، عندما تلمس نفسه لمسة عاطفية ، قد لا تحرك أحدًا من الناس .. ولكنه سرعان ما ينقلب أسدًا هصورًا فى اللحظة التى يشعر فيها بأن أحدًا فكر مجرد تفكير ، فى الاعتداء عليه .

لقد كان هذا الصديق بيننا هو جمال عبد الناصر .. صورة حلوة للإخاء ، والصداقة ، والحياء ، والهدوء ، والكرامة ، والاتزان ، والرصانة .. حتى فى ساعات الفرح والمرح .

ولهذا كله : كان يستأثر باحترامنا جميعًا .. ويمثل لنا المعنى المجسم الحى لكل المعانى النبيلة .

وفى إحدى الأمسيات .. كنا نحتفل بعيد ميلاد هذا الصديق ، الملازم الشاب جمال عبد الناصر ، وعلى مائدتنا الكبيرة ، يوجد العدس المشهور ، الذى طبخناه بأيدنا ، وبالقرب منه كومة من قصب السكر .

ولكى نعطى هذه المناسبة حق قدرها من التكريم ، أحضرنا كمية كبيرة من أبو فروة من أسيوط .. وجلسنا جميعًا حول النار .. نشوى .. ونأكل .

وبينما كنا نمزح .. بدأ جمال عبد الناصر بصوته الهادىء الرزين يقول :

– لننتهز هذه الفرصة ، ونخلق فيما بيننا رابطة متينة .. ليكن اجتماعنا هذا اجتماعًا تاريخيًا .. وليحرص كل منا على أن يبقى أمينًا للصداقة التى تربطنا وتوحد فيما بيننا .

لم يكن أحد يدرى أن هذه المجموعة من الأصدقاء ستكون نواة لمجموعة أكبر .. وأكبر .. وأن اجتماعها فوق تلك التباب البعيدة لن يكون صدفة تمر ، ويتشتت بعدها شمل الأصدقاء . وإنما ستكون البداية الحقيقية لجهاد عنيف ومحن كثيرة ، وعمل خطير .

كان جمال يقول لنا بأن الإنجليز هم أصل بلائنا كله .. وكانت هذه العبارة مفتاح تفكير طويل لم يلبث أن أصبح خطى عملية متتابعة .. هذه العبارة قالها جمال عبد الناصر ، وكأنه يحدد لنا رسالة كبرى لا ينبغى أن يتخلى عنها أحد » .

و .. اكتفى بهذا القدر من سطور « الغزل » التى ملأ بها أنور السادات كتابه المختفى من الأسواق « صفحات مجهولة » .. عن جمال عبد الناصر .!!

وهو نفس « جمال عبد الناصر » الذى رحل عن دنيانا .. فعاد أنور السادات وكتب عنه حرفيًا « .. بالرغم من أننى تعرفت على جمال عبد الناصر ، حينما كان كلانا فى سن التاسعة عشر ، فإننى لا أستطيع أن أقول سوى أن علاقتنا كانت علاقة إحترام وثقة من جانب كل منا .. وليست صداقة على الإطلاق .. ذلك لأن عبد الناصر لم يكن من السهل عليه ، أن ينشىء علاقة صداقة بمعنى الكلمة مع أى إنسان .. وهو المتشكك دائمًا .. الحذر .. المليىء بالمرارة .. العصبى المزاج » .

قال ذلك أنور السادات على صفحة (١١٤) من « بحثه عن ذاته » لا عن الحقيقة .. ونسى أنه على صفحة (٩١) من نفس الكتاب تفاخر قائلاً : « .. أنا وعبد الناصر تصادقنا ونحن فى سن التاسعة عشر .. ثم جاءت الثورة ، وأصبح هو رئيسًا لجمهورية مصر .. فقلت فى نفسى أهلاً وسهلاً .. صديقى الذى أثق فيه صار رئيس جمهورية .. وهذا شىء يسعدنى ، وهو نفس الإحساس الذى شعرت به عندما أصبح عبد الناصر زعيمًا للأمة العربية كلها » .

ومن فرط صدق السادات ، ووفائه لهذه الصداقة « عاب » على عبد الناصر – فى صفحة (٩٢) من نفس الكتاب – بأنه عاش ومات « دون أن يستمتع بحياته كما يستمتع الآخرون » .. بل ووصف عبد الناصر – على نفس الصفحة – فى مماته .. بأن « داخله مليىء بتناقضات لا يعلمها إلا الله ، ويحتم علىَّ ، واجبى كصديق ألاَّ أكشفها ، أو أفصح عنها » .!!!

وهكذا -- بخل علينا الرئيس المؤمن ، ولم يفصح لنا عما اكتشفه – وحده !! – من تناقضات عبد الناصر « بحجة واجب الصداقة » . وهو الذى سبق أن قال لنا منذ قليل « بعظمة لسانه » – على صفحة (١١٤) – بأن العلاقة التى كانت تربطه بعبد الناصر « لم تكن صداقة على الإطلاق » .!.

وبخل علينا أيضًا ، ولم يفصح عما اكتشفه – وحده !! – من تناقضات عبد الناصر .. بحجة أن « داخل » عبد الناصر « لا يعلمه إلا الله » .. وهو الذى سبق أن تطوع فى حياة عبد الناصر وأستعرض لنا علمه « بدواخل » البشر .. وأقسم

فى « صفحات مجهولة » بأن نفس عبد الناصر « عامرة بالحب والصفاء » .. وساق لنا قائمة أخرى طويلة من الغزل ، وصفه فيها « بالصديق ، الهادىء ، الرقيق ، الوديع ، الرصين ، العاطفى ، المفكر ، الرزين ، الحساس ، الخجول .. وأيضًا المصور » .!!

وفى صفحة (٢٠٨) من كتابه « يا ولدى هذا عمك جمال » وصف جمال عبد الناصر أيضًا بأنه « رسول الخير ، والحق ، والسلام .. المسير بإلهام من عند الله » !!!

□□

غريبة : لجنة « الإقتراحات والشكاوى » فى مجلس الشعب ، وقت أن كان يرأسها المرحوم محمود أبو وافيه عديل الرئيس المؤمن أنور السادات ، كانت قد تلقت إقتراحًا نشرته الصحف ، وقتها من النائبة المطربة فايدة كامل - زوجة النبوى إسماعيل وزير الداخلية الشهير فى عهد السادات - تقترح فيه أن نلقب الرئيس المؤمن « بسادس الخلفاء الراشدين » .

والآن .. الرئيس المؤمن نفسه يقول لنا فى كتابه « يا ولدى هذا عمك جمال » بأن عبد الناصر كان « رسولاً للخير ، والحق ، والسلام .. مسير بإلهام من عند الله » .!!!

فلماذا - إذن - يعيب عليه لأنه « لم يستمتع بحياته كما يستمتع الآخرون » .. العاديون من البشر ؟!!

على أية حال : الرئيس المؤمن لم يحدد صنوف هذه « المُتع » .. أو طبيعتها .. لكن البديهى أن نفهم من كلامه هذا أنه تنبه لهذه النصيحة مبكرًا .. ولم يرتكب « غلطة » عبد الناصر .. فعاش يستمتع بحياته « بأكثر » مما يستمتع الآخرون .

وعليه : تعالوا « نقلب » سريعًا فيما تركه لنا السادات من كتب ومقالات .. لعلنا نتبين بعضًا من هذه « المتع » فى رأيه .. ونتبين - بالتالى - لماذا وقع جمال

عبد الناصر فى حب أول فتاة تبتسم له .. ولماذا سعى أيضًا ، للزواج منها ، وهو لا يزال ملازم شاب فى سن العشرين ؟!!

●● فى العدد رقم (٧٠٥) الصادر فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٥٥ من جريدة « الجمهورية » – كتب أنور السادات مقالاً غريبًا قال ضمن ما قال فيه « .. ومنذ فجر شبابى ، وأنا أحس بميل شديد للفنانين ، كما أننى لا أجد نفسى حقيقة إلا فى صحبة الممثلين .. وإلى جانب هذه المتعة ، لم تخلو حياتى من القيام بتمثيل كل الأدوار على مسرح الحياة .. إلا الحقيقة » !!

●● وفى صفحة (٥٧) من كتابه الهام المختفى أيضًا « ٣٠ شهرًا فى السجن » .. إعترف السادات بأن المرة الأولى التى اجتمع فيها داخل أسوار السجن بزملائه المتهمين فى قضية أغتيال أمين عثمان .. كانت فى ٣ يوليو سنة ١٩٤٦ .. أى وهو فى « الثامنة والعشرين » .. ورغم ذلك أتفقوا فيها أيضًا : « على أن كل من يرى امرأة جميلة فى شباك سجن النساء ، أن يخطر الباقين لمشاهدتها أثناء الطابور .. ويكتفى مؤقتًا بالمشاهدة أو المصمصة فقط » .!!!

وحينما انشأوا فيما بينهم إذاعة داخل السجن ، قال السادات – على نفس الصفحة – بأنه أحتفظ لنفسه بفقرتين فى البرنامج :

الأولى : تذاع فى تمام الساعة (٦) وهى بعنوان : « حديث للأطفال للمربى الفاضل بابا أنور » .

والثانية : تذاع فى الساعة (١١) وهى بعنوان « أغنية حديثة للمجعراتى المتسول محمد أنور السادات » .. هكذا بالنص .!!

●● أما حينما كان السادات يعمل مع الألمان .. فقد اكتفى فى كتابه « صفحات مجهولة » بوصف عوامة صديقته الراقصة حكمت فهمى التى كان يتردد عليها لمقابلة مندوبى المخابرات الألمانية ، وعدد لنا – فى صفحة ٦٦ – ما كان يجده بها فى كل مرة من « وسائل الحياة الناعمة ، وأدوات الترف ، والغانيات العاريات ، وكؤوس الشراب ، وصناديق الويسكى » .

و .. نسى طبعًا أن يقول لنا بأنه كان يكتفى « بالفرجة فقط » .. وهو يجلس بين كل هذه « الوسائل الناعمة » فيما وصفه نصًا « بوكر الترف ، والنعومة ، وحياة الليل ، والتهتك » .. وهو تقريبًا ، نفس الوصف الذى قرأناه جميعًا للحفلات التى كانت « ناهد رشاد » تعدها للملك فاروق ، بينما السادات وزملاءه من أعضاء الحرس الحديدى منتشرون داخل الحفل وخارجه للحفاظ على حياة « مليكهم المفدى » الملك فاروق .

●● وبعد أن أصبح السادات رئيسًا للجمهورية « لم يكن سرًا أنه كان يشرب بانتظام .. الفودكا فى الصباح ، لإعتقاده أنها لا تترك رائحة فى الفم .. والويسكى بالليل ، بعد أن ينتهى البرنامج الرسمى للمقابلات »[1] .. وإن كان صديقه أنيس منصور قد ألمح مرارًا فيما كتبه بعد « حادث المنصه » إلى أن الرئيس السادات كان يتعاطى أيضًا « أنواعًا أخرى من المخدرات » .!!

□□

لو كانت هذه هى مقاييس السادات « للإستمتاع » بالحياة .. فمن حقه - فعلاً - أن يعطى عبد الناصر « صفرًا » كبيرًا .. ومن حقه أيضًا أن يتهمه ، كما أتهمه فى « البحث عن الذات » بأنه عاش فعلاً ومات « دون أن يستمتع بحياته » .. وهذه هى الأسباب .

●● على صفحة رقم (١٣٦) من كتابه « صفحات مجهولة » قال لنا أنور السادات بأن قائدهم فى معسكر منقباد ، الذى كان ولوعًا بالخمور ، كثيرًا ما كان يطلب منهم أن يشاركوه الشراب بالأمر .. « إلا أن الضابط الشاب جمال عبد الناصر ، وهو الذى لا يطيق رائحة الخمر .. لم يكن يضيق فقط بهذه الأوامر .. وإنما كان يرفض .. ويسخط .. ويقاوم .. بل ويفسد على القومندان المهيب مجلس الشراب » .

---

(١) صفحة (٣٣٩) من « خريف الغضب » لمحمد حسنين هيكل .

●● وفى صفحة (١٠٩) من كتاب « جمال عبد الناصر » الصادر عن « دار التقدم » سنة ١٩٨٣ ، قطع الكاتب السوفيتى « أجاريشيف » بأن عبد الناصر - بنص كلماته - عاش ومات « دون أن يقرب المشروبات الكحولية » .!

●● وفى الرسالة التى بعث بها الدكتور جمال غوردون رئيس الجمعية المصرية لرعاية مرضى السكر .. ونشرها صلاح منتصر على صفحات مجلة « أكتوبر » فى ٢٤ يوليو ١٩٨٨ .. كشف الدكتور غوردون عن ضيق الرئيس عبد الناصر ، واستغنائه عن خدمات أحد الأطباء المشاهير « عندما استدعته الرياسة أمس على عجل ، من مأدبة عشاء للكشف على عبد الناصر - إلا أن الرئيس شم فى نفس الطبيب رائحة الخمر » .!!

●● وعلى صفحة (٨٤) من « ما لم تنشره الصحف » لمحمد رجب .. واقعة هامة ، تقطع بأن عبد الناصر ، عاش فعلاً ومات ، وهو يمقت أيضًا « البغاء » .. والإباحية .. والخيانة الزوجية .!!

والمتأمل لهذه الواقعة بالذات ، يستطيع أن يتلمس فيها أبعادًا « أخلاقية » أخرى ، غائرة فى نسيج عبد الناصر .. دون أن يشك مطلقًا فى صدق الواقعة .. ليس فقط لأن راويها لم ينكرها حتى الآن .

وإنما أيضًا : لأن الراوى هو « مصطفى أمين » .. وبعد وفاة عبد الناصر .!!

تقول الواقعه : أن مصطفى أمين ذهب إلى الرئيس عبد الناصر يسأله عن سبب فصل صديقه إبراهيم نوار من رئاسة تحرير جريدة الجمهورية - فعلم أن هناك من قدم للرئيس معلومات تؤكد بأن إبراهيم نوار « أسس مع بعض أصدقائه جمعية لتبادل زوجاتهم ، فيما بينهم ، وحرروا بذلك عقدًا مكتوبًا » .. أطلع عبد الناصر مصطفى أمين على صورة منه .!!

وبينما كان مصطفى أمين يتأمل صورة العقد ، شاهد أحد « الجرسونات » قادم نحوه ، وهو يحمل له كوب ليمون بارد .. ولما كان الجرسون بارز العظام ، أسود

الوجه والجسد ، ولا يكاد يبدو من وجهه غير أسنانه البيضاء ، حينما يبتسم .. فقد مال مصطفى أمين على عبد الناصر قائلاً :

– هل ترى هذا الجرسون يا سيادة الرئيس ؟!

فرد عبد الناصر ، وقد شدته غرابة السؤال قائلاً :
– طبعًا شايفه ..

فسأله مصطفى أمين ثانيًا :
– وهل ترى كم هو أسود ، ورفيع ، وخشن ؟!

فقال عبد الناصر بنفس الدهشة .
– لماذا تسألنى هذه الأسئلة ..؟!

فابتسم مصطفى أمين وهو يهمس للرئيس :
– هذا الجرسون أكثر فتنة ، وجمالاً – من زوجة إبراهيم نوار .. فهل يعقل أن يختارها رجل ليبادلها بزوجته .

وعندها : قاطعه عبد الناصر بلهجة حاسمة تقول :
– أنا مافهمش فى مسائل الـ « .. .. .. » بتاعتكم دى .!!

و .. بعد أن هدأ مصطفى أمين من حدة الرئيس .. رجاه أن يعيد النظر ثانيًا فى هذا الموضوع بهدوء .. وألا يعتمد على مصدر واحد فى معلوماته عند هذا الموضوع ، مؤكدًا لعبد الناصر أنه لو ثبتت إدانة إبراهيم نوار بعد أن يتحرى الرئيس الأمر بنفسه .. فسوف يستقيل هو الآخر .. لأنه يعرف نوار أكثر من نفسه ، ولأنه هو الذى رشحه للرئيس ليكون رئيسًا لتحرير جريدة الجمهورية .

ولم تمض أيام قليلة ، حتى استدعاه عبد الناصر ثانيًا ، وأخبره بأنه « تحرى موضوع نوار بنفسه ، وأولاه عناية كاملة ، بل وتابعه أكثر من جهاز .. ووصل إلى أن الإمضاء الموقع فى ذيل العقد باسم إبراهيم نوار ، هو إمضاء مزور ، وأن

العقد كله أكذوبة ملفقة بسبب بعض الصراعات الشخصية الرخصية ، ويستطيع نوار أن يعود إلى رئاسة تحرير الجمهورية من باكر » .!!

والواقعة كما ترون ليست فى حاجة إلى أى تعليق ، للتدليل على مدى القدر الكبير الذى كان عبد الناصر يمقت فيه البغاء .. والإباحية .. والخيانة الزوجية ، وما إلى ذلك مما قد يعلله البعض « بالحرية الشخصية » .. وإن كان مصطفى أمين قد ذكر هذه الواقعة أساسًا « للنيل » من أحد ضباط الجهاز الأمنى الذى ضبطه متلبسًا بالتجسس لصالح أمريكا .!!

□□

وعلى ذكر أمريكا .. وفى كتابه الشهير « التقدم نحو القوة » يقول « يوجيم جوستين » مدير المخابرات الأمريكية السابق « مشكلتنا الحقيقية مع جمال عبد الناصر .. أنه بلا رزيلة ، مما يجعله من الناحية العملية غير قابل للتجريح .. فلا نساء .. ولا خمر .. ولا مخدرات .. كما لا يمكن شراؤه ، أو رشوته ، أو حتى تهويشه .. نحن نكرهه ككل .. ولكننا لا نستطيع أن نفعل تجاهه شيئًا .. إنه فعلاً بلا رزيلة » .!

□□

شخص هذه صفاته - على رأى صديقه حسن النشار - كان لا بد من أن يفكر فى الزواج مبكرًا .

شخص يكتب إلى صديقه .. فلا يذكر إسم حبيبته فى الخطابات إلا مقرونًا بلقب « الهانم » .. كان - فعلاً - لا بد من أن يكره البغاء .

شخص يقابل حبيبته فى الشارع صدفه .. « فيشهد الله على أنه لم يحاول تتبعها أو معاكستها ، حتى ينزه نفسه عن عبث الشباب الحديث »[1] .. كان لا بد من أن

(١) راجع نص خطاب جمال عبد الناصر إلى صديقه حسن النشار المنشور فى الفصل الثانى .

يبتعد فعلاً ، عما وصفه السادات فى كتابه « صفحات مجهولة » بأوكار « الترف ، والنعومة ، وحياة الليل .. والتهتك » وكان أيضًا لا بد من أن يعجل بإجراءات زواجه ممن يحب .

وعليه : فاتح صديقه حسن النشار فى « الموضوع » ثانيًا .. وأخذ أسبوعًا أجازة من الجيش .. وطلب من والدة صديقه حسن ، « نينه » وهيبه – كما يناديها – أن تصطحب معها الآنسة همت .. وتذهب لتتأكد بنفسها مما تجمع لديه من أخبار مقلقة عن « ظروف » العروسة .. و « لجس نبض » عائلتها أيضًا – قبل أن يذهب هو ووالده وعمه خليل ، لخطبتها – غدًا .

○ ○ ○

١١ - لعـــل .. وعســـى .!!

نحن الآن فى منزل الآنسة « سين » .

« نينه » وهيبه .. تشرب الشاى فى حجرة الصالون مع « أم العروسة » .. فهى « معرفة » قديمة .. والإثنتان « دمايطة زى بعض » .

أما إبنتها الآنسة همت النشار .. فقد « تحججت » برؤية صديقتها « سين » .. وتسللت إلى حجرتها .. لتبشرها بالعريس .

الآنسة « سين » - كما نعلم - اتجهت بعد حصولها على شهادة « البكالوريا » .. للعمل بالتدريس فى مدرسة الفنون « الطرزية » .

وجمال عبد الناصر ، وصديقه حسن النشار .. اتجه كل منهما إلى السماء .. ووقف ينتظر « الفرج » بالقرب من المنزل .. وإن كانت همت - شقيقة جمال فى الرضاعة - قد طمأنته فى الطريق على مشاعر زميلتها « سين » .

دخلت الست وهيبه فى الموضوع مباشرة .

حدثت صديقتها القديمة ، عن « أخلاق جمال ، وأدب جمال ، وكمال جمال » .. والمستقبل الذى ينتظره كضابط فى الجيش .

قالت أم العروسة : « كان يوم الهنا يا وهيبه يا أختى .. كنت أجهزها ، وأوديها له لغاية بيته » .

●● وما المانع ..؟!

شقيقتان .. تصغرهما الآنسة « سين » لم يتزوجا إلى الآن .

و .. ما يصحش زى ما أنتى عارفة ، إن البنت الصغيرة ، تتخطب قبل الكبيرة .. إلا إذا كنتِ – وهى تضحك – تأخدى واحدة لإبنك حسن ، والثانية لأخوه على .. وسين يأخدها جمال » .!!

قالت الست وهيبه : وياكلوا منين ..؟! حسن لسه فى « تانية » حقوق .. وعلى فى الليسانس .. وجمال بس هو اللى اتخرج ويقدر يفتح بيت » !!

□□

فقط : ضاع كل شىء .

□□

أحست « نينه وهيبه » بالأسى .. والحيرة .

جمال .. ضاعت منه سين .. وإبنتها همت لا تجوز له شرعًا .

لا بأس : فالبنات تملأ الدنيا .!

□□

حاولت « نينه وهيبه » أن تبحث لجمال عن عروسة بين بنات أقاربها .

حاول أيضًا : صديقه عبد اللطيف البغدادى .. أن يزوجه من شقيقة زوجته ..

لكن جمال عبد الناصر .. الذى لم « يرتاح » لهذه الطريقة .. رجاهم أن « يتركوها للظروف » .

وقبل أن ينصرف .. أحالهم إلى كتاب « الخطيئة والعلم » الذى قال فيه إدوارد

الأول سنة ١٢٨٥ بأن « الزواج فى العصور الوسطى ، لم يكن ناجحًا .. بل كان أقرب إلى البغاء .. بسبب افتقاده إلى الحب » .!!

وعلى رأى صديقه حسن النشار : ما الذى كنا ننتظره غير ذلك من عريس فى « رومانسية » جمال عبد الناصر .

فهو – زمان – الذى غنى « جفنه علم الغزل » .. حينما تعطلت لغة الكلام .. وخاطبت عينه لغة الهوى .. فى عينى حبيبته « سين » .

وهو الذى قالت عنه السيدة الجليلة قرينته لطبيبه الخاص .. بأنه كتب على دبلة خطوبتها له .. « تاريخ أول مرة يراها فيها .. لا تاريخ حفل الخطوبة »[1] .

وهو الذى لم يقدم للسيدة الجليلة قرينته « طقم صينى » هدية الزواج .. وإنما قدم لها « جرامافون صغير .. ومعه عشر اسطوانات من الموسيقى الكلاسيك »[2] .. فى ليلة الزفاف .!!

وهو الذى « زغر » بعينه لياوره صلاح الشاهد ، ورفض أن يضع يده فى يد « ملكة اليونان » .. حتى لا تضطر زوجته ، إلى أن تلتزم هى الأخرى بالبروتوكول ، وتفعل مثله مع ملك اليونان .. ثم مال عليها وهو يقول : « أنا رجل صعيدى .. ولا أطيق أن أراك تضعين يدك ، فى ذراع شخص آخر .. حتى ولو كان ملكًا »[3] .

وهو الذى قالت عنه إبنته « منى » بأنه لم يكن يسمح لوالدتها – السيدة تحية كاظم – بأن تسافر بمفردها على أية طائرة ، دون أن يكون معها « ليس فقط ، لأنه لا يطيق فراقها .. وإنما أيضًا لأنه لم يكن يتصور أنه يستطيع الحياة بدونها ،

---

(١) عن حوار أجريته مع طبيبه الخاص د . منصور فايز ونشرته جريدة « الأهالى » فى (١٢) أكتوبر ١٩٨٨ .

(٢) كتاب « السيدات العشر الأوليات فى العالم » للكاتبة الأمريكية باولينى فريدريك :

(٣) صفحة (٣٢٨) من كتاب « ذكرياتى فى عهدين » لصلاح الشاهد .

فيما لو أصيبت الطائرة بمكروه لا قدر الله »[1].

وهو : الذى قالت عنه إبنته منى - أيضًا - « بأنه كان يعمل فى مكتبه أحيانًا ، حتى الساعات الأولى من الفجر .. بينما والدتها تجلس فى ركن حجرة مكتبه ، تشغل نفسها بالتطريز أو شغل الإبرة .. حتى لا تفارقه ، وهو فى نفس البيت .. بينما الموسيقى الكلاسيكية الهادئة ، أو صوت أم كلثوم الخافت .. يضمهما معًا فى سكون الليل »[2] .

وهو الذى قال لى عنه الدكتور منصور فايز ، بأنه مريض ، مطيع ، ورب أسرة « مثالى » .. وزوج « محب » .. لا يحب منظر الدم .. ويخرج على نظام العلاج ، حين تطهو زوجته أحد أصناف « المحشى »[3] .

وهو الذى كان مريضًا ، « فى الوقت الذى وضعت فيه كريمته منى مولودها جمال ، فى مستشفى الدكتور على إبراهيم ، فاتصل به بنفسه ، وطلب منه تأجيل خروجها لمدة يومين ، لحين شفائه .. حتى يزورها فى المستشفى ، ويظهر معها فى صورة تذكارية مثلما فعل من قبل مع شقيقتها هدى حينما وضعت إبنتها هالة »[4] .

وهو الذى قال عنه إبنه خالد - قبل غربته - بأنه « لم يكن أبدًا يضرب .. أو يحرم أى منهم »[5] .

وهو الذى قال فزعًا من حياة القصور : « هناك .. فى القصر .. سوف يعيش كل منا فى جناحه الخاص .. وبالتالى سوف نصبح أسرة مفككة . أما هنا فى منزلنا .. فإننا جميعًا نعيش معًا ، ونأكل معًا ، ويطمئن كل منا على الآخر .. إننى لا أنسى يوم أن أنتقلنا مرة إلى قصر الطاهرة ، بصفة مؤقتة لمدة خمسة أسابيع ، حينما كانوا

---

(١) و (٢) صفحة (٤٤) من مجلة « الشرقية » - عدد يوليو سنة ١٩٨٢ .
(٣) و (٤) جريدة الأهالى - مصدر سابق .
(٥) من حوار أجريته مع خالد عبد الناصر فى حجرة مكتب والده ، ونشرته مجلة روزاليوسف فى (١٣) يناير سنة ١٩٧٥ .

يبنون طابقًا ثانيًا لمنزلى الصغير فى منشية البكرى .. لا أنسى حينما راح أطفالى يكسرون الفازات ، والتحف الثمينة ، وهم يلعبون فى ممرات وصالات القصر .. فدفعت ثمن كل شىء كسروه .. وتأكدت جيدًا بأننى لا أستطيع القيام بأعباء الحياة داخل القصور .. إننى أحب بيتى الصغير ، وأحب أن أرى من نافذته شجرة خضراء فى ضوء القمر .. وأسعد حينما أستيقظ مبكرًا ، فأسمع زقزقة العصافير ، ونقراتها الخفيفة على زجاج النافذة .. »[1] .

وهو الذى قال عنه صديقه الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل « بأنه يحب الإستماع إلى أم كلثوم .. ويحب أيضًا صوت فيروز ، ويعتبرها أنها كانت ينبغى أن تظهر فى مصر ، وأن ظهورها فى لبنان .. يعد من قبيل أخطاء المصادفات »[2] .

وهو – أخيرًا – الذى دخل عليه محمد حسنين هيكل ،وقت أن كان وزيرًا للإعلام .. فقال له عبد الناصر : عندكم مطربة إسمها عفاف راضى ..

فقال هيكل : عندنا فين ..؟!

فقال عبد الناصر : فى الإذاعة ..

فقال هيكل : أنا الحقيقة لا أستمع كثيرًا إلى الراديو .

فقال عبد الناصر : « وأنا أيضًا لا أعرف عفاف راضى شخصيًا .. ولكنى سمعتها مرتين أو ثلاثة ، وصوتها يذكرنى بصوت فيروز .. ولو أن البيروقراطيين فى الإذاعة ، راعوها .. وأتاحوا لها فرصة الظهور .. يمكن يطلع منها فيروز ثانية »[3] .

□□

---

(١) من حديث لعبد الناصر مع الكاتب الصحفى دافيد وين مورجان نشرته الصنداى تايمز اللندنية فى يونيه ١٩٦٢ .

(٢) صفحة (١٧) من مجلة أكتوبر الصادرة صباح الأحد (٦) يونيه ١٩٨٦ .

(٣) مجلة « أكتوبر » فى (٦) يونيه ١٩٨٦ – مصدر سابق .

رأينا – معًا – كيف أن جمال عبد الناصر ، لم يكن « عريسًا » رومانسيًا فقط .. وإنما أيضًا ، كان زوجًا .. ووالدًا .. وضابطًا .. يمتلىء بالحب ، والشاعرية .. كتلة من المشاعر والأحاسيس ، تأكل ، وتشرب ، وتمشى على قدمين ، وتنفعل بما حولها ، فى كل الأوقات . ليس فقط تجاه أهله ، أو أصدقائه ، أو المحيطين به .. وإنما أيضًا تجاه الوطن .. والمحن .. وملامح المستقبل .

ومن لا يصدق : يتأمل – مثلى – ما كتبه جمال عبد الناصر نفسه .. وبخط يده .. إلى الأهل والأصدقاء .

من لا يصدق : يتأمل – مثلى خطابات كل المصريين إلى ذويهم .. وسيجدها فى « معظمها » .. لا تزيد على السلامات والتحيات والسؤال عن الصحة والعافية « التى هى غاية المراد من رب العباد » .!!

أما خطابات عبد الناصر إلى أهله أو إلى أصدقائه .. فسيجدها تختلف كثيرًا ..

هذا – مثلاً – خطاب يكشف فيه الضابط الشاب جمال عبد الناصر عن روح القاص الساخر ، والهازىء « بنواب » الثرثرة .. والاستعراض .

يقول جمال فى رسالة فريدة ، مؤرخة فى الثالث من مارس ١٩٣٩ إلى صديقه حسن النشار ما نصه حرفيًا :

« عزيزى حسن ..

فى محطة الجيزة ، فتح باب ديوان القطار ، ودخل منه شخص معه بندقية ، ومن حوله الخدم يرددون :

حاضر يا سعادة الباشا .. طيب يا سعادة الباشا

وبعد أن ألقى علىّ التحية ورددتها عليه.. أخذ مكانه إلى جانبى ، ووضع أمتعته على المقعد المقابل ، وهو يقول :

أنا بقى « فلان الفلانى » بتاع مجلس الشيوخ اللى بيقولوا عليه لتات وغلباوى .

فقلت له : تشرفنا ..

فعاجلنى قائلاً : أنا الوحيد إللى عارضت معاهدة ١٩٣٦ .. ثم راح يحكى لى قصة حياته منذ سنة ١٩٠٧ .. وحتى .. لا أذكر إلى أى سنة أخرى .

كان يتحدث يا حسن بسرعة غريبة ، وكلما حاولت أن أرد عليه .. يقول لى : إنتظر .. إنتظر .. ثم يستمر فى كلامه بصوت عال .

عندها : عرفت أننى لن أستطيع النوم ، ولن أستطيع الإصغاء .. فظللت ناظرًا له وأنا لا أفقه حرفًا واحدًا مما يقول ، حتى آلمتنى رقبتى .

وحتى اطمئن نفسى .. إنتهزت إحدى الفرص .. وقلت له : سعادتك نازل فين ..؟!

فقال : أحمد ربنا اللى لقيت واحد يسليك حتى بنى سويف .

وحمدت الله فعلاً فى سرى .. وظل هو يحكى وأنا استمع حتى وصلنا إلى بنى سويف .

وهناك أنزل حوائجه .. بينما كان ينصحنى بأن أحترس جيدًا من الزحمة .. ثم نسى نفسه ، وبدأ يحكى لى حكاية جديدة ، حتى خفت أن يغير رأيه .. ويستمر معى إلى محطة ثانية ليكمل الحكاية .. لكن الله سلم ، ونزل والقطار يتحرك .. ومن يومها – وأنا أشكو من الصداع الذى لا أعرف كيف أتخلص منه إلى الآن» !!

□□

هذه أيضًا : رسالة أخرى عميقة الدلالة تنشر لأول مرة ، ويقول فيها عبد الناصر – سنة ١٩٤١ – من جبل الأولياء بالسودان ما يلى :

« عزيزى حسن ..

اكتب إليك الآن وأنا ثائر ، فى نفسى ثورة داخلية عائلية .

وصلنى جواب من العم - خليل - شديد اللهجة ، يقول فيه أنه كتب لى جوابين ولم يصله الرد .. ويتهمنى بأننى كنت اكتب له فقط مدة وجود أشقائى عنده - فى المحلة الكبرى - وقد كان هذا الخطاب قاسيًا ، وكافيًا لأن أرد عليه ردًا يقطع علاقتى به ، وبالعائلة أجمع إذا إحتاج الأمر .. فقد كانت أفكارى تدور حول ما جنته هذه العائلة علىَّ وما قاسيته ، على يديها .. ولكنى تداركت نفسى .. ورددت عليه بخطاب يؤلمه ، ولن يؤنب بعده إلا نفسه على إرساله هذا الخطاب .

لقد أخبرته أنه يعتقد أن جمال عبد الناصر ، ممتع ويعيش كما يتصورون عن الضباط ، ليس له مشاغل فى الحياة ، خالى البال .

وطبعًا شخص هذه صفاته ، لا بد من أن يكون قد أجرم فى التقصير برد خطاب عمه .. وأخيرًا أثبت له أن جمال عبد الناصر ليس خالى البال .. ولديه الكثير من الهموم والآلام الخاصة والعامة .. وقد كان لا يزال معاهدًا نفسه ألاَّ يشرك أحدًا معه فى هذه الهموم ، وأن جوابه هذا، كان سيولد حوادث سيئة العواقب .. ولكنى تداركت نفسى .

على العموم يا حسن .. أنا مش عارف ألاقيها منين .. ولا منين .. هنا فى عملى كل عيبى أنى دغرى ، لا أعرف الملق ، ولا الكلمات الحلوة .. ولا التمسح بالأذيال .

وشخص هذه صفاته .. يحترم من الجميع .. ولكن الرؤساء .. الرؤساء يا حسن يسوءهم ذلك الذى لا يسبح بحمدهم .. يسوءهم

ذلك الذى لا يتملق إليهم .. فهذه كبرياء – وهم شبوا على الذلة فى كنف الاستعمار .

يقولون : كما كنا يجب أن تكونوا .. كما رأينا يجب أن تروا .. والويل ، كل الويل لذلك المتكبر – كما يقولون – الذى تأبى نفسه السير على منوالهم ، يعاده الجميع من تلاميذ العهد القديم .

ويحزننى يا حسن أن أقول بأن هذه السياسة ، نجحت نجاحًا باهرًا .. فهم يصهرون نفوس الشبان .. وكلهم شبان لم تصقلهم الأيام .

ويحزننى يا حسن أن أقول أن هذا الجيل الجديد ، قد أفسده الجيل القديم ، فأصبح منافقًا ، متملقًا .!!

ويحزننى يا حسن أن أقول أننا نسير إلى الهاوية .. الرياء .. النفاق .. الملق ، تفشى فى الاصاغر .. نتيجة لمعاملة الكبار .

أما أنا فقد صمدت ولا زلت .. ولذلك تجدنى فى عداء مستحكم ومستمر مع هؤلاء الكبار » .!! « راجع الوثيقة الثانية عشر » .

و .. من منقباد .. كان أيضًا قد كتب إلى نفس الصديق – فى فبراير سنة ١٩٣٩ – يقول :

« نحن نعمل يا حسن تحت رياسة شوية .. أكثرهم أو كلهم يتمنون عودة الاستعمار للسيطرة على الجيش .. كلهم مجردون من الأخلاق .. ربنا مايوريك » .!!

وفى مارس سنة ١٩٤١ .. لا ينسى ، وهو فى السودان ، أن يسأل عن أحوال مصر قائلاً :

« يبدو يا حسن أن الأخبار غير مطمئنة فى مصر .. ولو أن الجرائد لا تظهر بها شىء .. إلا أن الواحد ممكن يفهم شوية من بين

السطور .. قرأت أن مجلس النواب ، يتناول موضوع بعض الطلبة المعتقلين ، وغيرهم ممن فتشت منازلهم .. ويظهر أن حمدى محجوب ، وسليم زكى يمتد .. عاملين همة .. المهم أرجو أن يكون ظنى فى غير محله » .!!

و .. حينما وقع ما وقع فى الرابع من فبراير سنة ١٩٤٢ .

حينما حاصرت دبابات الإنجليز قصر الملك ، وأرغمته بالقوة على أن يتولى حزب الوفد ورئيسه مصطفى النحاس تشكيل الحكومة .

حينما كانت مصر كلها تئن تحت سياط المذلة والإهانة .. فيما عدا « رجال » حزب الوفد .. الذين جاءت بهم بريطانيا إلى الحكم على فوهات المدافع .

عندها : كتب حسن النشار إلى صديقه جمال عبد الناصر ، بكل التفاصيل .. فرد عليه جمال – من العلمين – فى ١٦ فبراير سنة ١٩٤٢ يقول :

« خطابك يا حسن جعلنى أغلى غليانًا .. وكنت على وشك الإنفجار من الغيظ .. ولكن ما العمل ، بعد أن وقعت الواقعة ، وقبلناها مستسلمين خاضعين خانعين ؟!!

الحقيقة أنى أعتقد بأن الاستعمار يلعب بورقة واحدة فى يده ، هى ورقة التهديد .. ولو أنه أحس بأن هناك من المصريين من ينوون التضحية ، بدمائهم ، ومن سيقابلون القوة بالقوة .. لانسحب كأى إمرأة عاهرة .. وطبعًا هذا حال الاستعمال وتلك عادته .!!

أما نحن .. أما الجيش .. فقد كان لهذا الحادث تأثير جدى على الروح والإحساس فيه .. فبعد أن كنت أرى الضباط لا يتكلمون إلا عن اللهو والملذات ، أصبحوا يتكلمون عن التضحية ، والإستعداد لبذل النفوس فى سبيل الكرامة .. وأصبحت أراهم وكلهم ندم .. لأنهم

لم يتدخلوا – مع ضعفهم الظاهر – ليردوا للبلاد كرامتها .. وليغسلوا عارها بالدماء .. ولكن إن غدًا لناظره قريب .

لقد حاول البعض يا حسن بعد الحادث ، أن يفعلوا شيئًا بهدف الإنتقام .. لكن الوقت كان قد فات .. أما القلوب ، فلا تزال كلها غضب ونار .

عمومًا : هذه الطعنة ردت الروح إلى بعض الأجساد .. وعرفتهم أن هناك شيئًا إسمه كرامة الوطن .. وأن عليهم أن يستعدوا دائمًا للدفاع عنها .

لقد كان هذا درسًا .. ولكنه .. درس قاس » ..

□□

و .. تمر الأيام .

ويخرج الفارس ليلة (٢٣) يوليو سنة ١٩٥٢ .. وهو يحمل روحه على كفه .. قربانًا « لكرامة الوطن » .

يخرج الفارس فى منتصف الليل ، وهو يحمل روحه على كفه .. ليرد طعنة الرابع من فبراير ، إلى صدر بريطانيا العظمى .. فتحمل « عصاها على كاهلها .. وترحل » .

يخرج الفارس ، فى منتصف الليل ، وهو يحمل روحه على كفه .. بينما « بعض » هؤلاء الذين يتطاولون عليه الآن فى مماته ، يشدون الأغطية جيدًا على « أنفسهم » وهم نيام .!!

والبعض الآخر : إما كان « مبتلاً » ليلتها فى « لفائف » الرُضّع .. وإما كان « غارقًا » فيما أسماه السادات « بأوكار الترف .. والتهتك .. وحياة الليل » .!!

وبينما الفارس ماض بنا إلى قرص « الشمس » .

بينما هو ماض بنا إلى مجتمع الحلم .. مجتمع الحرية ، والإشتراكية ، والوحدة .

وبينما تثقل كاهله هموم البناء ..

تطل عليه – فجأة – ذكريات الأمس .. ومن صفحة الوفيات :

« توفيت أمس إلى رحمة الله السيدة سين .. فقيدة عائلة الصدر .. و .. ستشيع الجنازة في الحادية عشرة من صباح اليوم الموافق ١٧ من مايو سنة ١٩٧٠ » .!!

ومن بعيد .. يراه صديقه حسن النشار .. كما قال لى .

يراه – وهو قائد العروبة ! – يضع على عينيه نظارة سوداء .. ويسدل ستائر سيارته الصغيرة .. ويسير بها وحده – بضعة أمتار – خلف الجنازة .. دون حراسة ، ودون أن يشعر به أحد ، فيفسد عليه جلال اللحظة .

لحظة وفائه للأمس .. وإخلاصه للحاضر .. ووداعه الأخير للمرأة التى خفق لها قلبه زمان .. ولم يحدث « نصيب » .!

وبعد رحيلها بأقل من خمسة أشهر .

بعدها بأربعة أشهر ، وأحد عشر يومًا بالضبط : لحق بها فى الآخرة .. لعل وعسى « !! » .

○ ○ ○

شفيق أحمد على

الجيزة – مدينة الصحفيين فى ١٥ يناير ١٩٨٩

□ صـــور. وشـــهادات □

١ - زوجـــة أبيـــه .
٢ - السيدة قرينتـه .
٣ - طبيبـه الخـاص .
٤ - سبتمبر .. وسبتمبر .
٥ - منتهـى الـوفـاء .!!

١ - زوجـــة أبيـــه

هذه صورة عائلية جدا .

صورة لم يرها قبل هذه اللحظة إنسان . لم ترها كاميرا .. ولم ترسمها فرشاة فنان .

هذه بالضبط صورة ترسمها الأسماء ، ترسمها المواقف .. وترسمها الذكريات وأسرار البيوت .

باختصار هذه صورة للرئيس .. ترسمها « كل عائلة الرئيس » .

يرسمها الأب والأم والعم وزوجة الأب .. وكل الأسماء التى يزدحم بها « رأس » الكاسيت وذاكرة الصفحات أسماء « مثل » الطبل ، وأسماء لم تنشر من قبل ... إلا فى شهادة الميلاد ، أو دفتر مأذون ، أو « سركى » المعاشات !

● ملحوظة :

لم يقرأ أحد منا مثلاً . فى أى صفحة .. بيانات « سركى » معاش العم الأكبر « للرئيس » عبد الناصر . « راجع الوثيقة رقم ١٣ بملحق الوثائق » .
لم يقرأ أحد منا من قبل .. تلك البيانات :

الاسم : سلطان حسين
عنوانه : ١١ شارع بولتين .. بالابراهيمية .
رقم الربط : ٢٩١١٠٣
تاريخ وبداية الصرف الدورى : اكتوبر ١٩٧٢ .

أما قيمة وبيان كل معاش العم .. فهو بلا حسد أو نم : ستة عشر جنيها و٦٧٣ مليما مصريا .. بالضبط « !! » .

و .. الصورة ترسمها الأسماء .

« ١ »

اسمى : عنايات مصطفى . « انظر صورتها ، وصوَّر أخرى نادرة ، فى نهاية الكتاب » .
تزوجت « عبد الناصر أفندى » فى مدينة السويس . تزوجته سنة ١٩٢٣ .. بعد أن عاش « أرملاً » فى مدينة « الخطاطبة » سبع سنوات .. وزيادة !

فى البداية كان متزوجا من « الست فهيمه » كريمة تاجر الفحم المعروف وقتها . فى غيط العنب ، الحاج محمد حماد .

تزوجها سنة ١٩١٧ وقت ان كان موظفا بسيطا فى مكتب بريد « باكوس » وأقامت معه فى المنزل رقم « ١٢ » بشارع الدكتور قنواتى الذى وضعت فيه طفلها الأول « جمال » مساء الخامس عشر من يناير ١٩١٨ .

صحيح أن « عبد الناصر أفندى » تعرف على أسرة الست فهيمه وتزوجها فى الاسكندرية .. الا أنها فى الأصل بلدياته ، من « ملوى » محافظة المنيا .

وبعد أن انتقل إلى مكتب بريد الخطاطبة : توفيت الست فهيمه هناك .. وتركت لعبد الناصر أفندى . فى ابريل ١٩٢٦ – أربعة أطفال هم جمال والليثى وعز العرب وشوقى .. فعاش لخدمتهم بلا زواج سبع سنوات كاملة !

وفى السويس حدث النصيب .. وتزوجته .

ووقتها كان ابنه « جمال » طالبا فى السنة الأولى بمدرسة حلوان الثانوية .

● ملحوظة :

المرة الأولى التى رأيت فيها جمال : كانت عندما انتهى العام الدراسى ، وحضر إلينا فى السويس ، ليقضى معنا فترة الاجازة الصيفية . ومع انتهاء الاجازة ، كنا – نحن أيضا – قد انتقلنا من السويس إلى « شبلنجه » مركز بنها . فسافر جمال إلى الاسكندرية ، ليلتحق بمدرسة « رأس التين » ويعيش مع جده لوالدته فى غيط العنب .

وعندما علم جمال بأن والده انتقل مرة أخرى للعمل فى مكتب « الخرنفش » بالقاهرة .. ترك الأسكندرية ، وعاش معنا فى حارة « خميس العدس » .. والتحق بمدرسة النهضة الثانوية بالفجالة .. وظل بها حتى حصل منها على شهادة « التوجيهية » ودخل الكلية الحربية ، بالقصة المعروفة .

« ٢ »

يوم « كشف الهيئة » كان زوجى يجلس فى مكتب بريد الخرنفش قلقا زائغ العينين . كان يتعجل أن يمر عليه جمال ويطمئنه على نتيجة الكشف .

وساعة بعد ساعة ازداد زوجى قلقا وشرودا على ابنه .

كان عبد الناصر أفندى يخشى ألا يكون جمال قد نجح هذه المرة أيضا فى كشف الهيئة .. « وعمل فى نفسه حاجة »

ولما طال شروده .. سخر منه زميله فى المكتب قائلا :

يمكن بسلامته اتأخر علشان يقيس البدلة « الضباطى » بالمرة ..!

وبعد دقائق قليلة .. دخل جمال ، فسأله والده :

اتأخرت كده ليه ..؟!

فرد قائلا : أبد يا بابا .. كنت باقيس البدلة !!

هنا .. قفز « عبد الناصر أفندى » من مقعده صارخا فى زميله :
سامع يا على يا انصارى !!!

وليلتها : لم ينم « عبد الناصر أفندى » .. ولا ابنه جمال .

● ملحوظة :

جمال ماكنش مهرج .. ماكنش معفرت .. وماكنش يخليك تاخد عليه . يعنى يخليك تحبه ، ويبقى معاك كويس ، وشهم وكل حاجة ، لكن بطريقة لطيفة يحط لك حد .. علشان ماتنساش نفسك وتاخد عليه .

كان له هيبة ، ودمه حامى ، وشخصيته قوية .. عارف الإنسان إللى يقولوا عليه زى الهرم .. هو بالضبط !!

كان دايماً صامت وبسيط ومش متأزم .. وعمره مايحسسك بحالته حتى لو ما كنش معاه ولا مليم .

قوى ، منظم ، مهذب ، ودائما يعتمد على نفسه يذاكر من نفسه ينام من نفسه ، ويصحى من نفسه .. زى مايكون حاطط جنبه منبه .

عشت معاه فى بيت واحد من وقت ما كان فى سنة ثانية ثانوى بمدرسة النهضة لغاية ما أخذ التوجيهية ودخل الحربية ، واتخرج ضابط !

« ٣ »

قد تعرفون ان ابنى حسين – المتزوج من كريمة المشير عامر تخرج فى الطيران سنة ١٩٥٨ .. لكنكم قد لاتعرفون بأننى ووالده « عبد الناصر أفندى » ذهبنا قبل تخرجه بثلاثة أيام إلى بيت « الريس » فى منشية البكرى .

وعلى مائدة الافطار .. قالت له السيدة زوجته :

– ياريس .. أبله عنايات نفسها تحضر حفلة تخرج حسين .. وبتستسمحك .

فرفع « الريس » رأسه من طبق « الفول بالليمون » .. ونظر ناحيتى قائلاً :

– ما عنديش مانع .. بس حضرتك تقعدى مع أولياء الأمور عادى جدا .. زيك زيهم .!

وفى يوم التخرج : ذهبنا إلى مكان الاحتفال قبل وصول « الريس » .. وجلست أنا ووالده « عادى جدا » مع بقية الجالسين فى الصف الأول من أولياء الأمور .. ألا أننا فوجئنا بالسيد مدكور أبو العز مدير كلية الطيران . وقتها – يقبل علينا مصافحا وقائلاً :

– حمد الله على السلامة .. شرفتونا .

ثم مال برأسه نحو « الريس » الذى كان لا يزال يقف قريب منا .. قائلا :

– سيادتك يا فندم تحب نأمر لحسين بنيشان أو نجمة زيادة .. بمناسبة تشريف الهانم « !! »

وهنا تحول وجه « الريس » من الأبيض إلى الأحمر إلى الأخضر إلى الأصفر إلى كل الألوان فى وقت واحد .. وقال غاضبا :

– علشان إيه يا سى مدكور .. هو مش زيه زى بقية زملائه ؟!!

وهنا أيض انشقت الأرض .. وابتلعت « سى مدكور » !

● ملحوظة :

ابنى الأكبر مصطفى هو الآخر .. حينما حصل على الثانوية العامة سنة ١٩٥٣ ، وأراد أن يلتحق بالكلية الحربية . تصادف أن عمره يزيد على السن المطلوب « بعشرة أيام » . وتصادف أيضا أن اللواء محمد نجيب كان يريد هو الآخر استثناء عدد من أقاربه ، والحاقهم بالكلية الحربية .. الا أن « الريس » . وهذه واقعة يعلمها كل أعضاء مجلس قيادة الثورة . عارض يومها اللواء نجيب .. ورفض استثناء أى

طالب من اللوائح والشروط ، حتى ولو كان هذا الطالب « قريبا » للواء نجيب ، أو شقيقا لجمال عبدالناصر ..!!

وبالفعل لم تقبل أوراق أخيه مصطفى فى الكلية الحربية ، فاضطر إلى أن يلتحق بكلية الشرطة .

وبعد أن انتظم بها سنة دراسية كاملة ، رسب – أيضا – فى امتحان نهاية العام .. وهو شقيق الريس « !! »

« ٤ »

لا أنسى وقت أن أحيل زوجى إلى المعاش .. لا أنسى ولا ينسى بعضكم – أن المليونير المعروف « أبو رجيلة » عرض عليه وقتها ، أن يعينه بمرتب كبير ، عضو فى مجلس إدارة إحدى شركاته .

وقتها قال الريس .. لوالده :
– حضرتك يا بابا لازم ترفض .. عايزينك عضو مجلس إدارة ازاى وأنت رجل بتاع بوسته وجوابات ؟! دول يا بابا عايزين يشترونى من خلالك .

هذا قد يعرفه بعضكم ..

أما الذى لا يعرفه أحد : هو أن ابنى عادل حينما فاتح شقيقه الأكبر شوقى فى سوء حالتنا المادية ، ونحن أسرة الريس .. أخبره شوقى بأنه سبق أن فاتح الريس فى ذلك ، وأن الريس قال له بالحرف الواحد :

– أنا ما عنديش مانع أن مستواكم المادى ينمو ويتحسن بس مع نمو المستوى الاقتصادى للبلد كلها .. وبشرط تعتمدوا على أنفسكم يعنى الناس كلها مستواها ينمو ، وانتم كمان مستواكم يتحسن ، علشان أنتم مش مميزين عن بقية الناس . وبصراحة شديدة ، لو حد منكم فكر يستغل اسمى أنا مش هارحمه !

ومرة ثانية جمع « الريس » كل أشقائه فى حضورى .. وقال لهم أمام والده :

– والزواج كمان .. أنا ما عنديش مانع تناسبوا أى شخص . بس بشرط ما يكنش اقطاعى ، ولا مفروض عليه الحراسة ولا من اسم من الأسماء الرنانة .. هذه هى المحظورات الثلاثة .

● ملحوظة :

حينما تزوجت ابنتى الوحيدة عام ١٩٦٨ ، لم يحضر « الريس » فرحها .. وقال لى ولأشقائه بشكل حاسم :

– ما اقدرش احضر الفرح .. وكل بيت فيه شهيد !!

قال لنا ذلك بالرغم من أن النكسة ، كانت قد مر عليها عام كامل .. وبالرغم من أنه سبق أن حضر – قبل النكسة – فرح ابنى مصطفى وحسين .

وبالفعل تزوجت ابنتى الوحيدة « وعملنا لها » فرحا محدودا جدا ، لم يحضره الريس .. وحضره من الضيوف خالد محيى الدين .

« ٥ »

زوجى عبد الناصر أفندى حسين خليل سلطان ، ولد فى قرية « بنى مر » بمحافظة أسيوط سنة ١٨٨٨ ميلادية ، قال لى بأنه تعلم القراءاة والكتابة فى حجرة صغيرة بناها الأهالى فوق مسجد القرية ، وكتبوا عليها « كتاب الشيخ أحمد قراعة » .

حصل على شهادته الوحيدة من مدرسة أسيوط الابتدائية . عمل فى نفس المدينة موظفا صغيرا فى مكتب البريد . كان صغيرا لا ظهر له فى الحكومة .. قضى حياته الوظيفية متنقلاً بين مكاتب البريد فى أسيوط ، وباكوس ، والخطاطبة ، والسويس ، وشبلنجة ، والخرنفش .. ومعظم مكاتب بريد القطر المصرى تقريبا ! وحينما أحيل إلى المعاش سنة ١٩٥٤ .. قال لابنه « الريس » :

أنا يا جمال يا بنى تعبت وكبرت فى السن ولسه باركب « الترماى » .. يرضيك كده ؟!

فقال له جمال :

– ده فخر ليا وليك يا بابا .. معلش نصبر كمان شوية ، لما ربنا يفرجها علينا وعلى البلد كلها !

وفى سنة ١٩٥٨ .. أى بعدها بأربع سنوات كاملة .. « لما ربنا بدأ يفرجها على البلد كلها » .. اشترى جمال لوالده عبدالناصر أفندى ، سيارة صغيرة .. بالتقسيط « !! »

وبعد أن بدأت الثورة فى فرض الحراسة على بعض العقارات .. أراد عبد الناصر أفندى أن ينقلنا إلى شقة معقولة تسعنا وتليق بوالد رئيس الجمهورية فقال له ابنه الرئيس :

– من فضلك يا بابا .. ابعدوا عن شقق الحراسة ، وشقق الأوقاف واسكنوا . اوعو تيجوا ناحيتها .

وبالفعل : وجدنا منزلا صاحبته أرملة يونانية مصرية ، وغير خاضعة للحراسة . وهذه الأرملة تعيش فى منزلها وتؤجر إحدى شققه لشخص أجنبى .. الا أن هذا الأجنبى اغلق الشقة وترك ما بها من الأثاث وسافر إلى بلاده اثناء حرب ١٩٥٦ .. ولما ظلت الشقة مغلقة لمدة سنتين دون عودة الأجنبى فقد استأجرناها من صاحبتها ، بعقد ايجار عادى .

● ملحوظة :

حينما دخلت أنا وعبد الناصر أفندى . هذه الشقة وجدنا بها ثلاجة وسريرا وبوتاجازا ودولابا وسخانا وطقم انتريه .. وبعض « اللوازم » الأخرى الصغيرة .

ورغم أننا كنا فى أشد الحاجة إلى هذه الأشياء ، ورغم أن أحد غيرنا ، لو أنه هو الذى وجد هذا الأثاث ربما « كان نام عليه وسكت » .. الا أن عبد الناصر أفندى ذهب إلى ابنه الريس وأخبره بكل شيء .

وفى حضوره .. قال الريس : يا صديق يا عبداللطيف .. روحوا اجردوا الحاجة الموجودة فى شقة والدى .. وسلموها للحراسة !!

وبالفعل : جاء رجال الحراسة . وأخذوا كل « الحاجة » .. حتى البلتكانات ، ودانتيل الستائر « !!! »

* * *

و .. الصورة ترسمها الأسماء :

أسماء « مثل » الطبل .. وأسماء لم تنشر أو تكتب من قبل ، حتى فى ذيل الصفحات .. لم تكتب إلا فى شهادة الميلاد ، أو دفتر مأذون .. أو « سركى » المعاشات !!

○ ○ ○

٢ - السيدة قرينته

هذه صورة أخرى للرئيس عبدالناصر ..
صورة عائلية .. للغاية .
صورة ترسمها الأسماء .. والمواقف .. والأسرار الدقيقة .

و .. فى مقدمة هذه الأسماء .. اسم يحمل صفات ثلاث : أم .. وزوجة .. وصديقة .!

أم : بشهادة الكاتبة الأمريكية « باولينى فريدريك » .
وزوجة : بشهادة وزارة المواصلات .
وصديقة : بشهادة د . حاتم صادق .. على صفحات جريدة الأهرام .

● ملحوظة :

هى أم .. « تسير فى شوارع القاهرة ، بلا خدم أو حشم . تدخل المحلات ، تناقش الباعة ، وتشترى لبناتها وأبنائها لوازم المدارس ، والملابس ، والكراريس .. حتى وهى زوجة الرئيس » !!

وهى زوجة .. « ضمت إلى صدرها سماعة التليفون .. حينما لم ينس عبد الناصر ،

وهو فى موسكو ، أن يقول لها يوم التاسع والعشرين من يونيو عام ١٩٦٨ .. أى صباح الذكرى الرابعة والعشرين ليوم زواجها :

- كل سنة وانتِ طيبة ..

وهى صديقة .. « كثيرا ما كانت ترافقه فى رحلته اليومية القصيرة بين الأشجار .. بعد أن ينهض من سريره ويرتدى ملابسه ، ثم ينزل إلى حديقة منزله ليمشى فيها وقتا محسوبا .. حدده الأطباء » .

الآن : عرفتم اسمها ..

بالضبط : هى السيدة الجليلة « تحية كاظم » . وقبل أن تستغرقنا التفاصيل .. تعالوا نعرف - أولاً - كيف فتحت قلبها وبيتها فى « أزمة » الحاج خليل .!!.

« ١ »

اسمى : خليل حسين خليل سلطان .
أنا واحد لخمسة أشقاء لوالد الرئيس .
بقية أشقائى هم : سلطان وعبد الباسط وطه وعطية .
واضح أننى لست العم « الوحيد » للرئيس عبد الناصر ..

لكننى « الوحيد » الذى أخذته ، ليعيش معى أنا وزوجتى تحت سقف واحد بعد وفاة والدته .. وهو لا يزال طفلا فى السابعة .

وأنا أيضا « الوحيد » الذى غضب منه الرئيس ، وأخذ منه زوجته .. وأمر حرس بيته فى منشية البكرى بألا يسمحوا لى بالدخول .!!

كيف ..؟! هذه هى الحكاية ..

كان أخى الأكبر « عبد الناصر أفندى » قد بادر وأخذنى صبيا من « بنى مر » لاستكمال دراستى الثانوية ، معه فى الاسكندرية .. حينما كان موظفا بمكتب بريد « باكوس » .. وظللت معه حتى تخرجت وعملت - أنا الآخر - موظفا بوزارة

الأوقاف . إلا أننى بعد وفاة زوجته السيدة « فهيمه محمد حماد » وزواجه من السيدة عنايات مصطفى ، أردت أن أرد له ولأبنائه الجميل .. فأخذت منه جمال وأشقائه الثلاثة شوقى والليثى وعز العرب ، ليعيشوا معى ويملأوا علينا البيت ، أنا وزوجتى التى حرمها الله نعمة الانجاب .. فكانوا عندها أعز من أبناء « بطنها » .

أما أنا .. وإن كنت قد حرمت من نعمة الأولاد ، إلا أننى أعرف مدى ما يصل إليه حب الأبناء من أبيهم ، وأحسست أنى تجاوزت معهم هذا المدى ، حتى أصبحت لهم اسما على مسمى .. فأنا اسمى خليل ، وكنت لهم بالفعل ، الأب والخليل .. ذلك لأنهم - أولاً - أولاد أخى ، وثانياً لأنهم ملأوا فى قلبى وفى بيتى مكان الأبناء الشاغر ، وثالثاً لأنهم أيتام الأم .. ومن فرط أدبهم وطاعتهم كانو جديرين بحبى وحب زوجتى ، وهو الشيء الذى لم أكن فى الحقيقة اتوقعه منها .. خصوصًا ذلك الحب الكبير الذى كانت تمنحه للرئيس .. وهو طفل .

وفى اعتقادى أن هذا الحب هو الذى جعل « الريس » يغضب منى كل هذا الغضب ، وهو الهادىء والوقور ، الذى لا يغضب منى أو يثور . والحق أننى وقتها أخطأت ، وفعلت ما يستحق غضبه ، لكن المسئول عن خطأى فى الحقيقة ، هو والده عبد الناصر أفندى .. لأنه هو الذى حرضنى على ارتكاب هذا الخطأ .

فأنا لم أرزق لا ولد ولا بنت . وكنت راضيا بأمر الله ولم أتململ منه ولم أغضب .. إلى أن همس فى أذنى أخى الأكبر « عبد الناصر أفندى » قائلاً :

- لماذا لا تتزوج ؟! هذا حقك ، ونحن صعايدة .. وأهل الصعيد يتمنون الولد الذكر ، وما ستفعله لا يغضب الله ولا الرسول .. فلماذا الخوف أو الحرج ؟!

ولا أكتمكم أن هذا التحريض الواضح من أخى على الزواج ، لقى فى نفسى هوى شديدا .. ولكن زوجتى « الحاجة » مقامها كبير .. كبير عندى وكبير عند الريس ، ولا أحب أن أغضبها من أجل خاطره . لذلك ترددت طويلا . فلما ضاعف أخى عبد الناصر أفندى من ضغطه علىّ وتحريضه لى ، تزوجت .. وأخفيت زواجى عن الجميع بما فيهم زوجتى « الحاجة » ولكن لا شيء يتم اخفاؤه .

وحينما علم « الريس » غضب غضبًا شديدًا ، وله الحق فى ثورته .. فقد كانت زوجتى الحاجة فى مقام والدته .. ولذلك أرسل إليها ، واستضافها فى بيته بمنشية البكرى ، ثم اصدر أمره إلى الحرس بألا يسمحوا لى بالدخول .. وإن كان قد خفف ذلك الأمر وجعله فيما بعد مقصورًا على عدم مقابلته لى .. طوال هذه الأزمة .

● ملحوظة :

حينما وصلت زوجتى إلى بيت « الريس » جمع كل أفراد أسرته ، وقال لها أمام الجميع :

أنت هنا سيدة هذا البيت .. وتحية زوجتى تحت أمرك لن تحرك شيئا من مكانه إلا إذا أذنت لها . وعليك من الآن أن تنسى عمى خليل تماما .. ولا تفكرى فيه . أنا وزوجتى وأولادى زوجك وأولادك وخدمك وحشمك .. فى هذا البيت .

ولما أرسلت إلى « الريس » معتذرا وملتمسا عفوه مؤكدا له أننى فعلت ما فعلته بناء على نصيحة والده الذى هو بمثابة والدى أيضا .. قال الريس ..

يا عمى جحودك ونكرانك لفضل الحاجة . أتاح لى فرصة التعبير عن وفائى لها واعترافى بجميلها .. لأننى لا أنسى أنها حينما أصابنى مرض « التيفود » .. تركت سريرها ، ونامت معى على الأرض ليال عديدة ، وظلت تسهر على راحتى وتمرضنى .. حتى شفيت .

بعدها : عادت لى زوجتى الحاجة ، وزادت محبتى للرئيس ، وزاد اكبارى واعزازى للسيدة قرينته .. التى فتحت قلبها قبل بيتها لى ولزوجتى فى هذه الأزمة اللعينة .

ذلك هو جمال عبد الناصر ..

وتلك هى السيدة الجليلة قرينته : تحية كاظم .

« ٢ »

هى – بالمناسبة – مواليد القاهرة . لها شقيقتان وشقيق واحد اسمه عبد الحميد كاظم . عاشت معه بعد وفاة والديهما وزواج أختها الكبرى . عبد الحميد كان يسكن فى منشية البكرى ، وكان أيضاً يرث عن والده ورشة صغيرة لصناعة السجاجيد والدنيا كم هى ضيقة ، عبد الحميد كما قلنا يسكن فى منشية البكرى وجمال تسلم عمله الجديد كمدرس فى الكلية الحربية . جمال يعرف عبد الحميد منذ أيام اقامته الأولى مع عمه خليل فى القاهرة .. وعبد الحميد كثيرا ما كان يرتاح لجمال حينما يتحدثان فى السياسة .

والدنيا الضيقة : ها هى تجمعهما من جديد فى منزل عبد الحميد .. وها هو جمال يذهب إلى صديقه القديم ، أحيانا بمفرده وأحيانا يصطحب معه عبد الحكيم عامر . وحينما كان يحتدم بينهما النقاش فى السياسة كان عبد الحميد ينادى على شقيقته « تحية » لكى تعد لهم الشاى .. فيهدأون !

وشاى بعد شاى تقدم جمال لخطبة تحية ، وبعد شهرين فقط – أى فى ٢٩ يونيو ١٩٤٤ – ضمهما بيت الزوجية .

● ملحوظة :

فى منتصف الليل .. استيقظت تحية فجأة على صوت طلقات الرصاص فقفز تفكيرها على الفور فى اتجاه زوجها خرجت مسرعة فى اتجاه الصالة لم تخش لحظتها أن يستيقظ أطفالها ، كانت فقط تفكر فى زوجها وجدت فى الصالة أخويه الليثى وشوقى ، وبينهما جهاز الراديو . سألتهما عما إذا كانا يعرفان أين جمال . أخبرها الليثى بأن جمال كان معه خمسون جنيها ، وأنه أخذ منها لنفسه جنيها واحدا ، وترك الباقى معهما قائلاً « إذا حدث لى شىء .. اعطوا الفلوس لتحية ، فقد يساعدها هذه المبلغ هو ودخلها من ميراث والدها على تربية الأولاد » .. ثم وضع مسدسه فى جيبه وخرج بعد أن طلب منا أن نعاهده على رعايتك ورعاية الأولاد .

و .. بينما هى تستمع إلى بيان نجاح الثورة . دق جرس الباب ، فجرت عليه تفتحه ، ووجدت أمامها ثروت عكاشة يقول : جمال أرسلنى لأطمئنك وأخبرك بما حدث حتى لا تنزعجى .. وطلب منى أن أخبرك أيضا بأنه عاهد نفسه ألا يعود إلى المنزل قبل أن يخرج الملك فاروق من مصر ، ولا يعرف بعد متى سيتم ذلك .. فلا تنزعجى !

« ٣ »

هى كثيرا ما كانت تسمع عبد الناصر يشكو من أنه لم ير الأسفلت وكثيرا ما كانت تفهم أن هذه الشكوى تعنى فى عرفه أنه غارق فى العمل ولم يخرج منذ مدة إلى الشارع .

أما عبد الناصر نفسه : فلم يكن يرى « المارة » فى الشارع . كما يراهم غيره . كانت له – حين يراهم – ملاحظات بالغة الدقة .. نابعة من زاويته الخاصة التى كان ينظر منها إلى شعبه .

وفى كل مرة اتيح له أن يخرج فيها إلى الشارع سواء فى موكب رسمى ، أو بغير رسميات .. كانت عيناه تتعلقان دائما بالمارة : هل الناس تضحك ، أم هى على حد تعبيره « مغمومة » ؟ هل يلبس الأطفال فى الشوارع أحذية .. أم يسيرون حفاة ؟!

وحينما كان يرجع فى بعض أيام الصيف من اجتماع انتهى فى ساعة متأخرة من الليل ويرى من زجاج السيارة ، بعض الطلاب فى الميادين العامة يستذكرون دروسهم تحت أعمدة النور ، وقتها لم يكن يجد فيهم منظرا عاديا عابرا . كان يرى فيهم عائلة كبيرة ، تعيش فى حجرة واحدة أو حجرتين ..

وحينما يرغب ابنهم الطالب فى الاستذكار ، يجد فى مشكلات البيت اليومية وضوضائه ، ما يعطله .. فيخرج إلى الميادين العامة ليستذكر دروسه تحت أعمدة النور .

● ملحوظة :

قبل رحيل عبد الناصر بأيام .. وبينما هو عائد من آخر لقاء له مع الرئيس معمر القذافى فى مرسى مطروح . اقترب القطار من منطقة برج العرب .. فسألته السيدة الجليلة قرينته وهى تشير إلى مساحة من الأراضى الخضراء المزروعة وسط الصحراء قائلة :

هل هذه أراضى مشروع تعمير الساحل الشمالى ؟ فأجابها عبد الناصر يومها .. برنة حزن فى صوته :

– كلا .. هذه للأسف أراضى لا تزال تزرع بمياه الآبار .. انظرى إلى هؤلاء الصبية من البدو .. أترين كيف يمشون « حفاة » فوق الرمال الساخنة ؟! نحن لم نصل بعد لما أريد . أن هدفى أن يصبح كل واحد من هؤلاء .. مثل ابنى خالد . وبعد أن أخذته لحظة صمت قصيرة .. قال وكأنه يكلم نفسه : « علشان دول أنا باشتغل .. » .

« ٤ »

هى لم تظهر فى الحياة العامة إلا متأخرا جدا . وحينما ظهرت : لم تتصدر الأنباء ، ولم تأمر الوزراء ، ولم ترأس الندوات ولم تفتتح المكتبات ، ولم تحصل على الأوسمة أو الشهادات .

هى فقط ظهرت حتى سنة ١٩٥٩ فى حفلتين رسميتين للعشاء . وحينما اصطحبها جمال هى والأطفال – فى زيارة رسمية إلى يوغسلافيا فى نفس العام .. كانت هذه هى أول رحلة لها ولأطفالها خارج مصر .

ومع أن صورة الزيارة نشرت فى الصحف الأجنبية .. إلا انها لم تظهر فى الصحف المصرية . وكانت أول صورة لها تظهر فى صحف القاهرة ، هى تلك التى ظهرت فيها عام ١٩٦٠ أثناء زيارة الأمبراطور هيلا سلاسى لمصر هو وزوجته .. وأن كان كلام الصور المنشورة لم يشتمل على تعريف واضح بها .

ومثلما كانت السيدة الجليلة تحية كاظم لا تميل إلى « الظهور » .. كان عبد الناصر – هو الآخر – يفزع من حياة القصور . كان عبد الناصر دائما يقول :

« فى القصر سوف يعيش كل منا فى جناحه الخاص .. وبالتالى سوف نصبح أسرة مفككة . أما هنا فى منزلنا ، فأننا جميعا نعيش معا ، ونأكل معا ، ويطمئن كل منا على الآخر اننى لا أنسى يوم أن انتقلنا مرة إلى قصر الطاهرة بصفة مؤقتة ، حينما كانوا يصلحون ويوسعون منزلنا الصغير فى منشية البكرى . لا أنسى حينما راح أطفالى يكسرون الفازات والتحف الثمينة وهم يلعبون فى بهو وممرات القصر .. فدفعت ثمن كل شيء كسروه ، وتأكدت جيدا بأننى لا أستطيع القيام بأعباء الحياة داخل القصور » !!

● ملحوظة :

فى الزيارة الرسمية التى اصطحب فيها عبدالناصر زوجته إلى اليونان سنة ١٩٦٠ .. كانت قواعد المراسم والبروتوكول الملكى هناك ، تقضى بأن تضع زوجة عبد الناصر يدها فى زراع جلالة ملك اليونان وأن تضع جلالة الملكة يدها فى زراع عبد الناصر أثناء نزولهم إلى قاعة العشاء وأن يمروا معا بين المدعوين والوزراء .. فى طريقهم للمائدة . وحينما علم عبدالناصر بذلك رفض الاذعان لقواعد المراسم والبروتوكول ، وأصر على رفضه اصرارا شديدا ، جعل كبير الأمناء . وقتها – يسرع إلى مدير المراسم الملكية ويخبره بقرار الرئيس .. وفيما يبدو : لم يجد مدير المراسم الملكية فرصة أو متسعا من الوقت ، لابلاغ رغبة عبد الناصر إلى ملك اليونان وزوجته ، فكان الأمر مربكا ومضحكا فى وقت واحد .. إذ كلما أراد الملك أن يجعل حرم عبد الناصر تضع يدها فى زراعه .. تأخرت عنه . وكلما أرادت الملكة أن تضع يدها فى ذراع عبدالناصر أسرع وابتعد عنها .. إلى أن وصلوا جميعا إلى مائدة العشاء ، فقال عبد الناصر لزوجته مداعبا :

– أنا رجل صعيدى .. ولا أطيق أن أرى زوجتى تضع يدها فى زراع شخص غيرى .. حتى ولو كان ملكا .!!

* * *

و .. حينما رأته ممددا فى سريره . تجاوز العمر فى عيونها مداه . تدفق الدم من عيونها مياه .. فقالت وهى تدفن وجهها فى يديه :

– لم يكن لى فى الدنيا غيره .. لم يكن لى فى الدينا غيره .. ولا أريد من الدنيا سواه . « !! »

○ ○ ○

٣ - طبيبـــه الخـــاص

الدكتور منصور فايز « أستاذ » شهير فى .. الأمراض الباطنية وأول صفات الطبيب الأستاذ أو المبتدىء . هى « الكتمان » لكنه : لم يلتزم بهذه الصفة .. ونشر على الملأ مذكراته عن ، أحد « مرضاه » !!

المريض : هو جمال عبدالناصر

والأسباب حاولت أن أبحث عنها فى المذكرات ، أو عند الدكتور فايز نفسه .. فجاءت - بالضبط - كما يلى :

□ أولاً □

● يعرف بعضكم أن الساحة قد ازدحمت الآن بمن يتفننون كل يوم فى رواية وشرح أحداث لم يروها ولم يعيشوها .. بل ويقحمون أنفسهم على وقائع التاريخ دون التيقن من ملابساتها .

● ولا يعرف معظمكم أننى تابعت خلال السنوات الماضية تفسيرات مغرضة لقرارات ومواقف اتخذها عبد الناصر .. ولاحظت أن البعض يحاول أن يرجع

صدور هذه القرارات والمواقف إلى الحالة الصحية للرئيس عبد الناصر بهدف التشكيك فى هذه القرارات والمواقف أو التقليل من أهمية هذه المواقف .

عند هذا الحد : شعرت بأن تسجيل الحقائق المتصلة بصحة جمال عبد الناصر – بوصفى الطبيب الذى كان مسئولاً عن علاجه – أصبحت من حق الناس ، ومن واجبى أن أضعها أمام الشعب .. ليتبين بنفسه حقيقة الأكاذيب والحملات التى لن يمل المغرضون من تكرارها بين وقت وآخر .

ولأننى لست سياسيًا أسعى لمناصرة هذا الفريق أو ذاك .

ولقرب موقعى من عبد الناصر وملازمتى له منذ عام ١٩٦٣ وحتى رحيله ..

فقد قررت أن اكسر القاعدة ، ولا ألتزم بأول صفات الطبيب ، وهى الكتمان .

بشرط أن اقصر حديثى على ما جرى أمامى من أحداث . وعلى ما رواه لى عبد الناصر نفسه .. دون الرجوع إلى مصدر آخر .

ذلك لأننى لست ناقدا أفند الأخطاء .. ولا مؤرخًا أتقصى الحقائق .

□ ثانياً □

● يعرف بعضكم : أن الدكتور أحمد ثروت كان هو الطبيب « المرافق » دائما لعبد الناصر .. والمنفذ لعلاجه .

● ولا يعرف معظمكم : أن الدكتور ثروت كان صديقا شخصيا للرئيس الراحل منذ أيام الدراسة الثانوية .

وقبل أن تنتصف الستينات اتصل بى الدكتور ثروت وأبلغنى أن الرئيس طلب منه أن يعرض على الاشراف على علاجه .

لم يكن عبد الناصر – وقتها – يعرفنى شخصيا ، ولم أكن قد رأيته إلا مرة واحدة فى أوائل أيام الثورة ، وفى عجالة .. عندما ذهب جمال عبد الناصر لزيارة واحد

من رجال السياسة البارزين فى ذلك الوقت ، هو المرحوم حفنى محمود أثناء مرضه وبصحبته عبد الحكيم عامر وتصادف وجودى هناك أثناء هذه الزيارة فسلمت على الزائرين لدى وصولهما وانصرفت وأذكر أن المرحوم حفنى محمود كان ممتنا جدا لسؤال جمال عبد الناصر عنه .. حيث قال لى بعدها : « تصور أن يحضر عبد الناصر لزيارتى حين علم بوعكتى بمجرد رجوعه من برج العرب .. بينما لم يكلف محمد نجيب نفسه عناء الحضور ، وهو الذى كان فى القاهرة ..!!

المهم : أننى لم أقابل الرئيس جمال عبد الناصر بعدها .. ولم أصافحه عن قرب إلا عندما انتقانى الدكتور حسن صبرى رئيس القسم الطبى بالقوات المسلحة مع مجموعة من الأطباء المدنيين والعسكريين فى مختلف التخصصات لإجراء فحص روتينى شامل لصحة الرئيس .

و .. دخلت – يومها – منزل الرئيس جمال عبد الناصر لأول مرة .

كان منزلاً بسيطاً ومتواضعا جدا بالقياس إلى غيره من منازل الرؤساء التى دخلتها . وكان انطباعى عن جمال عبد الناصر قبل أن التقى به .. أنه زعيم ذو شخصية قوية ، وأن السمة الغالبة عليه هى الشدة والجدية طوال الوقت . واعتقد أننى فى هذا الانطباع العام كنت أشارك غيرى من المواطنين الذين كانوا يتابعون الرئيس فى الصحف والإذاعة والتليفزيون فى بدايته .

ومنذ اللحظة الأولى لدخول حجرة عبد الناصر تغير هذا الانطباع حيث وقف الرئيس مرحبا بى فى بساطة شديدة وعلت شفتيه وعينه ابتسامة مرحبة من القلب ازالت منى على الفور توتر اللقاء الأول .

وبعد حوار قصير سأل فيه الرئيس عنى وعن أسرتى دعانى إلى أجراء الكشف عليه وبعد أن انتهيت من مهمتى لم يفته أن يطلب منى بنفسه أن أتولى الاشراف على علاجه برغم أنه سبق لى أن أبلغت الدكتور ثروت بأن ذلك يسعدنى .

ومن أول لقاء شعرت بمدى دماثة الخلق ورقة المشاعر التى تميز بها جمال عبد الناصر .

ولم يكن هذا البعد الإنسانى هو كل ما جد على انطباعى المسبق عن شخصية عبد الناصر فلقد تأكد لى مع مرور الوقت أن جمال عبد الناصر أقوى من كل الانطباعات يتمتع بشخصية جذابة آسرة وعميقة التأثير فيمن تتاح له فرصة مقابلته .

وطوال السنوات التى عرفته فيها عن قرب كان إنسانا متواضعا حلو الاستقبال سريع البديهة قوى الملاحظة مرح الروح مهما كانت التحديات التى تشغل باله !

□ ثالثاً □

● يعرف بعضكم أن الرئيس جمال عبد الناصر كان يتبع نظاما خاصاً فى « الأكل » لعلاج السكر .

● ولا يعرف معظمكم أننى لم أواجه متاعب حقيقية فى الحفاظ على التزامه بهذا النظام حيث كان عبد الناصر بطبيعته غير ميال للأكثار من الأكل فضلاً عن أن أكله وأكل عائلته عموما كان أكلاً مصريا عادياً .. وصحياً .

الفطار كان يتكون عادة من الخبز والفول المدمس والجبن الأبيض !

والعشاء : كانت بعض أنواع الفاكهة الطازجة تحل محل الفول .

أما طعام الغداء فكان يتكون من الخضراوات والسلاطة الخضراء واللحوم والخبز وكانت كمية النشويات فى الوجبات الثلاث محدودة وإن كان الأمر لا يخل من بعض الا ستثناءات أحيانا حيث كان الرئيس كأى زوج محب – يخرج على نظام أكله حين تطهو السيدة الجليلة قرينته أحد أصناف « المحشى » وهى التى عرفت باجادة الطهو وامتيازه !

وعلى وجه العموم كان عبد الناصر مريضا مطيعا يؤمن بأهمية الالتزام بإرشادات الطبيب .

صحيح أنه كان يدخن بكثرة ولكننا حينما طلبنا منه فى عام ١٩٦٨ ضرورة التوقف عن التدخين وشاركنا الأطباء السوفييت فى نفس الطلب .. امتدت يده على

الفور بالسيجارة المشتعلة بين أصابعه إلى إحدى « الطفايات » بجانبه ثم أطفأ فيها سيجارته .. ولم يعد إلى التدخين أبدا بعدها .

وبقدر ما كان يتمتع عبد الناصر بشخصية قوية وإرادة حديدية بقدر ما كان لا يحب أن يرى منظر الدم حيث كان يدير وجهه إلى الناحية الأخرى عندما نشرع فى أخذ عينة دم من إحدى يديه .

كذلك كان يصحو مبكرا وينام متأخرا ويعمل لقرابة ١٨ ساعة يوميا لقد كان العمل من أجل شعبه هو عشقه وحياته ومتعته الشخصية .

وفى أشد لحظات حاجته إلى الراحة كان يعمل بطاقة وحيوية وظل فى كامل لياقته الذهنية حتى لحظاته الأخيرة دون أن يدخل على عكس ما أشاعوا فى أى نوع من أنواع الغيبوبة .

وبعد رحيله انتشرت للأسف شائعات مغرضة ومقصودة حول هذه الوفاة .

وأولى هذه الشائعات : تزعم أن المرحوم الدكتور أنور المفتى قد مات مسموما عقب تناوله كوبا من عصير الجوافة فى منزل عبد الناصر وبتدبير من صلاح نصر مدير المخابرات العامة وقتها .

وأذكر أن أكثر من آلمهم هذا « الافتراء » هو الدكتور على المفتى شقيق الدكتور أنور المفتى وطبيب الأنف والأذن والحنجرة الذى تولى بعد وفاة شقيقه علاج الرئيس عبد الناصر . وكلما سمعت هذه الشائعة تذكرت كم من أكواب العصير وفناجين القهوة والشاى التى شربتها فى بيت عبد الناصر وفى مكتب صلاح نصر نفسه بمبنى المخابرات .

أما ثانى هذه الشائعات فقد أدعت أن اسرائيل نجحت فى اقحام جاسوس لها اسمه على العطفى بين فريق أطباء عبد الناصر وأنه كان طبيب العلاج الطبيعى الذى نجح فى أن يتسبب فى وفاة الرئيس مساء ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ من خلال تدليك ساقه المريضة بمادة سامة بطيئة المفعول !!

والواقع أن هذا الاسم الذى تردد لم يكن أبدا من بين المترددين لأى شأن من الشئون على منزل الرئيس عبد الناصر . فضلا عن أن الرئيس لم يخضع أصلا للعلاج الطبيعى إلا لفترة محدودة بدأت بعد عودته من « تسخالطوبو » فى نهاية ١٩٦٨ وانتهت عند اصابته بالأزمة القلبية الأولى فى ليل العاشر من سبتمبر ١٩٦٩ حيث أوقفت تماما وقتها علاج الساق بالتدليك لتعارضه مع علاج المصاب بالقلب فى حين أن حكم محكمة القيم الخاص بمصادرة أموال على العطفى قطعت بأنه لم يعمل لحساب اسرائيل إلا فى منتصف ١٩٧٢ أى بعد رحيل عبد الناصر بأكثر من عام كامل !!

ناهيك عن أن العلاج الطبيعى الذى تم لساق عبد الناصر كما قلت قد أجرى فقط ما بين عامى ٦٨ ، ٦٩ وأن الطبيب الذى قام به هو الدكتور فودة الضابط بالقوات المسلحة ومسئول العلاج الطبيعى بمعهد التأهيل بالعجوزة .

□ رابعاً □

- يعرف بعضكم ملامح الصورة الشائعة لجمال عبد الناصر « الزعيم »
- ولا يعرف معظمكم أن هذه الصورة « ناقصة » عند مؤيديه وخاطئة عند معارضيه ذلك لأن هذه الصورة فى الحالتين تفتقد إلى نبض عبد الناصر « الإنسان » الذى هو المدخل الصحيح لفهم الكثير من شخصيته .

واستطيع أن اقطع بأننى رأيت عن قرب هذا البعد الأساسى فى شخصية عبد الناصر بحكم مهنتى كطبيب لازمته فترات طويلة .

كان عبد الناصر قويا فى إرادته قاسيا على نفسه ملتزما بمبادئه فى تصرفاته العامة وفى حياته الشخصية كانت حجرة نومه مكدسة « بالدوسيهات » والأوراق فى كل مكان ولكنها كانت دائما منظمة ومنسقة بفعل انضباطه وعسكريته .

وبجوار سريره كان الراديو يذيع طوال النهار وحتى الساعات المتأخرة من الليل نشرات الأخبار التى كان يتابعها باهتمام سواء بالانجليزية أو بالعربية فضلا عن حرصه الدائم على قراءة الصحف ومتابعتها بنفسه .

ومن أبرز ما لمسته فى جمال عبد الناصر إنه كان رب اسرة « مثاليا » برغم مشاغله الجمة التى كانت تستغرق معظم وقته وكثيرا ما كان يصارحنى بأن أسعد أوقاته هى تلك التى يقضيها مع السيدة حرمه وأولاده الذى كان يحرص دائما على أن يجتمعوا معا على الغداء .

وبرغم حبه الشديد لأولاده لم يكن يقبل أى استثناء لهم ومعروف أن ابنته منى اضطرت إلى الالتحاق بالجامعة الأمريكية لأن مجموع درجاتها فى الثانوية العامة وهى بنت رئيس الجمهورية لم يؤهلها لدخول الجامعات المصرية .

وحدث أيضا أن نجله عبد الحميد مرض بالصفراء وكانوا قد أحضروه من الاسكندرية للعلاج ثم اتصلوا بى فى العيادة بمجرد وصوله إلى القاهرة طالبين منى الحضور فورا .

وحين علم عبد الناصر بذلك اتصل بى بنفسه فى العيادة وطلب منى عدم الحضور إلا بعد أن انتهى من الكشف على مرضاى المنتظرين فى عيادتى « !! »

وحدث أيضا أن مرض السادات عام ١٩٦٩ ، وطلب منى أن أزوره للكشف عليه فى السادسة من بعد ظهر أحد الأيام .. وفى صباح هذا اليوم كنت عند جمال عبد الناصر الذى علم منى أننى سأذهب لأنور السادات بعد الظهر فاتصل به الرئيس وطلب منه أن يغير الموعد ، لأننى فى السادسة .. أكون – دائما – فى العيادة !!

وذات مرة أخذنا من الرئيس عبد الناصر عينة دم وأرسلناها إلى ألمانيا مع الدكتور « فيفر » لاجراء تحليل معين لها هناك . ولما علم عبد الناصر بعدم إمكان إجراء هذه التحاليل لمرضى السكر فى مصر – وقتها – أمر ببناء معهد لعلاج المواطنين من مرضى السكر وتجهيزه بالأجهزة والمعدات المتطورة التى تمكن الأطباء من إجراء التحاليل والأبحاث الحديثة الخاصة بهذا المرض داخل مصر .

وفى أعقاب إصابة عبد الناصر بالجلطة الأولى ، جهزنا خلال فترة الراحة الاجبارية التى خضع لها ، غرفة انعاش فى إحدى حجرات الدور العلوى بمنزله

لمواجهة أى طارىء . وحين علم عبد الناصر بذلك طلب منا أن نجهز فورا غرفتى انعاش – على الأقل – للمواطنين . واحدة فى مستشفى قصر العينى ، وواحدة فى الاسكندرية .

وبالفعل : كان لدينا اعتماد يسمح بذلك فى قصر العينى ، أما بالنسبة للأسكندرية ، فقد واجهتهم مشكلة التمويل .. فأرسل عبد الناصر إلى الدكتور محمود صلاح الدين « شيكا » من حساب التبرعات برئاسة الجمهورية بالمبلغ اللازم لعمل غرفة عناية مركزة فى مستشفى الاسكندرية الجامعى .

كان جمال عبد الناصر وسط تحدياته الخارجية ، شديد الاهتمام باحتياجات الشعب ورفاهيته .

وفوق كل ذلك كان بسيطا محبا للقراءة ، يميل إلى المزاح ، حريصا على شعور من يعمل معه .. وبارا بكل أهله ، خصوصا والده الذى كان دائم السؤال عنه ، وعن صحته ، رغم كثرة مشاغله .

أما السيدة الجليلة قرينته ، فقد كان شديد الخوف والحرص عليها ، بل وكان حريصا على ألاَّ يقلقها بكثرة همومه ومتاعبه لدرجة أنه حاول – فى البداية – اخفاء مرضه عنها ، حين أصيب بالأزمة القلبية الأولى عام ١٩٦٩ بسبب ألمه وانفعاله الشديد فى أعقاب إحدى الغارات الاسرائيلية على المدنيين العزل فى منطقة الزعفرانة .

وروت لى السيدة الجليلة حرم الرئيس جمال عبد الناصر ، أنه حين تقدم لخطبتها ، ذهب لزيارة اسرتها بمنزلهم أولاً .. حيث رآها وبعدها تحدد موعد الخطبة كما هو متبع .

وحين قدم لها دبلة الخطبة .. لاحظت أن عبد الناصر لم يكتب على الدبلة تاريخ اليوم الذى تم فيه الاحتفال بالخطبة .. وإنما كتب عليها تاريخ الزيارة الأولى التى رآها فيها لأول مرة ، لأنه التاريخ الذى قرر فيه أن يرتبط بها !!

وكانت – حقا – لفتة – رقيقة منه نحو شريكة حياته .

□ خامساً □

● يعرف بعضكم أن عبدالناصر بدأ الاعداد لمعركة « العبور » فى ١١ يونية ١٩٦٧ .

● ولا يعرف معظمكم : أن الانجاز العسكرى الذى حققه جمال عبدالناصر ، منذ أن بدأ إعادة بناء القوات المسلحة فى ١١ يونية ٦٧ وتجهيز خط الدفاع الأول عن مصر غرب القناة فى نوفمبر ٦٧ يعد « معجزة » من حيث الحجم ، ومن حيث النوع ، ومن حيث الزمن القياسى الذى تم فيه .

وما كانت المعجزة العسكرية ، لتتحقق بهذا الحجم ، إلا بفضل القدرات العالية لجمال عبدالناصر وثقله السياسى ، وإصراره العنيد ، والجهد الخارق الذى بذله – وهو مريض – فى سبيل بناء جيش قوى وحديث .. وقادر على العبور .

وأذكر أننى فى أعقاب غارات الاسرائيليين على أطفال مدرسة بحر البقر ، وعمال مصنع أبو زعبل ، ذهبت لزيارة الرئيس الذى كان مريضا – وقتها – بالتهاب رئوى حاد .

وما أن دخلت عليه ، حتى بادرنى بلهجة حاسمة وقاطعة :

– أنا عاوز أروح روسيا فورا .. ومش عايزك تقول لأ .. أنا مقدرش أقعد أتفرج على البلد وهى بتنضرب .. أروح بيتنا أحسن .

وكانت حرارته يومها أربعين درجة مئوية .

وبعد ثلاثة أيام من العلاج ، تحسنت حالته ، ورافقته فى رحلته السرية إلى موسكو .

وهناك سمعت برجنيف وهو يقول لعبدالناصر : « أرجو أن تقدر يا سيادة الرئيس أن هذه هى أول مرة منذ الحرب العالمية الثانية يخرج فيه جندى أوضابط سوفيتى لحماية سماء دولة صديقة لقد وافقنا على ذلك فقط تقديرا لك ، وتقديرا لشعب مصر الصديق »

وفى خلال أيام كان كل ما طلبه عبد الناصر من أسلحة وصواريخ وأطقم سوفيتية يحرس سماء العمق المصرى الذى لم تجرؤ اسرائيل بعدها من الاقتراب منه بطائرات « الفانتوم » الامريكية .!!

وكم كانت سعادتى حينما قمت – بناء على طلب الرئيس – بزيارة قواعد صواريخ سام « ٣ » لأطمئن بنفسى على صحة جنودنا وضباطنا الذين تدربوا وأصبحوا يقومون بتشغيل هذه الصواريخ فى قواعدها ، التى تم بناؤها فى ملحمة عظيمة ، أشرف عليها الرئيس بنفسه ، وساهمت فيها كل أسلحة الجيش البرية والجوية ، ولعب فيها « جمال مصر » دورا بطوليا .

يومها تذكرت اليوم الذى صمم فيه عبد الناصر على السفر إلى الاتحاد السوفيتى لتزويدنا بهذه الصورايخ – التى كانت إحدى مفاجآت حرب أكتوبر ٧٣ – فى الوقت الذى كان فيه عبد الناصر مريضا وفى أشد الحاجة إلى الراحة .

لقد كان عبد الناصر يتحامل على نفسه فى أداء رسالته ، باذلاً من الجهد ما يفوق طاقة البشر .. رغم علمه بخطورة مرضه .!!

لقد كان دائما يقول : هذا قدرى وتلك إرادة الله .

وشاء قدره أن يتم عبد الناصر البناء لتحقيق أمله الكبير فى إزالة آثار العدوان وتحرير الأرض ثم يرحل قبل أن يرى نتائج غرسه .« !!! »

○ ○ ○

٤ - سبتمبر .. وسبتمبر

قبل « رحيل » عبد الناصر .. سبقته « مذبحة » سبتمبر

وقبل « اغتيال » السادات .. سبقته أيضا « مذبحة » سبتمبر .

وفرق كبير .. بين سبتمبر .. وسبتمبر .

فى سبتمبر ١٩٧٠ : دفع عبد الناصر حياته ثمناً لوقف النهر الغارق « دمًا » بين الأشقاء فى تلال الأردن .

وفى سبتمبر ١٩٨١ : أعتقل السادات كل من رفض أن يضع يده فى أيدى « عزيزه » بيجن .. وكامبه المشبوه .

وحتى لا يغضب منا التاريخ : نحن الآن .. لا نقارن بين الرحيل والاغتيال .. لا نقارن بين رحيل الجسد فى عبد الناصر .. وإطلاق الرصاص على « المعنى » فى جسد السادات .

نحن فقط : من باب التذكرة .. لمن فقدوا الذاكرة ، نرصد سخرية التاريخ .. والتواريخ .. وتغيير الجلود .

□□

« جئت إليكم على طريق عبد الناصر .. جئت واعتبر ترشيحكم لى بتولى رياسة الجمهورية هو توجيه بالسير على طريقه المضىء ، وإذا أبدت جماهير شعبنا رأيها فى الاستفتاء بنعم فسوف أعتبر ذلك ، أمرا منها بالسير على طريق القائد والمعلم الخالد جمال عبد الناصر .. وأقسم أمامكم أن أواصل السير فى طريقه مدى الحياة » .!!!

فى السادس من اكتوبر عام ١٩٧٠ .. أحنى السادات رأسه وظهره ، لتمثال عبد الناصر ، كما رأينا جميعا على شاشة التليفزيون .. ورآه معنا كل نواب مجلس الشعب ، الذى أقسم أمامهم على مواصلة السير « مدى الحياة » فى طريق عبد الناصر .

وفى السادس أيضا من اكتوبر عام ١٩٨١ : سقط السادات ، غارقاً فى دمائه .. ولكن على طريق « صديقه » بيجن .

سقط الرئيس المؤمن ، فى دمائه .. ولم تسقط من ذاكرة التاريخ .. ما قاله سيادته بعد عام كامل من انقلابه الشهير « بثورة » ١٥ مايو ، حينما وقف فى المؤتمر القومى العام ، للاتحاد الاشتراكى ، يوم أن عقد فى الثالث والعشرين من يوليو عام ١٩٧٢ قائلاً : هذا البلد .. لا يعرف إلا ثورة واحدة ، هى ثورة ٢٣ يوليو وكل مخلص متجرد فينا لا يعرف سوى ثورة أساسية واحدة هى ثورة جمال عبد الناصر .. الثورة الأم لكل التغيرات الواسعة والعميقة ، التى تشهدها الأمة العربية كلها .. وإذا كانوا يحاولون التشكيك فى أن الناصرية ، تنحسر فى مصر ، فيجب أن يعلم هؤلاء بأن الناصرية هى المنهاج الواضح لثورة ٢٣ يوليو ، يجب أن يعلم هؤلاء أن الناصرية ، كما عشناها مع القائد المعلم عبد الناصر .. موجودة فى الوثائق الثلاث الأساسية للثورة – وهى فلسفة الثورة ، الميثاق الوطنى ، برنامج ٣٠ مارس . وهذه الوثائق الثلاث هى فكرنا وخطنا السياسى » .

ومن فرط تمسك الرئيس السادات بالخط الفكرى لهذه الوثائق الثلاث .. وضع يده فى أيدى عزيزه بيجن .. وسقط ظهرًا فى دمائه .

□□

نحن الآن فى الحادية عشرة إلا خمس دقائق من ليلة المأساة .

نحن بالتحديد فى مساء الأثنين الموافق ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ .. صوت السادات من خلال الراديو يصدم الجميع بنبأ رحيل .. « البطل الذى ستبقى ذكراه خالدة إلى الأبد فى وجدان الأمة ، والأنسانية كلها .. بعد تعرضه لنوبة قلبية حادة ، بدت أعراضها فى الثالثة والربع ظهرًا . » .

وقبل أن يكمل السادات : راحت البيوت – كما قال أنيس منصور على صفحات الأخبار – تنفجر فى الشوارع ، والشوارع تمضى فى الميادين ، والليل يكدس الناس إلى جوار الجدران حتى الصباح » .!!

●● لماذا ياأستاذ أنيس منصور ؟!!

لأن « المصاب مصابنا .. كلنا أهل الفقيد .. ويوم ندفن جمال عبد الناصر ، سندفن أعز وأغلى سنوات مصر ، والأمة العربية » !!

●● وأنت أيضا يا استاذ موسى صبرى .. ؟!! لماذا تبكى – هكذا – أنت الآخر على صفحات الأخبار ؟!

« كلنا يبكى .. والبكاء يقول فقدناه .. البكاء يتساءل كيف ؟! كيف ؟! البكاء يؤكد .. مستحيل .. مستحيل .. مستحيل » .!!

●● هدىء من روعك .. وقل لنا من فضلك : لماذا أنت – بالضبط – ملتاع ؟!

لأن « أعظم الرجال لا يتكررون .. والأجيال ضنينة بالشوامخ من أمثال عبد الناصر .. سنبكى والدمع لا يجف ، ولن يجف عليه – سنتخبط فى فراغ ، والعقل حائر لا يستقر ، ولن يستقر .. الأمة العربية كلها ارتبطت بقيادة عبد الناصر .. ارتبطت بقيادته لأنها رأت مستقبلها فى تحقيق دعوته ، ومبادئه ، من أجل إنسانية الإنسانية وكرامته .. سيكون معنا عبد الناصر ، وسيضىء الطريق لأبنائنا ، ومسئوليتنا جميعاً ، ومسئولية كل قيادة فى مصر ، وفى أرضنا العربية .. أن تكون معه » !!

●● مع من بالضبط يا أستاذ موسى صبرى ؟!!.. مع عبد الناصر الذى شققت عليه هدومك .. ولطمت خدووك ، وأقسمت أن دمعك « لن يجف عليه » بعد أن ارتبطت الأمة العربية بمبادئه « من أجل إنسانية الإنسان وكرامته » .. أم عبد الناصر الذى تقول الآن بأننا عشنا سنواته .. « فى كهوف المعتقلات ، مغللة أقدامنا بقيود الحديد ، مضروبة عظامنا بالعصى الغليظة ، ممتهنة آدميتنا بأبشع صور التجرد من أدنى حقوق لانسان » ؟!!!

سبحان مغير الجلود .. وشاقى المآق والخدود .!!

□□

« مواكب الألم والدموع فى كل شبر على أرض مصر .. فى كل شبر على الأرض العربية ، الصراخ يختلط بالدموع .. لا أحد يصدق أن جمال عبد الناصر قد رحل .. ملايين البشر تتدفق فى كتل هائلة إلى حيث يرقد جثمانه الطاهرة .. ملايين البشر ، وهتافتهم الباكية ، ترفض التصديق :

« ماتصدقش .. ماتصدقش ..
عبد الناصر لسه ما ماتش
ولا تفرحش يااستعمار
عبد الناصر فات ثوار »

ثوار : ما زالوا يطاردون الصهاينة والأمريكان .. فى شوارع « المعادى » وكورنيش مصر القديمة ، ومعرض القاهرة الصناعى .. وفى كل شبر تدنسه أقدامهم على أرضنا الطاهرة .

و .. ما زلت أتصفح معكم عناوين الصحف الصادرة يومى ٢٩ ، ٣٠ سبتمبر ١٩٧٠ « حالات الإغماء تتوالى أثناء المظاهرات ، آلاف الشباب يتسلقون ظهور القطارات ، والأتوبيسات والمترو ، وأعمدة الإنارة .. الكل فى غمرة الحزن والألم ، لا يعبأ بالخطر . مواطن يسقط صريعاً بالسكتة القلبية ، فور سماع النبأ .. شاب من مهاجرى السويس يطعن صدره بسكين حزناً على عبد الناصر .. شاب آخر يلقى

بنفسه من الدور الثالث بمدينة طنطا ، ٢٣ نقطة اسعاف مؤقتة بشوارع القاهرة ، سيمر بها موكب القائد والزعيم .. كل نقطة مزودة بسيارة إسعاف وطبيب وأربعة مسعفين .. وفاة ٩ أشخاص وإصابة ٤٣٣ شخصاً بالتشنج والإغماء .. سيدة لبنانية تحرق نفسها فى بعلبك حزناً على عبد الناصر ، ٢٥ شخصا آخرون يسقطون بالسكتة القلبية فى بيروت وطرابلس ، مواكب الحزن والصراخ تجتاح القدس والضفة ، ولبنان ، وليبيا ، والعراق ، وسوريا ، والسودان ، والكويت ، وتونس ، والسعودية ، والجزائر ، واليمن .. وكل شبر من المحيط إلى الخليج .. الكل يبكى والكل يصرخ :

إبكى .. إبكى ياعروبة
ع اللى بناكى طوبة .. طوبة
إبكى .. إبكى يا صبية
عبد الناصر راح ضحية » .

و .. نتصفح معاً باقى الصفحات .

« زعماء العالم ، يتوافدون على القاهرة لحضورالجنازة .. اسرائيل تحتج رسمياً لدى وزارة الخارجية الأمريكية ، لأن قنصل أمريكا فى القدس ، أمر بتنكيس العلم الأمريكى ، فور إعلان نبأ وفاة عبد الناصر .. جون كنج المتحدث الرسمى باسم الخارجية الأمريكية فى واشنطن يقول للصحفيين : قنصلنا فى القدس لا يعرف حدود واجباته .. لأن الرئيس الأمريكى وحده – وليس القنصل – هو صاحب الحق فى الأمر بتنكيس أعلام سفارتنا فى الخارج » ملايين البشر ما زالت تتدفق على القاهرة من كل المحافظات . وزارة الداخلية المصرية توجه نداءها الأخير « ياجماهير شعبنا العظيم إزاء هذا البحر الزاخر من البشر المفجوعين المنكوبين الذين يحبون قائدهم ، ويريدون أن يؤدوا له واجب الوفاء والتحية .. فإن قوات المرور ، ورجال الشرطة والنظام لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئا ، وعلى ذلك ، فإنكم بوعيكم وحرصكم على جلال الموكب .. نناشدكم أن تسهلوا الأمر على السلطات ، وأن تتعاونوا معها لكى يمر هذا اليوم الرهيب الكئيب ، بما هو أهل له ، من عظمة وجلال » .

الحشود الهائلة الباكية ، تتحول إلى كيان واحد ، يحيط بعبد الناصر فى جنون . الأطباء يمنعون السادات من مواصلة السير فى موكب الزعيم .. الموكب الرسمى يتحول إلى كتل شعبية ، لا يحدها بصر ، ولا تسيطر عليها أية قوة .. جثمان القائد فى حراسة شعبية .. موكب الوداع الأخير يتحول إلى نهر من الدموع والعويل .. الكل يصرخ والدموع تغنى :

الوداع ياجمال
ياحبيب الملايين
ثورتك ثورة كفاح
عشتها طوال السنين ..
الوداع .. .. »

و .. يرقد الجثمان الطاهر فى مثواه الأخير

□□

ها هو اليوم السابع يمر على وفاة عبد الناصر .

الآن لا يمكن أن تكون دموع « الأفاضل إياهم » خوفاً من الجثمان الراقد فى مثواه الأخير منذ سبعة أيام كاملة .

ورغم ذلك يصرخ ابراهيم الوردانى فى إخوانه قائلا : لنمسح الدموع .. ولنقل لبعضنا البعض ، بأن الفتى الفارس ، الغائب ، الكبير ، مجرد نائم يستريح فى منشية البكرى .. دعوه يستريح » .!!

ودون خوف من الاعتقال أو التشريد ، يرد المرحوم « كامل » الوعى ، توفيق الحكيم ، المبهور باحترام اسرائيل ، لإتفاقيات حقوق طبع مؤلفاته قائلا : اعذرنى يا جمال ، ليس من عادتى الكتابة ، والألم يلجم العقل ، ويذهل الفكر .. لن أستطيع الإطالة . لقد دخل الحزن كل بيت تفجيعاً عليك ، فاسمح لنا وقد فارقتنا أن نقيم لك تمثالاً عالياً فى ميدان التحرير .. ليشرق على الأجيال ، ويكون رمزا الآمال ..

وما ينبغى أن نقيم هذا التمثال سلطة أو دولة ، لكنه الشعب نفسه .. وأنا من بين هذا الشعب ، أتقدم اليوم ، بما استطيع تقديمه .. هذه الخمسون من الجنيهات ، أسهم بها إفتتاحاً لقائمة الإكتتاب » !!

●● يا كرم الله .. خمسون جنيها كاملة ؟!!

وهنا : يأتى على صفحات الأهرام – صوت نجيب محفوظ ، مناجيا عبد الناصر « .. حياك الله يا اكرم ذاهب . عشرات التماثيل ، لن تجعلك فى خلود الذكرى ، أكثر مما أنت .. وستظل فى القلوب والعقول .. إنى أحنى لك رأسى ، حباً وإجلالاً ، فورائك فراغ لن يملأه فرد بعدك » .!!

ويرد « الأنيس » منصور قائلا : « كيف الحياة بعد جمال ، سوف تجف الدموع .. ولكن لن نشعر بخسارة هذا الرجل .". إلا فيما بعد ، عندما تتلبد السحب ، ونبحث عن الشمس ، وتظلم السماء ، ونبحث عن الضياء .. عندما نبحث عن الذى يواجه ويوجه .. الله معنا يعوضنا عن هذا المشعل الذى أضاء كثيرًا وبشدة ..

فانطفأ فجأة .. وبسرعة » .!!

وهنا ينبرى موسى صبرى مرة ثانية مؤكدًا أن « .. العبء تضاعف أثقاله ، لكن الناصرية ، رسخت فى أعماق الشعب .. وأصبحت قانون حياة ، والشعب قال كلمته بالأمس .. الشعب قال لا حياة لنا بعدك ياناصر .. قالها ودمعه دم .. وصوته وجيعة .. وقلبه أشلاء ..

الشعب قالها .. لا حياة بعد ناصر .. إلا بناصر .. هو المستقبل إذا أردنا أن يكون لنا مستقبل .. فليكن الموكب الأخير الذى جمع الملايين حول جثمان عبد الناصر ، هو الموكب الدائم للملايين .. لحماية مبادئه » .!!

و .. لم يكتف السيد موسى صبرى بتحريضنا على « حماية » مبادىء عبد الناصر .. لكنه عاد فى الحادى عشر من اكتوبر ١٩٧٠ وأقسم على صفحات

جريدة الأخبار – بنص كلماته – بأن معركتنا الأولى هى ضد الامبريالية العالمية التى تدعم اسرائيل بمزيد من السلاح » .!!!

ومن فرط وفائه .. وحمايته لمبادىء عبد الناصر بعد رحيله .. إرتمى هو ورئيسه المؤمن أنور السادات فى أحضان « الامبريالية العالمية التى تدعم اسرائيل » .. بل وفى أحضان إسرائيل نفسها ، بعد أن ذكرنا – ونسى – بضرورة التصدى لما وصفه « بمعركة الدس بيننا وبين أصدقائنا الشرفاء .. وفى مقدمتهم الاتحاد السوفيتى » !!

تصوروا : الاتحاد السوفيتى فى رأس موسى صبرى ، فى مقدمة أصدقائنا الشرفاء .!!

تصوروا ، وتذكروا أيضا بأن الدكتور مصطفى محمود – رجل العلم والإيمان !– سبق أن قال هو الآخر فى ١٢ يونيه ١٩٦٧ على صفحات « روزاليوسف » وتحت عنوان « أشرف قضية .. وأعظم قائد ما نصه حرفياً :

« نحن نحارب اليوم لأشرف قضية .. قضية الحياة للوجود العربى كله .. الإستعمار يريد لنا الموت ، ونحن نحارب ليحيا أولادنا .. وقائدنا جمال عبد الناصر الذى وهب نفسه وروحه وراحته وحياته لهذه القضية العظمى ، هو قائدنا دائماً وأبدا . إن عبد الناصر لم يعد مجرد شخص .. إنما هو رمز لإرادة العرب جميعاً فى الحياة .. رمز للصحة فى جسدنا ، والإصرار ، والعنفوان والعزم ، والتصميم فى نفوسنا .. إنه العقل المدبر ، والخطة والنجاة .. وعلاقتنا نحن الجماهير بالقائد ، هى علاقة الجسد بالروح ، لا تصح فيها الإستقالة .. نحن نريدك يا عبد الناصر انت .. ونحن جسد واحد وشخص واحد لا انفصال فيه .!!

إنه الهوان بعينه أن ننتظر الموت فى الفراش .. والمجد أن نهب حياتنا لأشرف قضية ، ونحارب تحت لواء أعظم قائد .. إن الاستعمار يريد أن يمزقنا أشلاء ، ولكننا سوف نثبت له ، أننا نزداد انضماماً ، كلما اشتدت الآلام .. لن نفترق عن جمال عبد الناصر ، ولن يفترق جمال عبد الناصر عنا .. سيزداد اتحاد كل منا بالآخر .

لقد اتضحت المؤامرة ، ولم تعد الحرب ، حرباً مع إسرائيل وحدها ، ولا قضية

الصهيونية وحدها .. إنما هى قضية الاستعمار ببشاعته وقبحه ، يستعير لها أقنعة جديدة .. إنها قرصنة القرن الثامن عشر نفسها .. ومعركتنا الشريفة منتصرة ، مهما طال بها الزمن ، وتحت لوائك يا عبد الناصر سوف نحارب حتى الموت .. بل حتى الحياة .. قمة الحياة .. يا قمة الحياة يا عبد الناصر » .!!!

أى عبد الناصر يقصدون ؟!!!

عبد الناصر .. « الذى وهب روحه وراحته وحياته لنا » .. والذى وصفه موسى صبرى بأنه « هو المستقبل أذا أردنا أن يكون لنا مستقبل » .. أم عبد الناصر الذى يصفونه فى كتاباتهم هذه الأيام بالطاغوت ، والدكتاتور ، والرئيس الراحل ، والنظام السابق .. وأصبحنا لا نقرأ إسمه أو نسمعه على ألسنتهم ، إلا مقروناً بالتهم والأكاذيب .. والطعن حتى فى ذمته المالية « ؟!!! »

□□

و .. تمر الأيام

ويسقط الرئيس المؤمن فى دمائه ظهرا .. يسقط فيهرع صديقه « بيجن » .. ليتقدم المشيعين .

ومرة ثانية : ينبرى موسى صبرى لقيادة الأوركسترا قائلا على صفحات الأخبار : « يا أبى .. يا أخى .. يا شرف مصر .. الله معك يا سادات .. يا أب الجميع .. يا أخ الجميع .. يا مصر كلها .. سنبكيك ونكمل الرسالة » !!!

●● أى رسالة بالضبط يااستاذ موسى ؟!.. رسالة عبد الناصر ، أم رسالة السادات .. أم رسالة التزلف والندب على كل حاكم ؟!

وعلى الفور : تصدر حكومة الحزب الوطنى ، أمرا بغلق كل دور السينما ، وحديقة الحيوان « سبعة أيام كاملة » لتقضى مصر كلها ، أيام « العيد » فى البيوت .. وعلى المقاهى ، وأمام شاشات التليفزيون ، دون أن توجه وزارة

الداخلية ، نداءً مماثلاً للنداء الذى أصدرته لمناشدة « البحر الذاخر من الكتل البشرية التى خرجت تصرخ حزناً فى الشوارع » .. وقت وفاة عبد الناصر .!

وعلى صفحات الصحف الحكومية : تبدو – فى الصور المنشورة – كل المحال والأماكن العامة مغلقة ، والشوارع خالية ، إلا من الأطفال والشباب ، بالملابس المزركشة وهم يركبون المراجيح والمراكب ويحملون البالونات الملونة ، إبتهاجاً بعيد « الاضحى » .. وكأن شيئاً لم يكن .!!!

ومن فرط الدهشة : يقول « والتر كرونكايت » مراسل « سى . بى . إس » الأمريكية للرئيس حسنى مبارك ، بأنه كان فى القاهرة عام ١٩٧٠ وقت وفاة جمال عبد الناصر ، وأن الكثير قد أدلوا بتعليقاتهم وتفسيراتهم لإختلاف ردود فعل الشارع المصرى تجاه وفاة عبد الناصر ، ووفاة السادات .. فما هو السبب – كما يراه سيادتكم – فى هذا الاختلاف الشديد ؟!

وبدلاً من أن تنقل لنا الصحف الحكومية ، إجابة الرئيس مبارك تتطوع هى بالتبرير قائلة « الكل يبكى بلا دموع .. ويتألم بلا صراخ » !!

ومن فرط الموضوعية : يستكثرون على الشعب العربى فى مصر .. أن يرفض السير فى جنازة الشخص الذى وضع يده فى أيدى الصهاينة .. أو فى جنازة يتقدمها رئيس وزراء « العدو » الاسرائيلى .

عاشت « الموضوعية » حركة .. منتهكة بغير حدود .. وسبحان مغير الجلود . « !!! »

○ ○ ○

٥ - منتهى الوفـــاء .. !!

قال لهم شوقى عبد الناصر :

- أنتم وزراء فى « غابة » .. وجريمتنا الحقيقية .. هى أننا « ربينا » أولادنا كويس .. ولو كنا طلعناهم « صايعين » .. كانوا عرفوا يحموا نفسهم من بلطجية زمن الصهاينة .. والأمريكان .. والانفتاح السفيه .

كان هذا هو الموجز ..

وإليكم « المهزلة » بالتفصيل .

□□

مبروكة هى التى غسلت الدم من على السلالم .. مبروكة التى غسلت دم عمرو عز العرب عبد الناصر .. لم تغسله « بالخيشة » التى تغسل بها سلالم العمارة .. خلعت جلبابها المنقوش ، وغمرته فى « حلة » المياه العذبة ، التى تشرب منها هى وزوجها البواب .. خلعت جلبابها المنقوش ، وفردته على الدم ، كما تفرده على جسد طفلها .. لتحميه من برد « البدروم » .

لملمت مبروكة جلبابها المنقوش وعصرته فى « حلة » المياه . اختلطت مياه

شربها بدم الإبن الشاب لشقيق عبدالناصر .. هى تعرف – بنص ما قالته لى – أن عم القتيل « كان دايما قلبه على الفقير اللى زينا » .. تساقطت دموعها على الجلباب المنقوش .. الدموع جعلتها لا ترى بقعة من شريط الدم ما زالت حتى الآن على « درابزين » السلم .!!!

مبروكة : وهى ترتدى جلبابها الأسود .. إنحنت على « حلة » المياه المختلطة بالدم .. حملتها متجهه نحو « بلاعة » العمارة .. سقطت « الحلة » من يدها فجأة .. خبطت على صدرها وهى تصرخ :

يا حزن إسود يا ولاد .. عمل إيه « سى عمرو » علشان دمه يترمى كده .. فى « البلاعة » .!!

□ □

مبروكة اسم يوحى بأن صاحبته امرأة عجوز فوق الستين . ومبروكة التى غسلت الدم – فتاة فلاحة من ايتاى البارود . ملامحها لا توحى بأنها أم لطفلين أكبرهما فى الحضانة .. اسمها فى شهادة الميلاد : مبروكة محمود نوفل . سكان عمارة (القاتل) ينادونها بلوزة ، ولوزة شابة ملامحها جميلة ومريحة ومرعوبة على زوجها بواب العمارة .

●● من إيه .. ؟!

– من صاحب العمارة يا بيه .. صلاح جوزى شهد فى النيابة بالحقيقة اللى شافها . يعنى شهد ضده .. ومش بعيد هو أو حد من رجالته ، يغرز السكينة فى قلب جوزى زى ما غرزها فى قلب سى عمرو أمال يا بيه إذا كان غرزها فى قلب الساكن .. مش ها يغرزها فى قلب البواب .

زوج مبروكة – فى البطاقة العائلية – ليس بوابا . عمله الأصلى (فراش) فى المعهد الدينى بغيط العنب . جاء بمبروكة وطفليها إلى الاسكندرية من ايتاى البارود . بحث لهم عن حجرة من الخشب فوق السطوح . طلبوا منه ربعمائة جنيه خلو رجل .

زوج مبروكة ليس عنده ربعمائة مليم . مرتبه (يدوب) يكفيهم عيش وشاى وبصل وفول . التقطه القاتل منذ عامين . عرض عليه أن يعطيه حجرة فى (بدروم) عمارته . قال له سأتركك تهنأ بالنوم مع زوجتك وأولادك - فى البدروم - دون أن أخذ منك مليم خلو أو ايجار .. ضحك صلاح وهو يزف الخبر لمبروكة ، فظهر من شدقيه ضرس العقل .

- ادينى عقلك يا مبروكة فيه انسانية أكثر من كده ؟!

●● نظير إيه يا صلاح ؟!

- أبدا يا بت .. احنا عبدالمأمور .

مبروكة صارحت صلاح بأن الفأر يلعب فى عبها .

□□

مبروكة - والفأر يلعب فى عبها - حملت طفليها مع زوجها صلاح واتجهت إلى عمارة القاتل .. العمارة تحمل رقم (٢٤٥) وتقع فى أطول وأعرض وأنظف شوارع الاسكندرية . الشارع اسمه (طريق الحرية) اسمه أيضا (طريق عبد الناصر) سابقا أمام العمارة نخلتان ممشوقتان لا يصلّ طولهما إلى طول العمارة . من سبعة طوابق . بين النخلتين وبخط رقعة عريض طمسته الأيام ، مكتوب على واجهة العمارة (يا رب احفظ جمال)

اسرة المرحوم عز العرب عبد الناصر - الشقيق الأصغر لجمال - تسكن منذ عام ١٩٤٧ فى الطابق الثالث من العمارة . كل طابق من العمارة به شقة واحدة .. وكبيرة .

فى الطابق الأول - بعد الأرضى - يسكن القاتل (سعيد الخشاب) .. وفى الدور الأرضى ، حجرة البواب . الحجرة بدروم مظلم ورطب تنام فيه مبروكة مع زوجها وطفليها أحمد والسيد . ينام أيضا مع مبروكة وطفليها - فى نفس الحجرة - موتور رفع المياه إلى خزان العمارة . وسكينة نور السلم وسكينة تصعيد المصعد و (تابلوه) كل التوصيلات الكهربائية فى العمارة .

فى الدور الأرضى أيضا : يوجد الجراج وسبعة حجرات للتخزين ومبيت الشغالات بواقع حجرة لكل شقة . يوجد أيضا ثلاثة (مناشير) غسيل غير مسقوفة بواقع منشر لكل شقتين فى العمارة .

العمارة : وقت أن سكنها شقيق عبد الناصر – وفقا للعقد الذى تحت يدنا صورته والمحرر فى ٦ فبراير ٤٧ – كانت مملوكة لشخص اسمه (جورج لطفى عمار) .

ووقت ان سكنها – فى عام ٦٥ – قاتل ابن شقيق عبد الناصر كانت ملكية العمارة قد انتقلت إلى شركة التأمين الأهلية . وشركة التأمين كما نعلم (ملك) الحكومة !

فى السادس من يناير (٧٢) : نجح القاتل – لسبب يستطيع كل منا أن يستنتجه – فى شراء العمارة من الحكومة .

●● وبكم .. ؟!

– ليس بمليون جنيه كما قدرها البعض وليس بمائة ألف جنيه كما قالت أيضا صحف الحكومة . ولكن بالضبط ، بخمسة وعشرين ألف جنيه و ٢٥٢ جنيها و ٥٢٥ مليما (!!) .

و .. لأن القاتل تفضل على الحكومة فيما يبدو ووافق على شراء العمارة بهذا المبلغ (الضخم) سارعت شعبة (الاستثمار) فى شركة التأمين – فرع الاسكندرية وأرسلت إليه الخطاب رقم ٩٨٢ فى ١٥ يناير ٧٢ ، أى بعد موافقته على الشراء بتسعة أيام ، ترجوه أن يسدد للشركة خلال اسبوعين ٤٠٪ من ثمن الشراء .. أى فقط عشرة آلاف جنيه و (مبروك عليك العمارة .. بسكانها) !!

قالت لى زوجة القاتل : حينما شعر السكان بأننا نسعى لشراء العمارة ، ذهبوا جميعا فيما عدا المرحوم عز العرب – شقيق عبد الناصر – وعرضوا على الشركة أن يشترى كل واحد منهم شقته .. إلا أن الشركة خيبت أملهم ونجحنا نحن فى شراء العمارة بالكامل .

●● ولماذا رفض شقيق عبدالناصر – ياسيدتى – أن يذهب مع بقية السكان لشراء الشقة التى تسكن فيها اسرته حاليا بالايجار ؟!

– قال لهم وقتها : ومنين بس يا جماعة أجيب ثمنها !!

□□

مبروكة – فى ايتاى البارود – لم تأكل الكعك بالمكسرات ، ولم تكن تعرف النطق الصحيح لكلمة (جاتوه) .

وزوجة القاتل – سميرة عبد السلام جودة – تحمل بطاقة شخصية رقم ١٣٧٦٧ سيدى جابر مسجل فيها انها صاحبة « مصنع لصناعة الكعك بالملبن والفستق والبندق وعين الجمل .

المصنع : واحد من (مناشير) الغسيل الثلاثة فى حجم الحجرة صنع له القاتل سقفا خرسانيا وحوله إلى فرن ضخم بعرض وارتفاع الجدران . وفى نفس المنشر والمنشر المجاور – وضع القاتل عددا من أنابيب البوتاجاز الكبيرة تكفى لنسف عشر عمارات .. الحجرات السبع الأخرى والتى هى مخصصة – فى عقود الايجار – لتخزين السكان ومبيت شغالاتهم ، استولى عليها سعيد الخشاب وحولها إلى مخازن ، رأيتها بعينى لأجولة الدقيق وعلب الكرتون ، وصفائح السمن والعسل والحلل والطشوت ، وصاجات تسوية الكعك و (الجاتون) كما تنطقها مبروكة .

القاتل اشترى العمارة فى السادس من يناير ٧٢ ، وفى الرابع من مارس ٧٣ – أى بعدها بعام واحد وثلاثة شهور – استخرجت زوجته لنفسها بطاقة شخصية من سجل مدنى سيدى جابر وكتبت فيها أنها صاحبة مصنع لصناعة الكعك والحلويات .

المصنع – كما نرى – قنبلة موقوتة وضعها القاتل وزوجته فى الدور الأرضى لعمارته . لا ندرى من الذى رخص للقاتل بوضعه هكذا .. بعض السكان قطعوا لى بأنه لا يحمل ترخيصا بالمصنع هو أو زوجته . نحن – على عكس السكان – لا نستبعد حصوله على مائة ترخيص إن أراد . لا نستبعد حصوله على الترخيص بنفس الطريقة التى حصل بها على العمارة ذاتها .

طلبت من زوجة القاتل - مدام خشاب - أن تطلعنى على ترخيص المصنع ، تعللت بأنها لا تذكر أين وضعته ، حاصرتها بشكوكى .. وضعت عينها فى عينى وقالت : غريبة مصنعى يورد كعك وحلويات لرياسة الجمهورية وللرئيس نميرى شخصيا ، يبقى معقول أكون باتعامل مع هذه الجهات وما أقدرش اطلع ترخيص (!)

مدام خشاب : شهرتها فى صناعة الكعك - بالملبن والمكسرات - بعد أن عمت النوادى والفنادق وبيوت الأثرياء والجهات الرسمية .. وصلت الأن إلى السعودية والسودان .. مصنعها على حالته لا يلبى حاليا كل الطلبات . حالة الطوارىء بالمصنع تعلن طوال الشهور الأربعة التى تسبق عيد الفطر من كل عام .. ليس أمامها لتوسيع المصنع سوى (جراج) العمارة . الجراج يلاصق المصنع تماما ويسع فقط سبع سيارات . هى وحدها عندها ست سيارات . جميعهم ملاكى .. واحدة شيفورليه لزوجها ، ووحداة مازدا حديثة تركبها هى والسيارات الباقية لبناتها الخمس .

البنات الخمس لسن شقيقات . واحدة أنجبها زوجها من زوجته الأولى . وبنتان انجبتهما هى من زوجها الأول . والبنتان الباقياتان من زوجها الحالى سعيد خشاب هى قالت لى : البنات بيتعلموا وبيروحوا النادى ، وكل واحدة لازم يكون معاها عربية) .

العربية أو السيارة التى كان يغسلها عمرو فى الجراج ، هى بالمناسبة - سيارة شقيقه د . صلاح عز العرب الذى يعمل استاذا مساعدا بجامعة الاسكندرية السيارة (سيات) اشتراها د . صلاح منذ ثلاثة شهور فقط .. ليستعملها كل أفراد اسرته !!

□□

مبروكة لا تسكن فى البدروم بعقد ايجار .

عقد ايجار شقة شقيق عبد الناصر يقول فى بنده (ج) عن الحجرات السبع التى حولتها زوجة الخشاب إلى مصنعها أن كل شقة مؤجرة للعمارة مخصص لها حجرة للخدم ، ومخصص لها مغسل ومنشر واحد لكل شقتين .

نفس العقد يقول أيضا فى بنده (ب) عن الجراج أنه يدخل فى الحال حق استعمال الجراج المشترك الكائن بالناحية القبلية من العين المخصص فقط لمنفعة المستأجر بواقع سيارة واحدة لكل مستأجر الجراج إذن - لا يقتصر حق استعماله على اسرة صاحب العمارة ، صاحب العمارة يحتاج الجراج لتوسيع مصنع الكعك والكعك جعلهم يجمعون المليون الأول .. جعل كل بنت من بناته تركب سيارة فلماذا - إذن - يتوقفون هو لا يحتاج إلى الجراج فقط .. يحتاج أيضا إلى تحويل شقته بالدور الأول إلى معرض فخم لبيع الكعك والحلويات . أين يسكن إذن - لو حول شقته إلى معرض حلويات الدور السابع من عمارته مبنى على طراز (فيلا) مستقلة تسكنها (خواجاية) اسمها مدام (تومبى) وتعيش بمفردها بعد أن توفى زوجها . هو - إذن - يحتاج إلى التخلص من هذه (الخواجاية) والاستيلاء على شقتها يحتاج أيضا إلى تأجير كل شقق عمارته من جديد لشركات الانفتاح التى تدفع كثيرا .

بسيطة : صلاح (البواب) وزوجته سيقومان بالمهمة .

- يا صلاح .. أبلغ كل السكان بأن أحدا منهم لن يستعمل الجراج بعد اليوم . عطل موتور المياه حتى يموتوا من العطش . أفصل سكين المصعد حتى يتوقف قلب هذه الخواجاية العجوز وهى تصعد إلى الدور السابع فى الظلام من يريد أن يصعد فى النور يشترى لنفسه (بطارية)

الخوجاية تقول : (هو احنا فى حرب علشان شيل بطارية) ؟؟

ومنذ ثلاثة أشهر فقط : سقطت العجوز بالفعل فى الظلام على السلم .. سافرت إلى جنيف للعلاج .. كتبت فور أن تحسنت قليلا - من هناك - إلى مدام عمرواى جارتها فى الدور السادس لتطمئن على المصعد ونور السلم أخبرتها بأن كل شىء ما زال عطلانا .. ساءت حالتها ثانيا .

و .. ماتت : مثلما أراد !!

الآن : تحقق لسعيد الخشاب أكثر مما أراد . حصل على شقة الخواجاية التى ماتت

فى جنيف ، وحصل أيضا على أثاثها . شعر بأنه يقترب أكثر من أحلامه ويقترب أكثر من المليون الثانى والثالث والعاشر . بعد شهر واحد سينتهى من عمل الديكور لشقة الخواجاية ويصعد إلى الدور السابع . يصعد إلى المليون السابع . يحول شقته فى الدور الأول الى معرض (فخم) للحلويات . يفتح مكتبا جديدا للمقاولات . يملك عددا أكثر من العمارات . يركب كل يوم سيارة .

ولكن : ليس قبل أن يحول الجراج أولاً إلى مصنع أوسع للكعك . شعر بأن كل احلامه ترقد فى الجراج . رأى عمرو يغسل فيه سيارته . لا عمرو ولا مائة عمرو يمكن أن يشاركه فى جراج احلامه .. وفى ظهر ٢٩ يوليو ١٩٨٣ :

– يا بواب : قال (للولد ده) يقفل باب سيارته . حتى لو رد (الواد)بأدب سأجعله عبرة لكل من يقترب من أحلامى .

تذكر سعيد الخشاب أن يده اليمنى مشلولة . قبض على اليسرى بالسكين التى قالت لى زوجته أنه يحتفظ بها دائما فى سيارته لتقشير التفاح ، قبض على السكين جيدا ، وغرسها فى قلب عمرو .. بالضبط : فى قلب عمرو !!

□□

مبروكة دموعها جعلتها ترى بقعة من دم عمرو ما زالت حتى الأن على (درابزين) السلم . بقعة الدم على الدرابزين بقعة من الحزن الداكن فى كل دور .

فى الدور الأرضى يجلس على (دكة) البواب منذ وقوع الحادث مخبر من قسم شرطة سيدى جابر اسمه عبد المقصود صبحى عبد المقصود ومعه زميله خليل نعيم .. ساعى البريد أعطى أحد المخبرين كمية كبيرة من تلغرافات العزاء .. البرقيات من أشخاص لا أحد يتوقعها .. أشخاص فى الحكومة وأشخاص فى غير الحكومة . أشخاص فى داخل مصر وأشخاص فى خارجها .. ابراهيم سعدة – مثلا – وصف الحادث فى تلغرافه بالجريمة (البشعة) . موسى صبرى وصفها بالطعنة (الجبانة) .. وحسنين هيكل وصف عمرو (بالشهيد) .

رؤساء وحكام العراق وليبيا وسوريا والكويت والشارقة حدثوا بأنفسهم أسرة عمرو تليفونيا لتقديم العزاء . شقة عمرو يأتى منها صوت القرآن . دخلت ضمن الداخلين للعزاء جلست لأكثر من ساعة بين شوقى عبد الناصر - عم عمرو - وبين شقيقه د . صلاح عز العرب . ملت على عم عمرو ليحدثنى عما حدث .. وضع يده على فمه .. حاولت - ثانيا - أن أخرجه من صمته قال لى : اعذرنى ..لا أنا ولا صلاح ولا والده المرحوم ولا أى شخص من الأسرة تحدث إلى الصحفيين . سيقولون إن الصحافة تكتب لأن القتيل ابن شقيق عبد الناصر ، وكأن اسرة عبد الناصر حكم عليها أن تكتم جراحها إلى الأبد .

أنا لاأنكر بأننى فزعت لأن المصاب من أسرة عبد الناصر سأفزع لو أن المصاب من أسرة عادية - ما أفزعنى بالتحديد - يا أستاذ شوقى - وجئت من أجله هو أن يصل سلوك أصحاب العمارات مع سكانهم إلى هذا الحد !!

قال لى شوقى عبد الناصر . اكتب ما تريده واعفنا نحن من أى تعليق .. ويكفى أننى قلت لمن يعنيهم الأمر : أنتم وزراء فى غابة وجريمتنا أننا (ربينا) أولادنا كويس .. لو كانوا طلعوا صايعين كانوا عرفوا يحموا أنفسهم » .

شعرت بالمرارة فى حلقى . حدقت فى صورة كبيرة لعبد الناصر كانت فى مواجهتى . طلبت أن ألتقط بعض الصور للشقة ولوالدة عمرو وحجرته الخاصة . اعتذر شقيق عبد الناصر .. وقال لى : ما استطيع أن أخصك به هو أن أخذك إلى حجرة عمرو دون أن تصورها . الحجرة لم يدخلها صحفى واحد حتى الآن . ستدخلها - واكتب ذلك على لسانى - تقديرا منا لاتجاه فكرى تركه فيكم عبد الناصر . ستدخلها « علشان تشوف فرشها اللى جايبينه من قصر عابدين ولا من قصر القبة .. مش فاكر بالضبط » .

الآن عرفت ما يقصده شوقى عبد الناصر . الحجرة صغيرة للغاية . بها سرير سفرى صغير مغطى بملاءة فى لون السماء فوق السرير برقيات العزاء . البرقيات

صفت بانتظام على امتداد السرير . يجاور السرير مكتب صغير عليه كتب عمرو وأوراقه على المكتب أيضا صورة (أشعة) تشير إلى أنه كان يعانى من وجود (حصوة) فى الكلى وشفى منها فى الشهر الماضى . شنطة سفر متوسطة الحجم إلى جوار المكتب . ماكينة خياطة تستند أيضا إلى الحائط بجوار السرير . كل حوائط الحجرة ليس عليها صورا لسعاد حسنى أو ترافولتا . عليها فقط برواز زجاجى كتب بداخله كلمة (الله) .!

طلبت صورة حديثة لعمرو . أمسكت والدته بالصورة سمرتها أمام عينيها . قربتها من فمها تقبلها . فا ابتلت الصورة من دموعها ..!!

□□

مبروكة تقسم لكل من يدخل العمارة بأن المرحوم (سى عمرو كان أخر أدب) .

(مدام سوزى) التى تسكن فى الدور الرابع و مدام العمرواى لا يختلفان مع مبروكة . د . أحمد العمرواى – الذى يسكن مع والده فى الدور السادس – قال لى ، وقال فى النيابة ، إن صاحب العمارة سبق أن رفع عليه السكينة أيضا مرتين .

مدام العمرواى قالت : وبيننا شريط الكاسيت – بأن قسم شرطة سيدى جابر يعرف جيدا سعيد الخشاب وزوجته . يعرف جيداً الخلافات التى دائما تنشب بنيهم وتنتهى كل مرة بقسم الشرطة . نحن نسكن فى العمارة منذ عام (٥٧) ونعرفهم تماما .

المرحوم عز العرب توفى عام ٧٧ وزوجى توفى بعده بأقل من شهر وزوجى كان نائبا لرئيس محكمة الاستئناف . وقبل وفاته أو وفاة المرحوم عز العرب كانت مضايقات صاحب العمارة لنا قليلة جدا . بعد أن توفى أزواجنا تصاعدت مضايقاته لنا حتى أصبحت لا تطاق زوجته دائما تهددنا بأنها تستطيع أن تشترى الجميع بالفلوس .

مدام سوزى تقول : إن صاحب العمارة من فرط قوة أعصابه رأته جارتها (هبة) بعد الحادث واقف عادى جداً (بيزرر) قميصة فى البلكونة . قالت أيضا أنه فى مثل هذه الظروف الصعبة يتصرف بهدوء شديد . دللت على ذلك بأنه نزل بعد الحادث من شقته وهو يحمل (شنطة) كأى رجل أعمال ذاهب لقضاء مصالحه قالت : أيضا بأن رجال الشرطة حينما قبضوا عليه وجدوا فى الشنطة ٤٠ ألف جنيه .

العميد عبد القادر عبد الله - مفتش مباحث شرق الاسكندرية - قال أمامى لزوجة صاحب العمارة (بصراحة يا مدام جوزك بالرغم أنه رجل مهندس ومتعلم إلا أنه إنسان شرس معقول توصل المسألة به إلى حد أنه يمد ايده عليكى .. مش ده اللى كان بيحصل برضه قبل الحادث معاكى أنت كمان .

قالت زوجة القاتل : أعمل ايه مقدرش أقول ده دلوقتى مقدرش القاتل كان قد ذكر فى أقواله للنيابة بأن عمرو هدده بقطعة من الحديد . والمقدم أحمد عبدالوهاب رئيس مباحث سيدى جابر قال لى بأنه عاين مسرح الجريمة فور وقوعها ولم يجد شيئا مما أدعاه الخشاب .

المستشار سامى البربرى المحامى العام بنيابات الاسكندرية والذى يشرف على التحقيق قال لى هو الأخر بأن تقرير الطبيب الشرعى استبعد امكان حدوث الجريمة بالطريقة التى صورها الخشاب فى أقواله .

وزوجة الخشاب - هى الأخرى قالت لى : عمرو كان حقيقى إنسان مؤدب وحتى لو كان رد على جوزى بكلمة كده ولا كده . عمرو زى ابنه وكان لازم يستحمله ، علشان كده أنا بأقول إن اللى حصل أكيد وراه سر ولا يعلمه أحد للآن ..!!

□ □

مبروكة لا تعرف القراءة أو الكتابة .

تعرف – بنص ما قالته لى – أن عبد الناصر «كان دايما قلبه على الفقير اللى زينا» .

مبروكة لم تقرأ ما كتبه الأستاذ أحمد بهاء الدين عن الفقر وعن الحادث وعن السعى وراء الفلوس بالسكين .

زوجة صاحب العمارة هى فقط التى قالت لى : بأن الأستاذ أحمد بهاء لم يتحر عن الحقيقة فيما كتب .

سألتها عما جعلها تصف الأستاذ بهاء بما وصفته قالت لى : هو قال فيما كتب أن زوجى كان يحمل فى سيارته سكينا كبيرا ، والحقيقة .. أنها سكنية صغيرة لا تساوى عشرين قرشا ..!!

وفى السابع من أغسطس ١٩٨٣ نشر لها الأستاذ بهاء ردا قالت فيه : أن زوجها مريض بالقلب وأنهم يسكنون فى الدور السابع فكيف إذن يعطل الأسانسير .

وقالت أيضا : أنها تعيش الآن فى الطريق ولا تستطيع أن تدخل منزلها لتأخذ ملابسها ..

والحقيقة : أنها تسكن فى الدور الأول وأن شقتهم فى الدور السابع لم يدخلوها حتى الآن لأن ديكورها الجديد بعد موت الخواجاية لم ينته بعد . والحقيقة أنها لا تعيش الآن فى الطريق .. وانما تعيش – هى وبناتها – فى العجمى منذ بداية الصيف ، ولم تكن بالعمارة وقت وقوع الحادث .. واسألوا قسم شرطة سيدى جابر عن محل اقامتها الحالى !

المهم : نشر لها الأستاذ بهاء رسالتها كاملة .

وعلى الفور تحرك قلب الأستاذ (مصطفى أمين) وكتب يدعونا إلى أن نشفق على أهل (المتهم) ونرحمهم فى نكبتهم .. أما أهل (المقتول) فلم يتذكرهم فيما كتب بكلمة واحدة ..

وعلى الفور : تحرك قلب الأستاذ (جلال الحمامصى) وكتب يتهم كل من كتبوا عن الحادث بالاثارة والمبالغة لأنهم وصفوا صاحب العمارة (الغلبان) بأنه يعامل سكان عمارته بقسوة لا رحمة فيها .. ثم اتضح أن الحقيقة لم تكن كذلك) .

●● اتضح من محضر التحريات الذى قدم للنيابة وبه كل ما فعله المالك بالسكان ؟!

- لا .. من رسالة من مدام خشاب (الغلبانة) التى قالت لى : أنها مش محتاجة مصانع كعك ولا عمارات . ان كانوا عايزين يقفلوا المصنع يتفضلوا يقفلوه . أنا خلاص هاأسافر هاروح امشى فى امريكا .

رق قلب الأستاذ مصطفى أمين والأستاذ الحمامصى - والثالث نتجاهله - لحال (الجانى)فسارعوا بأقلامهم يغسلون (متاعبه) .

ورق قلب مبروكة (لحال المجنى عليه) .. فسارعت - بمياه شربها - تغسل دمه من على السلالم . !!

و .. من فرط الوفاء : حكمت المحكمة على « القاتل » بالسجن لمدة سبع سنوات فقط ، بعد إدانته بقتل عمرو .. الإبن الشاب « لشقيق » عبد الناصر .

أما خالد بن جمال عبد الناصر نفسه .. فما زالت النيابة - حتى كتابة هذه السطور فى ١٥ يناير ١٩٨٩ - تطالب « باعدامه » .. لاتهامه بقتل « جواسيس » المخابرات الإسرائيلية فى القاهرة .!!!

□□

منتهى الوفاء .. لجمال عبد الناصر . !!!

○ ○ ○

ملحـــق الـوثـائق



في امتحان التطهير

□ الوثيقة الأولى : قصة غرام عبد الناصر لبنت الباشا « المزعوم » كما رواها الأستاذ صلاح منتصر على الصفحة السابعة من جريدة الأهرام فى ٣١ يوليو ١٩٨٣ .!!!

غزة
٢٨ / ٥ / ١٩٤٩

عزيزتى [illegible]

أشكرك [illegible] وأرجو أن تكونى بخير وماشى فى الامتحان تمام [illegible]
[illegible] من مدة طويلة ولكن أعذرى [illegible] هل هذا ذنبى أم
ذنبك أم ذنبنا نحن الاثنين (زى ما تشوفى)
وقد سمعت من عبد الرؤوف جبريل [illegible] ونعلنه [illegible]
الميلاد ولكنى أحب أن أقول لك "إنى كل ما [illegible]"
من هذا اليوم كان تأخيرى [illegible]
[illegible] إذا قلت لك [illegible]
[illegible] الشمس [illegible] واحدة [illegible]
لك يا أستاذ [illegible]
أنك قلت لك بأنى [illegible] زغلول [illegible]
بالقاهرة بينما كنت أتجول أحد الأيام [illegible]
[illegible] ولربما أنك تقصد [illegible]
[illegible] وأنا أمشى عند منزلى بالقاهرة
[illegible]
[illegible] أمام [illegible] فيكونوا [illegible]
يوم السبت والثلاثاء فإنى "أستخدمها باقى الأيام [illegible]"
[illegible] الله إنى لم أحاول [illegible]
[illegible]
القتل والقتال وأظن أن هذا يا أستاذ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وتقبل [illegible] جمال عبد الناصر

□ الوثيقة الثانية : واحد من خطابات عبد الناصر التى تنشر لأول مرة وتكشف السبب الحقيقى لعدم زواجه من الفتاة التى زعموا أنها بنت باشا وأن والدها هو الذى رفض أن يزوجها له بسبب فقره وسمار بشرته .!!!

استاذ الجيل العلامة الكبير الدكتور

عبد اللطيف حمزة

انتقل الى رحاب الله الدكتور عبد اللطيف حمزه استاذ ورئيس قسم الصحافة بجامعة القاهره زوج كريمة المرحوم شاكر شكرى وشقيق عبد العزيز حمزه الاستاذ بكلية المعلمين والمرحومين مصطفى وعبد الحليم حمزة بالمريوطية والمعاش ووالد حرم المرحوم اللواء رؤوف شكرى ومحمود رياض تاجر قطع الغيار والانسة وجدان الطالبة بالماجستير وعم وخال صلاح حمزة باستصلاح الاراضى ومحمود حمزة بالكلية الحربية ومحمد وعبد الله بالثانوى وحرم محمد على بشركة مصر الجديدة وصبار مصطفى مأمور الضرائب ونبيل عبد المجيد بالمقاولين العرب والمرحوم ابراهيم

فقيدة عائلة الصدر

ذهبت الى رحمة الله السيدة

[illegible] **حامد الصدر**

حرم الاستاذ [illegible] الاستاذ بكلية المعلمين ووالدة [illegible] بتجارة عين شمس [illegible] بالطيران الساوية وشقيقة العميد متقاعد [illegible] والاستاذ [illegible] عميد الفنون التطبيقية سابقا وحرم البرلمان [illegible] والانسة [illegible] المفتشة بالاعلام والدكتور مهندس [illegible] بهيئة الاهرام والمدير [illegible] بالجزائر والسيدة [illegible] المفتشة بالتعليم وزوجة شقيق حرم الدكتور [illegible] والدكتور [illegible] وكيل طب المنصورة والدكتور [illegible] بطب عين شمس وقريبة عائلات بنسر والصدر والصاوى والكردانى والعصبى وزايد ورشدى وسامح وزكى كمال والقشيرى وعفت ورشاد والشنشارى والسركى والمرحوم مهندس [illegible] وستشيع الجنازة الحادية عشر صباح اليوم ٢٠ شارع [illegible] مصر الجديدة حيث يقام المأتم .

البقاء لله

شيعت بالامس جنازة المرحومة حرم المرحوم الشيخ [illegible] عبد المجيد [illegible] المرحوم الدكتور عبد العزيز عبد المجيد وعبد الصبور بحرير كفر الدوار وعبد الشافى بعلوم القاهرة وصبرى الخبير

☐ الوثيقة الثالثة : نعى « فقيدة عائلة الصدر » التى خفق لها قلب عبد الناصر ، زمان ، كما نشرته جريدة الأهرام فى ١٧ مايو ١٩٧٠ .. والنعى كما هو واضح يقطع هو الآخر بأن الفقيدة ، لم تكن – كما زعموا – بنت « باشا » !

السنة الثانية عشر	مدارس النهضة المصرية	سنة ١٩٣٤

هيئة تحرير المجلة

(١) حضرة الاستاذ سليمان زكي — مدير المدارس — الرئيس الفخري

(٢) « « احمد الشرقي — مدرس اللغة العربية — رئيس التحرير المشترك

(٣) « « فكري ابراهيم — « « الانكليزية — مراقب قسم الترجمة

(٤) « « المستر وول — « « « — القسم الانجليزي

(٥) « « المسيو اليه فيفيه — « « الفرنسية — « « الفرنسي

---

(٦) ابراهيم حسين العقاد — الطالب بالسنة الخامسة — مراقب التحرير

(٧) لويس لحد — « « « — سكرتير

(٨) جورج ميخائيل — « « « — سكرتير

(٩) سليم ميخائيل بالسنة الخامسة (١٠) [illegible]

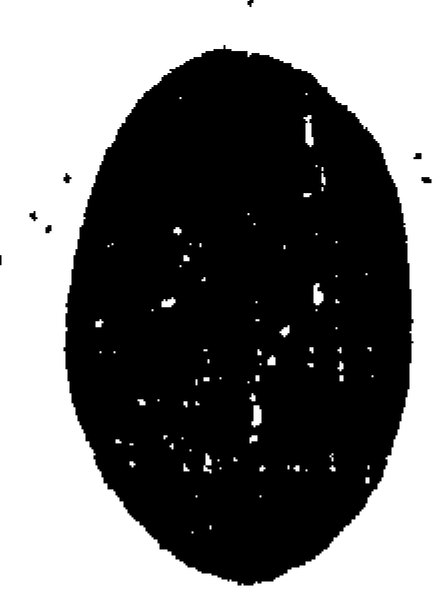
(١١) منير محمد ابو وصل بالسنة الرابعة العلمية (١٢) جمال عبد الناصر بالسنة الرابعة الأدبية

(١٣) ادوار ميخائيل بالسنة الثالثة فصل اول (١٤) [illegible] بالسنة الثالثة فصل ثان

(١٥) حسن محمد حبيب بالسنة الثالثة فصل ثالث (١٦) [illegible] بالسنة الثالثة فصل الرابع

(١٧) صالح محمد عمر [illegible] (١٨) [illegible] بالسنة الاولى

فلتير (رجل الحرية)



[illegible]

وكان يعيش في القصور في فترات متقطعة

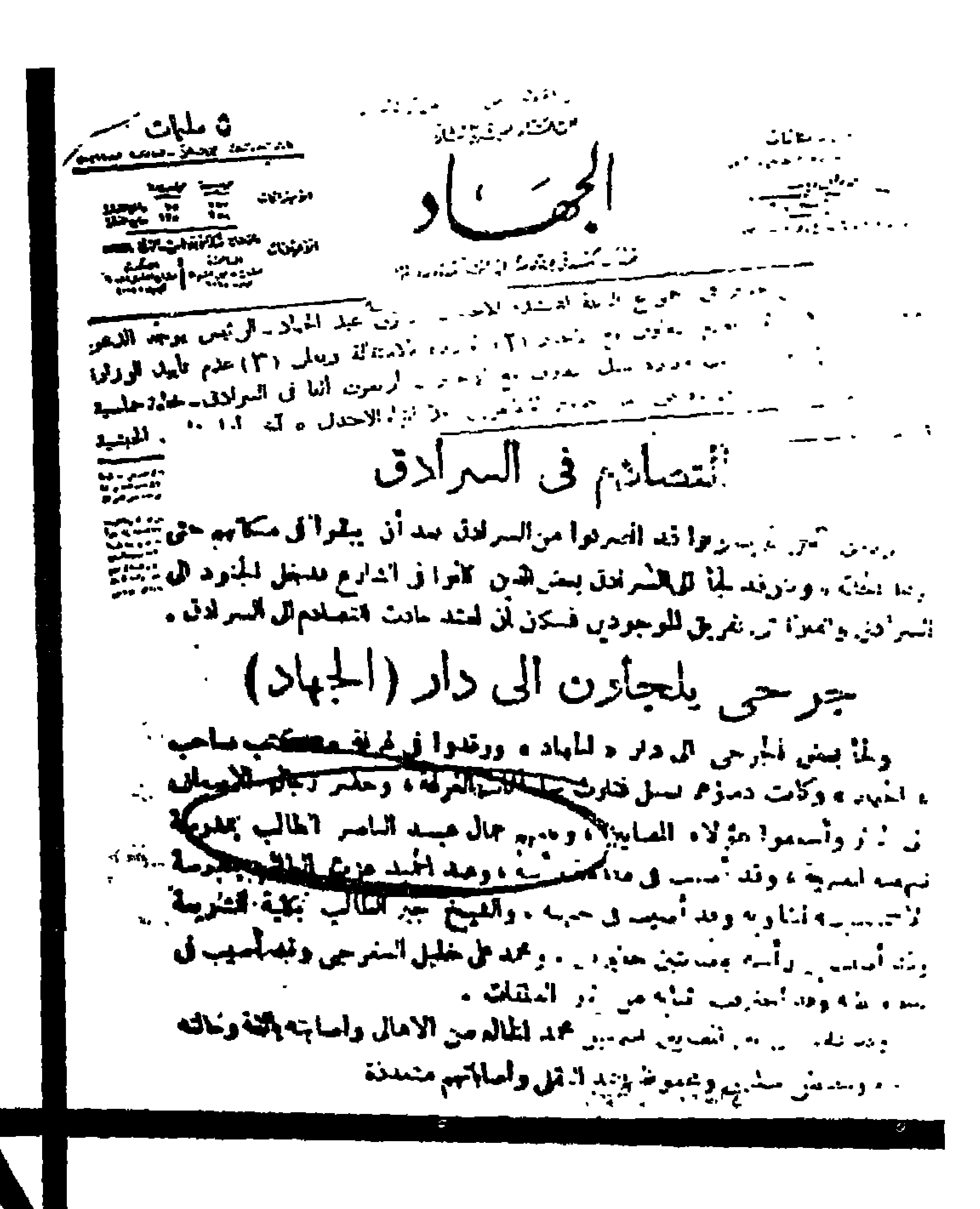
[illegible]

جمال عبد الناصر

[illegible]

☐ الوثيقة الرابعة : مجلة « مدارس النهضة المصرية » والطالب جمال عبد الناصر أحد أعضاء هيئة تحريرها سنة ١٩٣٤ .. أى وهو فى السادسة عشر من عمره ، مع صورة من مقالة عن « فولتير رجل الحرية » .

□ الوثيقة الخامسة : الطالب جمال عبد الناصر ، وهو فى السابعة عشر من عمره يكتب إلى أحد زملائه ، طالبًا منه الحضور إلى منزله .. « للتباحث فى عمل يوقظ الأمة من غفوتها » !



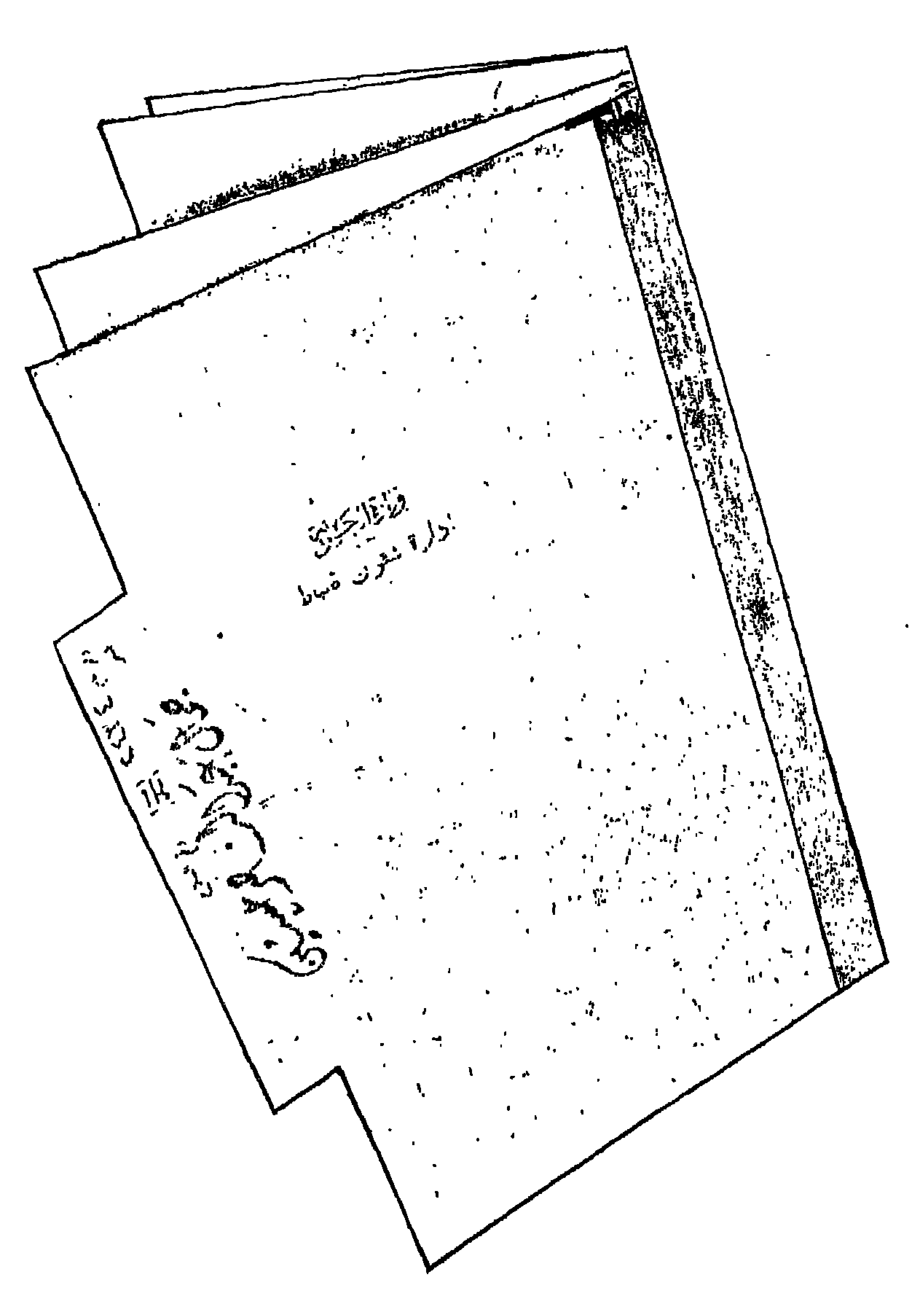
٥ مليمات

الجهاد

التصادم فى السرادق

جرحى يلجأون الى دار (الجهاد)

☐ الوثيقة السادسة : الصفحة الأولى من جريدة « الجهاد » الصادرة فى ١٤ نوفمبر ١٩٣٥ وبها اسم الطالب جمال عبد الناصر ضمن قائمة الجرحى الذين أصيبوا فى مظاهرات المطالبة بعودة دستور ١٩٢٣ .



☐ الوثيقة السابعة : ملف الضابط جمال عبد الناصر بإدارة شئون الضباط ، ويحمل رقم (٢٤٣٤) .

□ الوثيقة الثامنة : التقرير السرى السنوى للصاغ اركان حرب جمال عبد الناصر ويقطع بأنه « فى منتهى الأمانة والإخلاص » .. وأنه « ضابط على قسط وافر من الأخلاق الكريمة ، والطباع الحميدة مملوء رجولة ، يعتز بكرامته ، ويحافظ عليها تماماً ، مكانته الشخصية بارزة ومحترمة ، مظهره وهندامه مشرف ، كفاءته العسكرية والإدارية ممتازة ومعلوماته فيها عالية جداً . شجاع ، مقدام ، أظهر بطولة فى جميع المعارك الحربية التى اشترك فيها وجرح بسببها ، وكان مثالاً حياً لجنوده ، مما أدى إلى منحه نجمة فؤاد العسكرية تقديراً لشجاعته ، ووطنيته الصادقة أثناء المعارك ، وبعد نظره فى وضع خططها معى ، مما كان له أثر فعال فى نجاح الأعمال الحربية التى قامت بها الكتيبة فى معركتى عراق المنشية » .

التوقيع : قائد كتيبة البنادق السادسة فى ١٩٤٩/٤/٥ .

المحامى ابراهيم الزيارى

مدير جريدة الشعب ١٦ ش ابراهيم اللقانى

مصر الجديدة - القاهرة

بالاشارة الى ما جاء فى مقالكم لبعض ما ورد بمقالة

الأستاذ: صلاح منتصر بالأهرام عن علاقة

حب بين طبيب واحد من رجال عبد الناصر

عام واحدى الفتيات المستقرات

ومحاولته التقدم لخطبتها من ابيها الملك

السابق استطاعت اترك امر هذه الرواية تماما

صحيح ومختلقة من تأليف راويها وقد طلبت

من الأستاذ منتصر تلفونيا تصحيح الواقعة

[illegible] وعرضت عليه [illegible] حضوره لزيارتى

ومطالعة ما كتبه عبد الناصر لدى عن زيارته

فى فترة الأربعينات [illegible]

لهذه الموضوعات عن ... [illegible]

[illegible]

[illegible] ولكنه لم يفعل أرجو النشر

حسن النشار

☐ الوثيقة التاسعة : مسودة الخطاب الذى ينفى فيه حسن النشار بخط يده ، رواية صلاح منتصر « ١١١ »

عزيزي حسن

أصبحت عندي ما أريد أن أقدمه بخير.. أرسلت لك
جواب من زمان ولكنه لم يصلني الرد إلى الآن. عليا أعرف
السبب. أعتقد إنك مشغول جداً في هذه الأيام ولكن
إذا لم أرسل لك ولد كتب الأخبار من مدة طويلة..
سأذكر لم يبت فيه إلى الآن وإن كان (الإشاعات) قد
عرفت إنك [illegible] شيئا...
أرجو أن [illegible] عن العربي [illegible] بنصائحك من (كتبه)
تماما... وقد عرفت الآن إنه ذهب إلى [illegible] ولكن لا أعرف شيئا
من [illegible]... ولم يرسل لي ولا جواب وهو غير [illegible] جدا...
لم تصل لي أي معلومات لا إذ [illegible] على الخط [illegible] كذلك.
وقد كنت تحدثني أنه [illegible] أجازه [illegible] الإسبوعي ولكن
أجلوا [illegible] ... ولا أعلم إن كان قد [illegible].
عندما [illegible] تعرف له محل.. وهو رغبتي في إدخال
الليسانس [illegible] فإنه [illegible] أكثر من ٧٠٪ ولهذا فإني
المحاربين على أنا على الخصوص لكن الوالد يخشى حتى
[illegible] للمحاربين أو جندي [illegible] بالرغم من اتفاق معه
على [illegible] المحاربين [illegible] إبتداء من أول [illegible]
فإنه لم يكتب [illegible] أرسل له الطلب [illegible]..
أرجو أن تهتم بمسألة [illegible] وتجاوبنا بجواب على هذا في
متعمداً.. [illegible] بمجرد إرسال الطلب..
سلامي إلى العائلة و[illegible] وعندي إني باق في منقباد
[illegible] إن شاء الله (في الأول) [illegible] سلام
والسلام

جمال عبد الناصر

□ الوثيقة العاشرة : واحد من خطابات عبد الناصر التى تنشر لأول مرة .. وتقطع بأنه ، حتى وهو فى « منقباد » كان « يحمل هَمْ » اشقائه فى القاهرة .!!

عزيزي محسن

أهنئك بمناسبة [illegible] وأرجو أن
تكون بخير. أرسلت لك خطاب من
مدة ولكنه لم يصلني أي رد منك
وأنا لا زلت بطنطا وربما ننتقل إلى [illegible]
إذا لم تقم الحرب وربما نبقى إلى مدة طويلة
وإلا [illegible] الحدود بين مصر وإيطاليا.

لقد سمعت أن الحالة في موضوع [illegible]
[illegible]
[illegible] الحالة التي [illegible]
لا تعرف أي شخص يعرف ناظر المدرسة [illegible]
[illegible] منقول من الوزارة [illegible]
[illegible] عبد العظيم غالي.

أما مسألة الزواج فأظن أنه ليس من المناسب
التفكير الآن فيه (إيه رأيك) بسبب الحرب والحالة
[illegible] ...

[illegible]

[illegible] الوثيقة الحادية عشر : خطاب آخر يرجىء فيه عبد الناصر الكلام فى « مسألة الزواج » بسبب الحرب !.

□ الوثيقة الثانية عشر : الصفحة الأولى من خطاب عبد الناصر إلى صديقه حسن النشار .. وفيها يصارحه بما فى نفسه من « ثورة عائلية » .!!!

الصفحة الثانية من نفس الخطاب وفيها يعترف عبد الناصر بأن « كل عيبه أنه دوغرى ، ولا يعرف الملق أو التمسح بالأذيال » .!!!

وعلى الصفحة الثالثة من نفس الخطاب يقول : « الرؤساء يا حسن يسوءهم ذلك الذى لا يسبح بحمدهم » .!!

وعلى الصفحة الأخيرة للخطاب .. « يحزنه أننا نسير إلى الهاوية » .!!!

الهيئة العامة للتامينات الاجتماعية (نموذج رقم ٢٣ معاشات)

الاســم : سلطان حسين خليل

العنـوان : ١١ سبا ع بولنيه باسبراهيميه

رقم ربط المعاش : ٢٠١١١٩

« ويذكر عند كل اتصال بالهيئة »

مكتب التامينات الاجتماعية المشتريين

مكتب الهيئة المختص للرجوع اليه عند اللزوم } ميدان التحرير

بيان قيمة المعاش الشهرى وقيمة وتاريخ بداية الصرف الدورى أكتوبر ٧٢ م

قيمة المعاش	مليم ٦٧٣ جنيه ١٦	فقط ستة عشر جنيها و٦٧٣ مليما لا غير
جهة الصرف	سيتم صرف المعاش المستحق لكم من الهيئة على بنك القاهرة	
تاريخ بداية الصرف الدورى	اعتبارا من معاش شهر (سبتمبر سنة ١٩٧٢) استحقاق يوم ٢٥ منه	

وعليكم التوجه لاستلام هذا المعاش بصفة دورية فى يوم ٢٥ من كل شهر دون انتظار اخطار منا

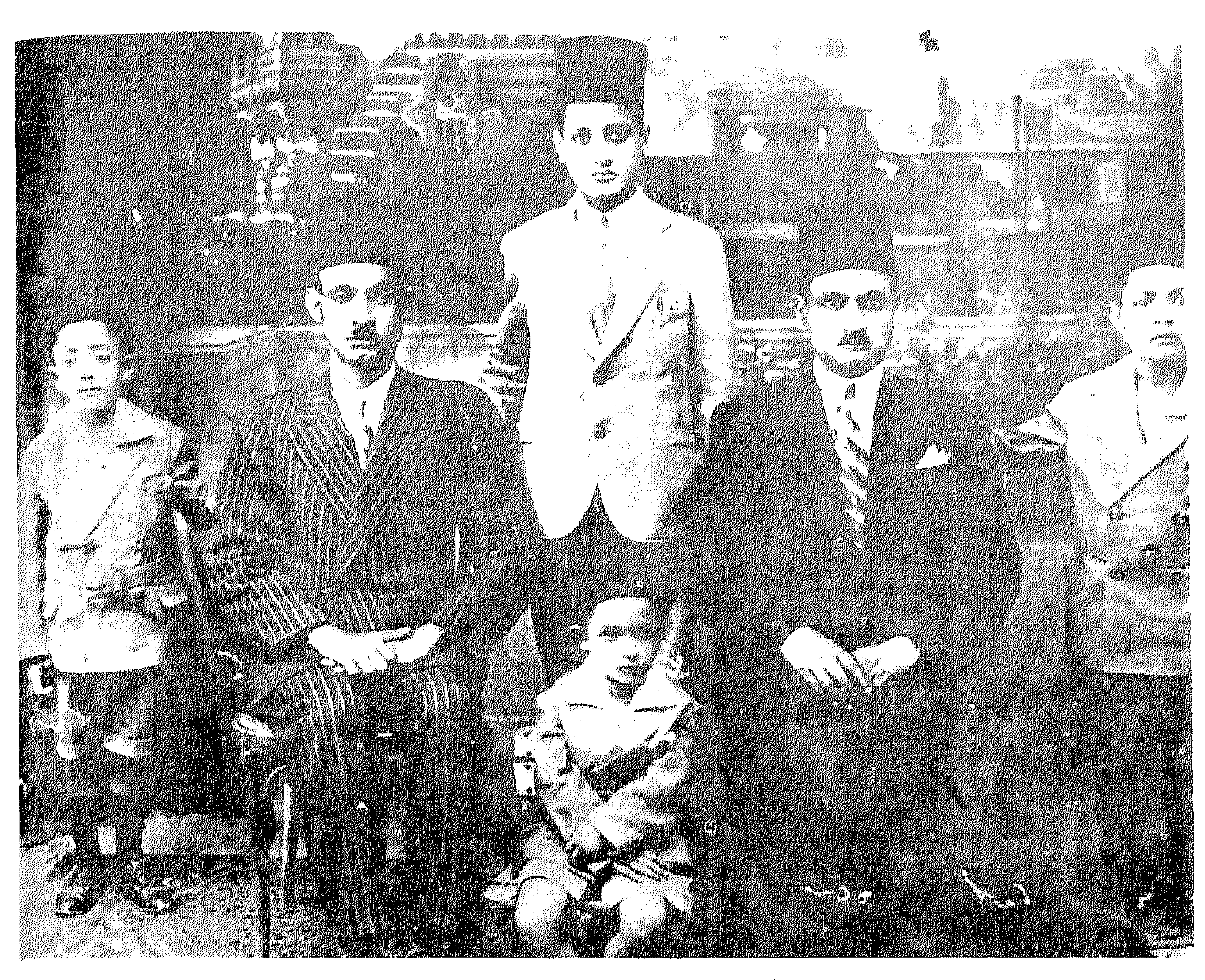
وتقبلوا التحية ؟ مدير المعاشات

تحريرا فى ٢٥/٦/١٩٧٢

☐ الوثيقة الثالثة عشر : صورة « سركى » معاش الحاج سلطان عم جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية .. فى عهد الرئيس المؤمن أنور السادات ، إعتباراً من أكتوبر ١٩٧٢ وبواقع ١٦ جنيه و ٦٧٣ مليمًا بالتمام والكمال .!!!



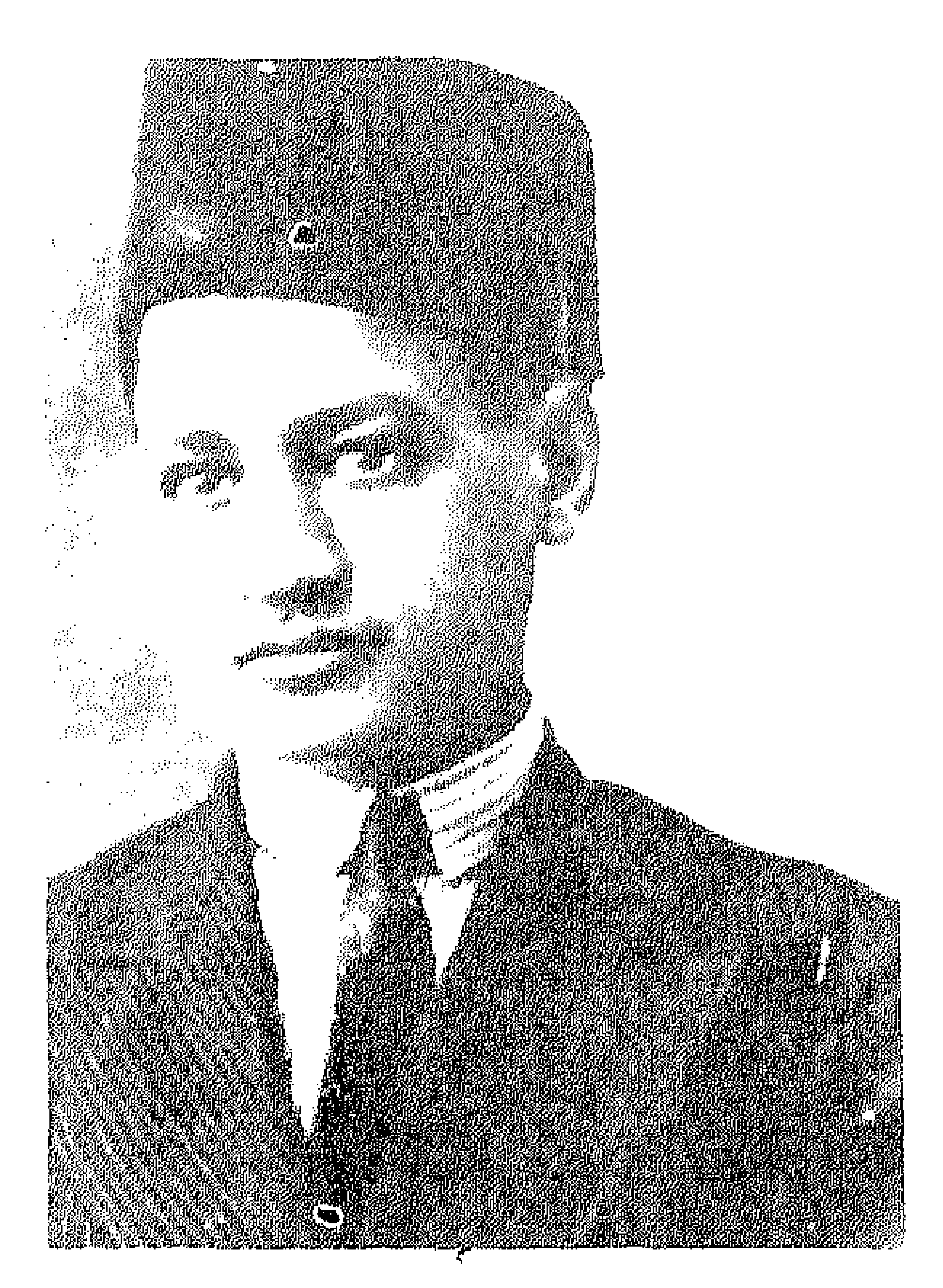
أبو خالد « نوارة » بلدى



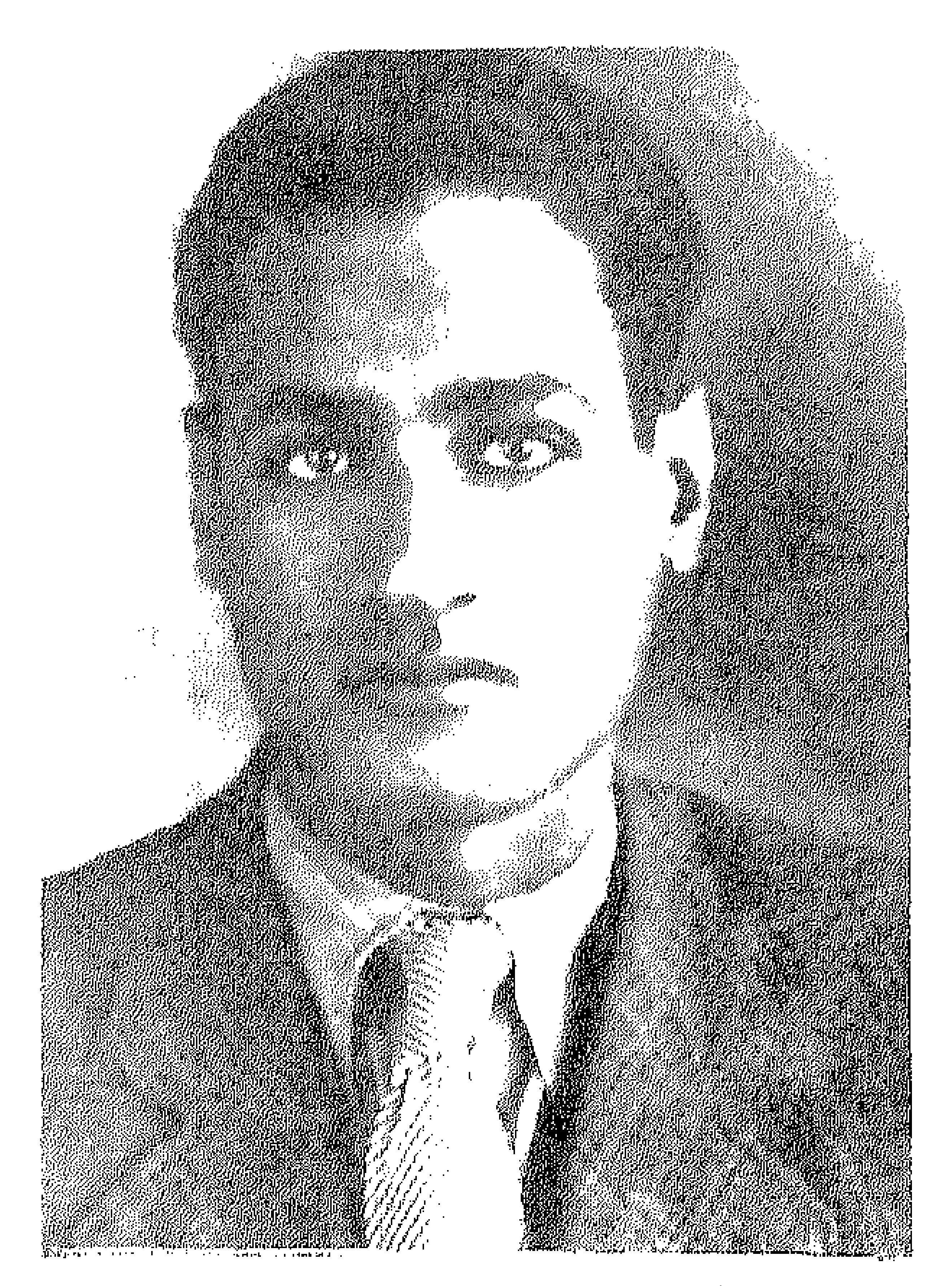
قرب نهاية الدراسة الابتدائية ، واقفاً في صورة تذكارية بين والده وعمه خليل ، وعلى الجانبين وفي المقدمة أشقائه عز العرب والليثي ، والصغير شوق .



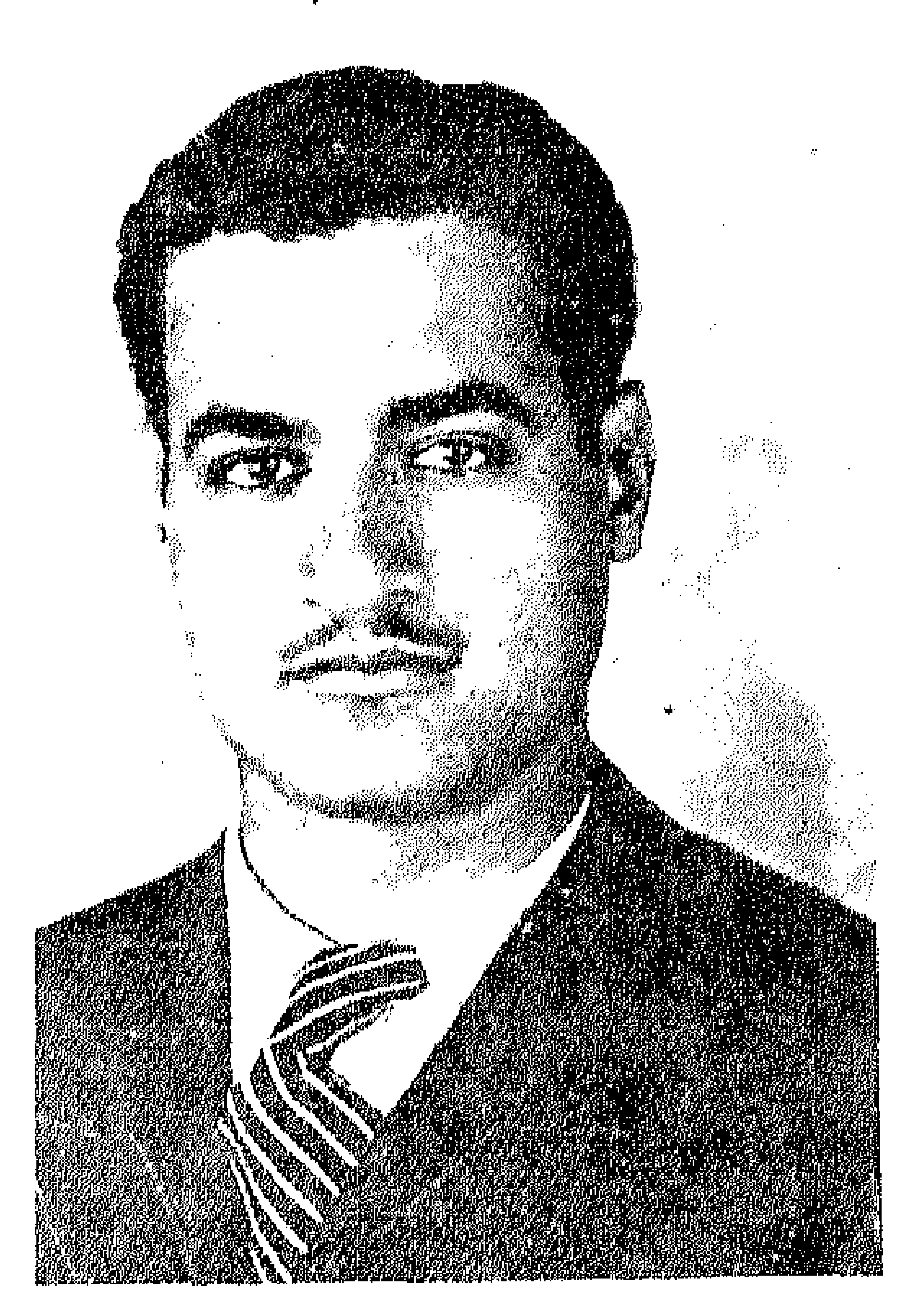
منزل ومكتب بريد الخطاطبه .. كئيباً موحشاً بعد أن تركته « أم جمال » ورحلت عن الدنيا وهو لا يزال صغيراً .. في الثامنة من عمره .!!



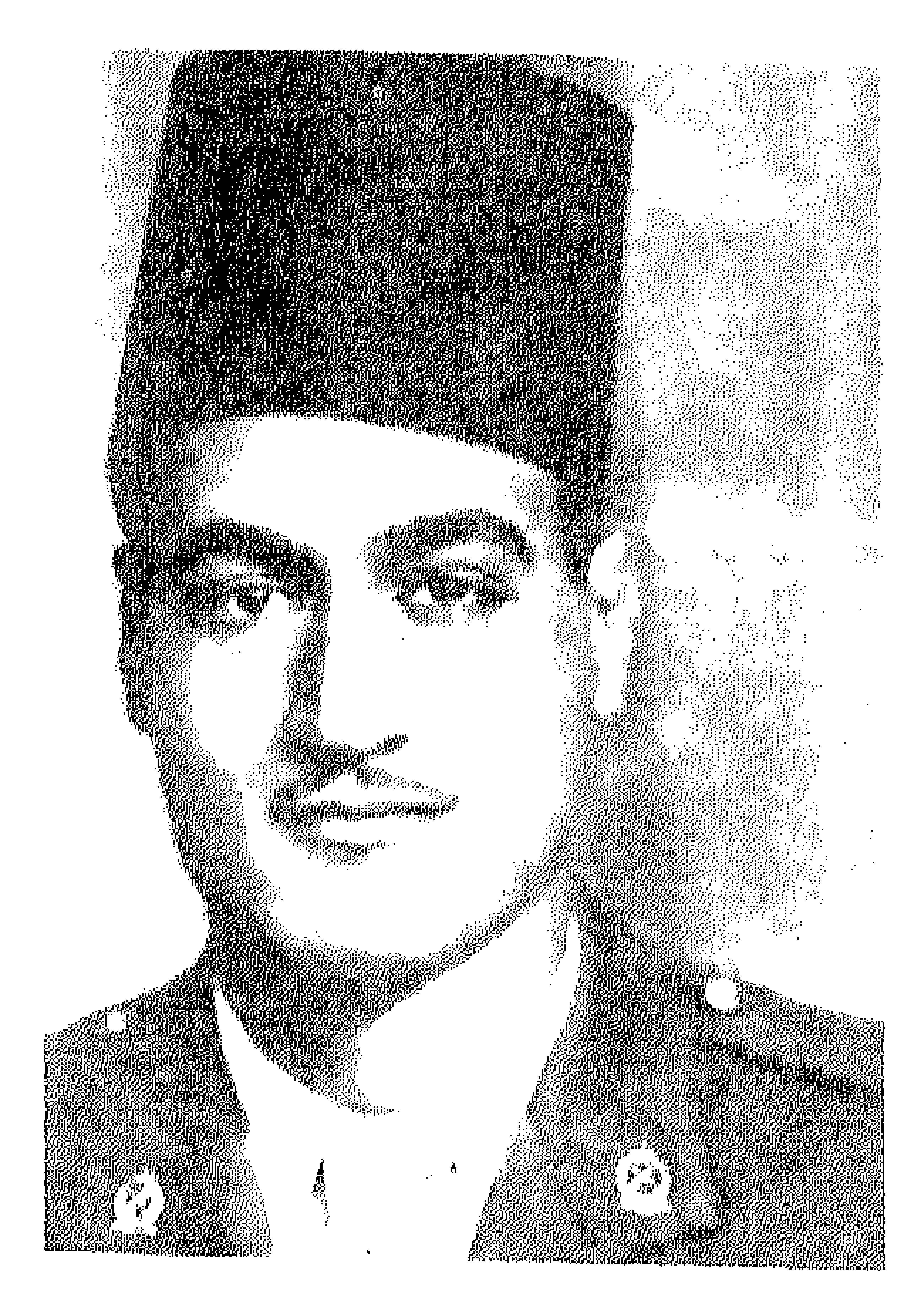
جمال فى حلوان الثانوية عام ١٩٣١



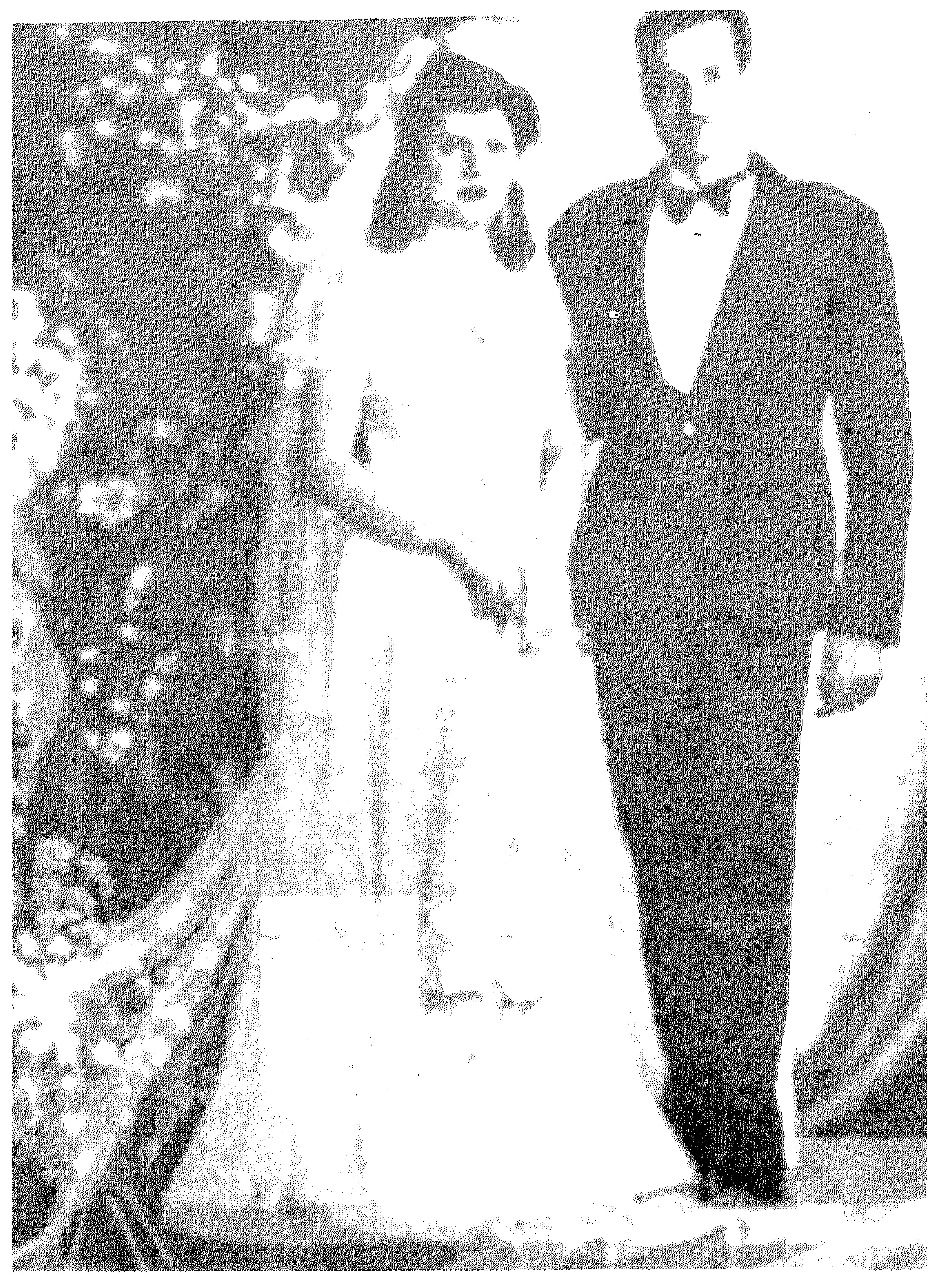
وفى البكالوريا : من مدرسة النهضة سنة ١٩٣٦



وفى كلية الحقوق سنة ١٩٣٧



ثم فور تخرجه من الحربية سنة ١٩٣٨



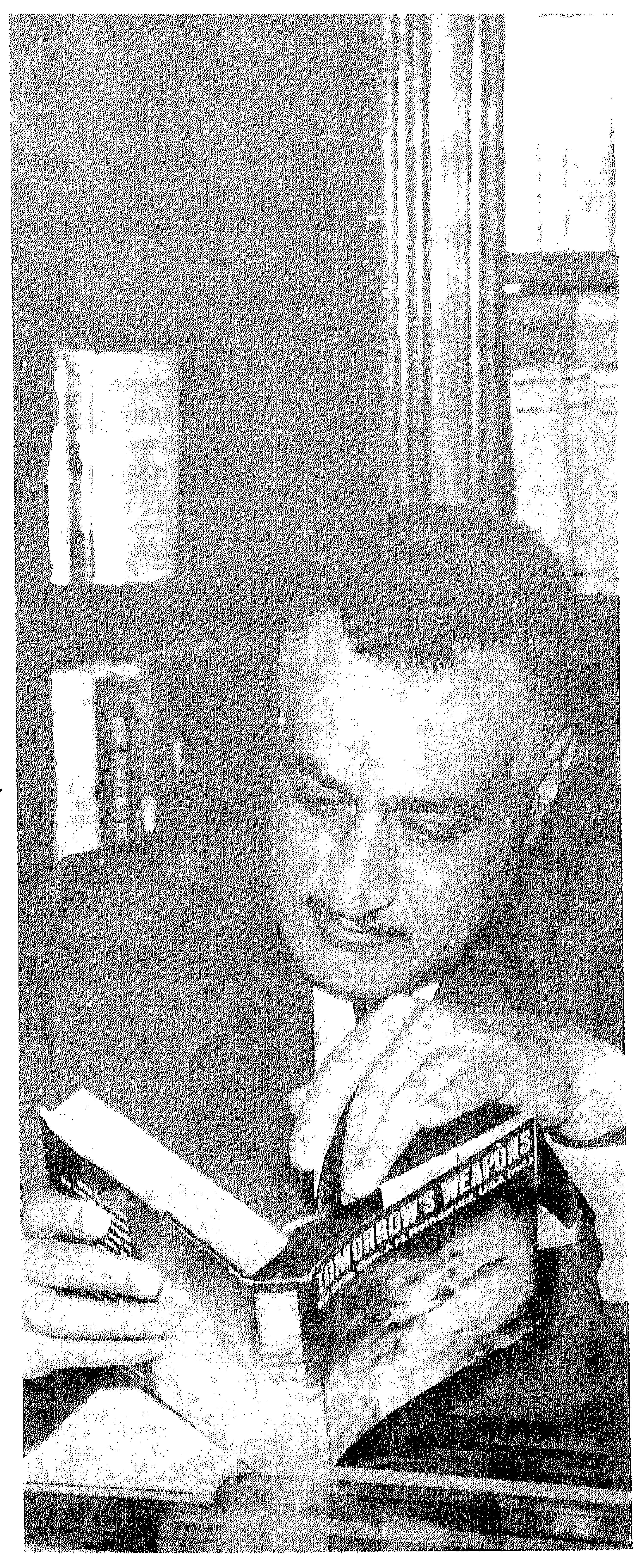
العريس : جمال عبد الناصر
والعروس : تحية كاظم
والتاريخ : ٢٩ يونيه ١٩٤٤ .. أى بعد خمس سنوات كاملة من انتهاء علاقته ببنت « الباشا » المزعوم !!



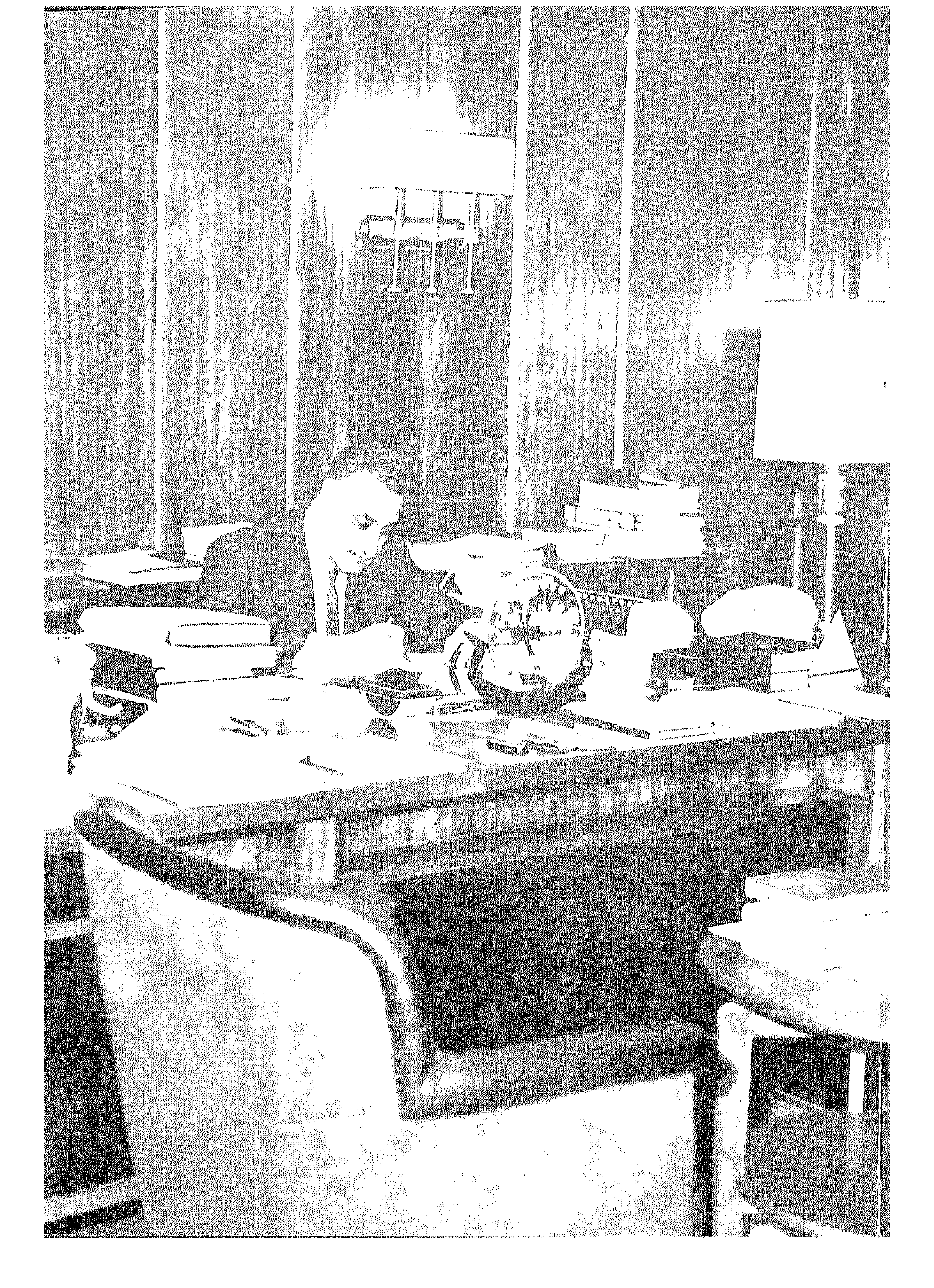
وحدها ، أصبحت فى القلب وفى العين وفى الصورة منذ أن تزوجها عبد الناصر وحتى آخر عمره



تلك هي رفيقة العمر « تحية كاظم » فى هدوء واحتشام .. حتى على البلاج !!



بشهادة الجميع : لم تكن القراءة مجرد
هواية يملأ بها عبد الناصر أوقات فراغه .
كانت بندًا أساسياً فى برنامج عمله اليومى .



وفى منزله : كثيرًا ما كان يجلس – مع شىء من الموسيقى الخافته –
ليعمل حتى الساعات الأولى من الفجر .!

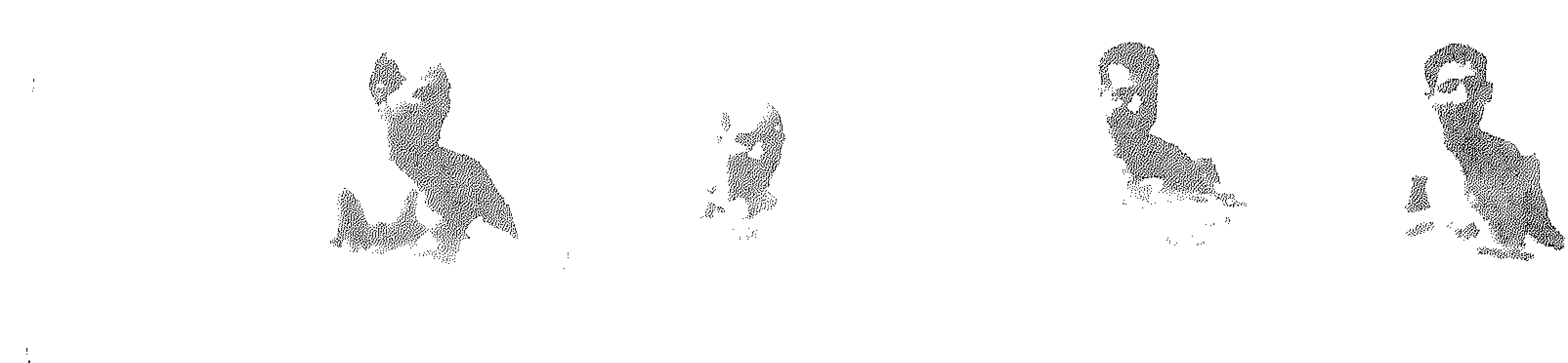


يحب الموسيقى ، ويهوى التصوير ، ويجيد الشطرنج ، ويلعب البنج بونج .. مثل كل البشر .!!



صورة تذكارية
للملازم أول جمال عبد الناصر
مع القرد « الهدية » الذى أحضره
من السودان لصديقه
حسن النشار فى مايو سنة ١٩٤٠

وبعد أن أصبح رئيساً للجمهورية : بنفس « النصف كم » .. وبنفس البساطة ، يمد يده بالطعام لقرد آخر
فى احدى حدائق الهند المفتوحة سنة ١٩٦٠

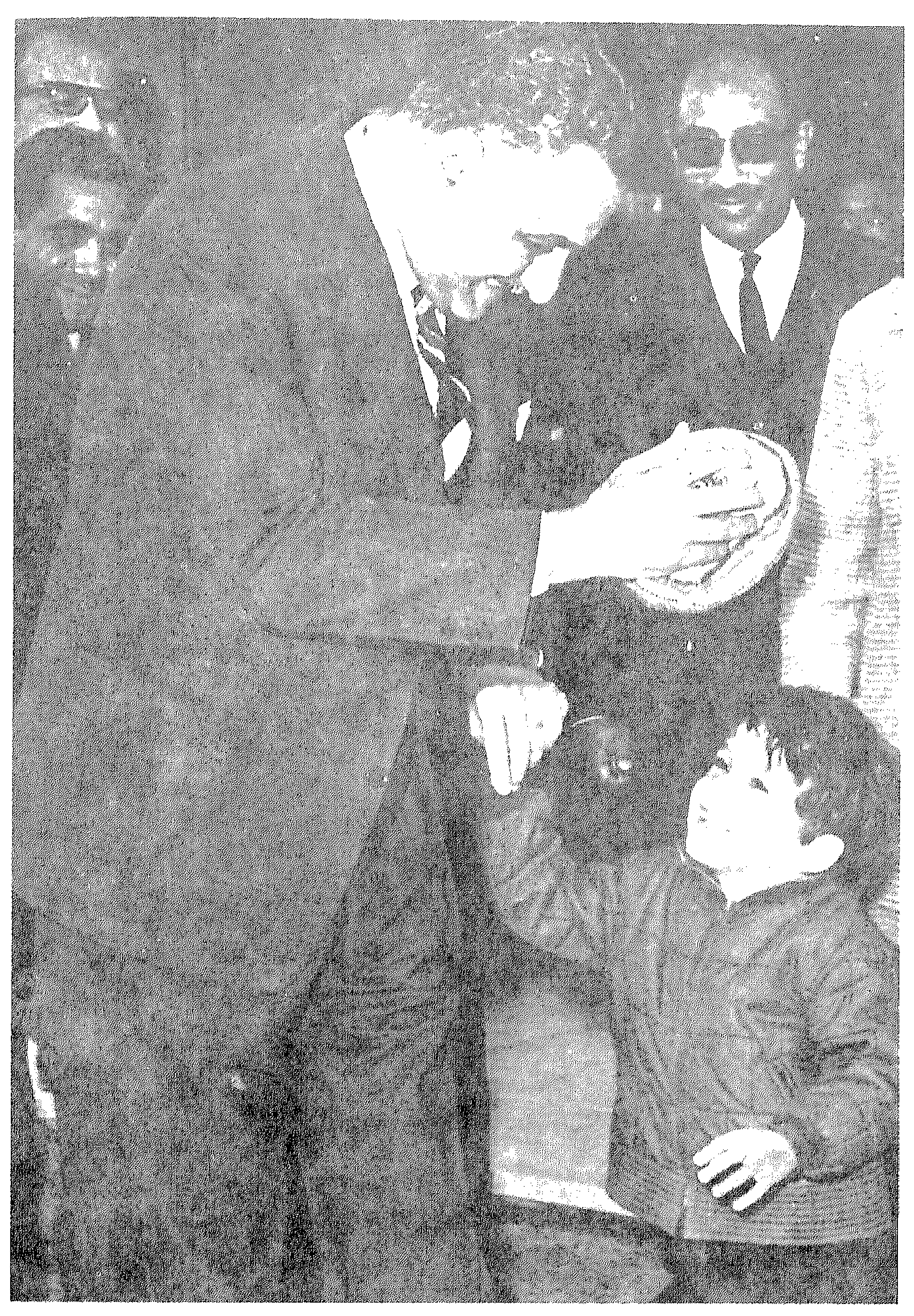


ناصر وعامر والشقيقان جمال وصلاح سالم فى مياه مطروح !!

عبد الناصر يوقع على صورته تذكارًا لزملائه فى مدرسة النهضة الثانوية وهم : حسن النشار - إلى أقصى اليسار - وبجواره محمد عسكر ، وخلفه إبراهيم العقاد ، ثم أحمد فريد على .. بجوار المصور حسين بكر .



بعيداً عن هموم الحكم ورسميات المنصب : ناصر وجمال سالم فى لقطة نادرة على شاطىء مرسى مطروح .!!



تلقائية عبد الناصر « الأب » تداعب أحد أطفال مدينة أسوان سنة ١٩٧٠ ... بينما السادات يجاهد لكى تكون إبتسامته أكبر من إبتسامة كل الموجودين « !! »



عيون الشيخ محمود شلتوت تنطق بالإمتنان لعبد الناصر الذى أصر على أن يصافح الشيخ المسن ، وهو جالس فى مكانه .. تكريماً واحتراماً للشيخ .. ومكانته .

شفيق أحمد علي مع السيدة عنايات مصطفى زوجة والد جمال عبد الناصر فى أول صورة وأول حديث ينشر لها « !!! »

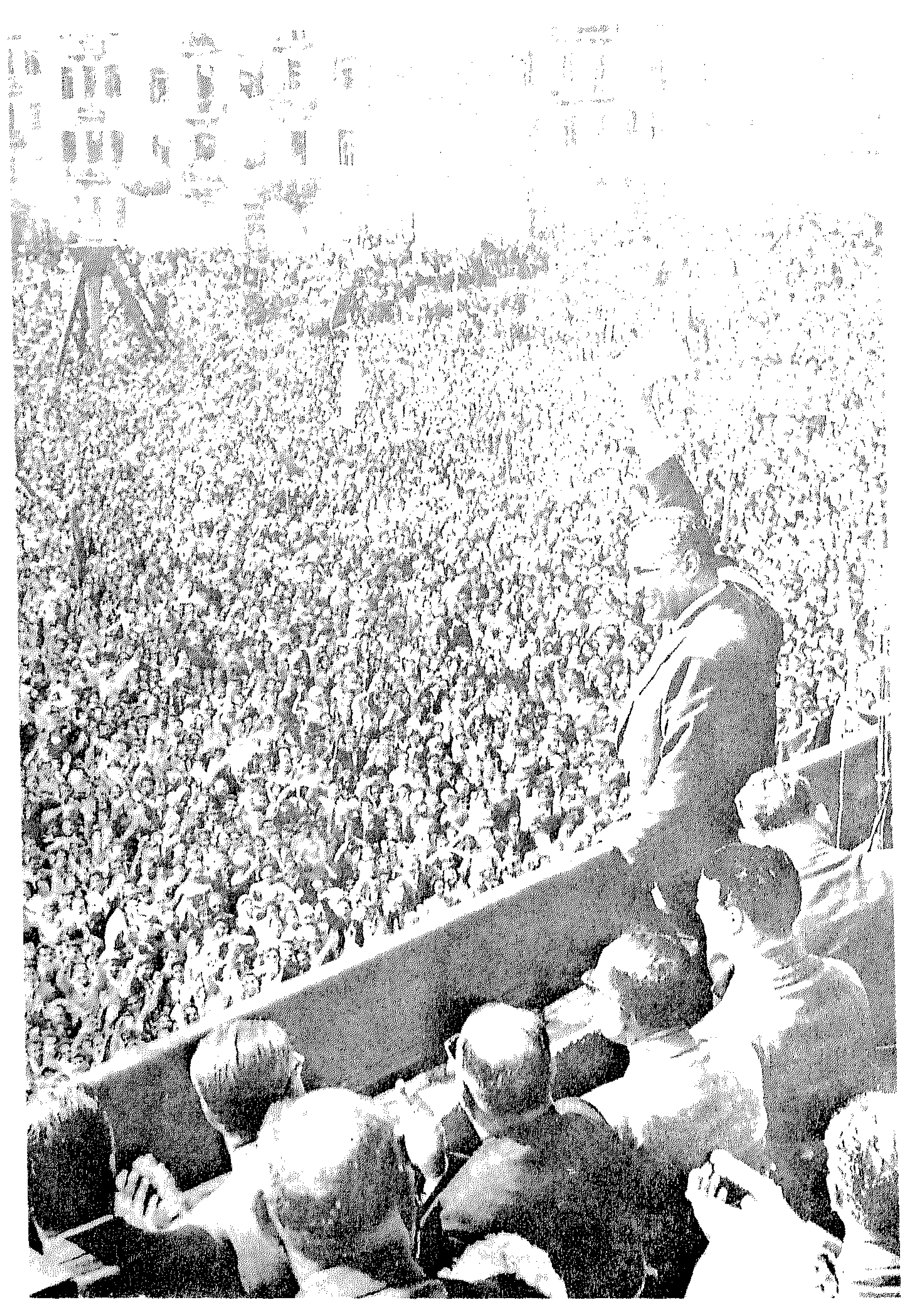
السيدة عنايات مصطفى : تستعيد ذكرياتها مع عيد الناصر الأب والابن .!!



حنو الإبن .. ورضى الأب ، وصورة تخرس كل المدعين .!!

جمال عبد الناصر ووالده فى حفل زواج شقيقه الليثى

وفى مستشفى الولادة : يطمئن على إبنته هدى ومولودها .



عبد الناصر يلوح للشعب



عبد الناصر فى سيارة مكشوفة



ثلاث لقطات أبلغ من أى تعليق ، للقائد بين شعبه وجنوده .. بلا حرس أو حواجز .. أو أمن مركزى « !!! »



أفزعهم كل هذا الحب .. فزعموا أنه لم يوزع الأرض على هؤلاء المعدمين ، حبًا فى عيون المساواة ..
واختلقوا قصة حبه لبنت « الباشا » المزعوم .!!

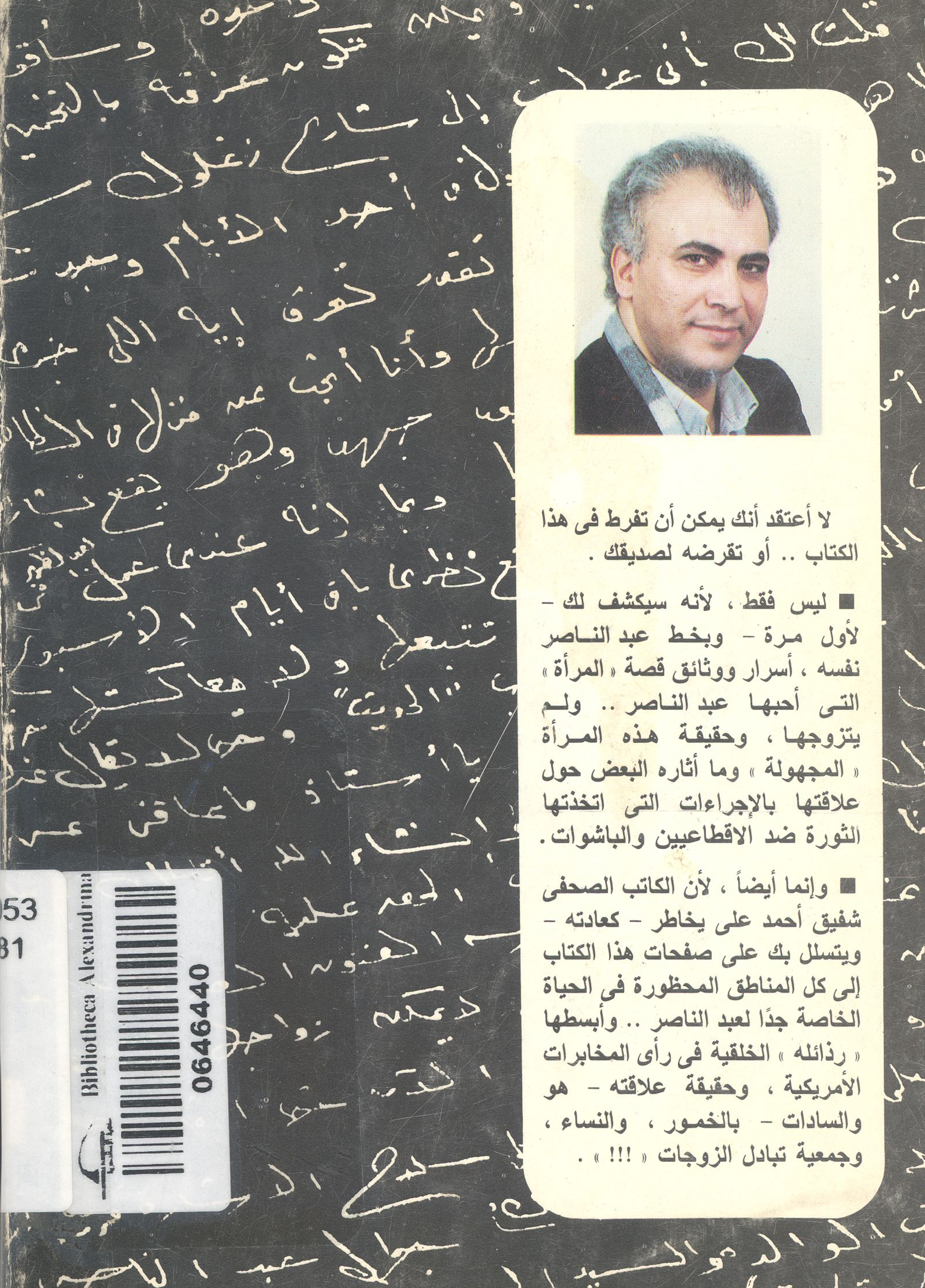
□ محتويات الكتاب □

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع : ٢٦٢٣ / ٩٨٩



طبع بدار نوبار للطباعة


لا أعتقد أنك يمكن أن تفرط فى هذا
الكتاب .. أو تقرضه لصديقك .
■ ليس فقط ، لأنه سيكشف لك - لأول مرة - وبخط عبد الناصر نفسه ، أسرار ووثائق قصة « المرأة » التى أحبها عبد الناصر .. ولم يتزوجها ، وحقيقة هذه المرأة « المجهولة » وما أثاره البعض حول علاقتها بالإجراءات التى اتخذتها الثورة ضد الاقطاعيين والباشوات .
■ وإنما أيضاً ، لأن الكاتب الصحفى شفيق أحمد على يخاطر - كعادته - ويتسلل بك على صفحات هذا الكتاب إلى كل المناطق المحظورة فى الحياة الخاصة جدًا لعبد الناصر .. وأبسطها « رذائله » الخلقية فى رأى المخابرات الأمريكية ، وحقيقة علاقته - هو والسادات - بالخمور ، والنساء ، وجمعية تبادل الزوجات « !!! » .